

د. سامي منصور

مذبحة لبنان الكبرى

حرب الاستنزاف العربية الجديدة



المركز العربي للبحث والنشر

القاهرة ١٩٨١

اهداءات ٢٠٠١

المرحوم / محمد والنجيد عباس
وتحيل وزارة الثقافة سابقا

د. سامي منصور

مذبحة لبنان الكبرى

حرب الاستنزاف العربية الجديدة

المركز العربي للدراسات والنشر

القاهرة ١٩٨٩

المقدمة

إن مضي مايقرب من ثلاثة أعوام على اشتعال مذبح لبنان الكبرى من مرحلة الحرب ، «القدرة» - كما يقال - إلى مرحلة تصفيات الواقع هي فترة تكفى بـدون شك لوقفه تسمح بقدر محدود من التقاط الأنفاس وتحديد ملامح جبهة القتال .

وقد كانت أبرز ملامح الصورة قبل أن تهدأ الأنفاس اللاهثة :

إن مذبح لبنان لم تكن حرباً طائفية بين مسيحيين ومسلمين رغم كل محاولات إظهارها بشوب الحرب الدينية . وإذا كانت الأغلبية منا قد أرادت أو أريد لها أن تخدع بظواهر كاذبة توحى بانتشار وباء الطائفية فإن الأقلية رفضت منذ البداية دعاوى الخداع وظلت تصرخ بالحقيقة الصائبة وسط إعلام لم يكن أميناً على الحقيقة .

الحقيقة أن في لبنان عشر طوائف مسيحية لم يشترك منها في الحرب غير الموارنة وأن هناك من الموارنة نسبة لا يستهان بها وقفت منذ اللحظة الأولى ضد الحرب . ومنها شخصيات قدمت الى العون لإظهار هذه الحقيقة ، وأن الذين صمتوا على الجريمة لم يكن صمتهم بالقبول ولكنه كان بقهر السلاح المصوب إلى رؤوسهم ،

ومذبحة لبنان لم تكن حرباً بين يساريين كما أرادت القوى أصحاب المصلحة في خداع الشعوب العربية تصورها . صحيح أنها استقطبت خلال معاركها قطاعات من اليمين واليسار ولكنها بقيت في تيارها العام بين قوى وطنية وقوى أرادت أن تكون أداة لمصالح أجنبية مقابل أن تحقق من خلال المذابح أحلاماً مريضة .

ومذبحة لبنان كشفت عن سذاجة سادت النخبة الحاكمة في العالم العربي . إذ دخلت في تحالفات ومعاور خلال الحرب وتصورت أنها روابط حقيقية وأن لها أدوار «البطولة» في الدراما ، والسنوات الثلاث كشفت أن الكل كان ضحايا المكاسب المؤقتة على حساب الاستراتيجيات والأهداف البعيدة . وظهر أن أصحاب الأدوار الأساسية هم منذ البداية وحتى النهاية بدون تغيير .

والأهم من ذلك أن ماجرى بكل بشاعته لم يكن أكثر من حلقة في قيد حديدي سبقتها حلقات . ولم يكن ممكناً أن ينتج ماجرى بعدها دون أن تكتمل هذه الحلقة لترتبط القيد فيصبح جاهزاً لكتيل الأيدي بعد أن تكون قطعت الألسنة ، وفقدت العيون القدرة على الرؤيا وسط الأطلال .

وقد يبدو هذا التصو ير بكل خطوطه لوحة تجريدية يصعب على البعض إدراك ألوانها دون مز يد من الاتراب تجسيدا للواقع .

والواقع أن الجناح الذي بدأ المذبحة في حزب الكتائب يقيم اليوم كل مظاهر دولته في رقعة من أرض لبنان ، بعد أن كان يتغنى بكل لبنان . وأنه دخل الحرب .

لحماية استقلال لبنان من عدوان الدخلاء . وهو لم يكن يريد غير تفتيت لبنان . وقد شكل لنفسه جيشا من الميليشيا وتليفزيون ومكاتب إعلام — سفارات — في عدد من العواصم وإدارات للداخلية والتأمين والمالية .

وإذا كانت دولة الكتائب توشك على الإعلان فإن إسرائيل الطرف الثاني تقوم بحكم الجنوب بعد أن فرغته تقريرا من سكانه وأصبحت مصادر المياه التي ظلت تسعى للحصول عليها في متناولها بدون عناء .

استمرار حرب الاستنزاف للعربية على أرض لبنان . وإذا كانت إسرائيل قد استوعبت درس حرب الاهتزاز التي شنتها مصر عليها فأرهقت مواردها ومزقت أعصابها فهي اليوم تعيد الدرس ولكن هذه المرة على العرب في الساحة اللبنانية .

وإذا كان تفسخ التحالفات التي أعطت للمذبحة أبعادها ، وتعديل المحاور التي سارت أنهار الدماء في مجارها . إذا كان ذلك سبب بعض الخلط ، فإنه في الواقع كان الدليل القاطع على أن الحرب لم تكن طائفية بين مسيحيين ومسلمين ولا بين يمين ويسار .

فالمذبحة بدأت وفي لبنان جبهة الموارنة وأطرافها حزب الكتائب (عائلة الجميل) وحزب الأحرار (عائلة شمعون) وجماعة رئيس الجمهورية وقتها سليمان فرنجية وشريل قسيس رئيس الرهبانيات الكاثوليكية . ولم يعد في الجبهة اليوم سوى حزب الكتائب .

فبداية استطاعت الفاتيكان بمجهود صادق أن تصحح الخطأ وتعيد للرهبان دورهم الديني بعد أن انحرف شريل قسيس بالرهبانيات عن دورها بشخصية مريضة أرادت إعادة أساطير الحرب الصليبية إلى الحياة من جديد حيث يحمل الصليب الخشبي على صدره والمدفع الرشاش على كتفه . وشهادة إتصاف أن البطريرك الماروني قد بذل كل الجهد منذ اللحظة الأولى لوقف شريل قسيس .

ولما فشلت جهوده استعان بالفاتيكان ومن خلال انتخابات رهبانية وبتوجيه من الفاتيكان خرج شربل قسيس إلى الظلام يلعن الجحود من الذين وقف معهم وتركوه يسقط ، مع أنهم كانوا من أكثر المشجعين للتخلص منه . وهكذا سقط أحد الأركان الأربعة للجهة .

وقد قامت جماعة من حزب الكتائب بالمهجوم على اهدن مقر فرنجية في يونيو ١٩٧٨ وقتلت ابنه وزوجته وطفله مع عشرات من رجال فرنجية . ثم دارت بعد ذلك عدة معارك تم خلالها تصفية القوة الضاربة لجماعة فرنجية . وخوفاً من أى لبس في المعنى إذ يتصور البعض أن اغتيال توفى فرنجية هو تخويف للأب . فالحقيقة أن التصفيات تهدف في الأساس إلى الجيل الثاني باعتبار أن الجيل الأول في الجهة تجاوز جميعه السبعين من العمر وأن لحظة نقل السلطة قد حانت . وأحزاب الجهة في لبنان أحزاب عائلات في الأساس . وهكذا تتضح أهمية اغتيال توفى فرنجية لحظة تصفية المواقع . وخرج بذلك الركن الثاني في الجهة .

وقامت في يوليو ١٩٨٠ جماعة من حزب الكتائب أيضاً بالمهجوم على مقر كميل شمعون ولولا أن الجيش اللبناني أحس بالخطة فقام بختطف ابن كميل شمعون بطائرة هليكوبتر لتكررت نفس القصة ولذلك أسرت زوجة الإبن وابنته وأفرج منها بعد إكتشاف تهريب داني شمعون . وقامت جماعة الكتائب بتصفية القوة المسلحة لحزب شمعون وإن كانت قد فشلت حتى الآن في اغتيال خليفته فهي قد جعلت من الحزب مجرد واجهة سياسية بدون فاعلية عسكرية . وسقط بذلك الركن الثالث حيث لم يبق سوى الجناح العسكري من حزب الكتائب .

والواضح أن كل هذه المذابح والتصفيات بين القوى المارونية الكاثوليكية وبعضها وأنها جميعاً بين قوى يمينية لا يمكن أن يتصف أحد منها باليسار .

وإذا كانت جهة الحركة الوطنية أكثر تماسكا في مواجهة الخطر إلا أن

الصراعات العربية قد امتدت إلى بعض فصائلها وإن كانت كلها فصائل هامشية حيث تتقاتل الفصائل التي تنتمي للعراق مع الفصائل التي تنتمي إلى سوريا . كما تتقاتل فصائل العراق مع فصائل الشيعة الإيرانية . وهي كما قلت جميعها قوى على هامش الجبهة الوطنية إن لم تكن خارجها منذ البداية .

ويبقى في صورة اليوم دور سر كيس رئيس الجمهورية فهو جاء إلى كرسي الحكم بارادة سورية مسلحة فإذا به يتحول مع الأيام إما بالضعف والتردد وهي من صفاته أو بحكم الإنتهاء إلى أداة في أيدي قيادة حزب الكتائب . ويكفي أنه لم يحسم طوال سنواته أي موقف مع حزب الكتائب بل الأكثر أنه حين شعر أن هناك احتمالا كبيرا في تشكيل جبهة من كل لبنان ضد حزب الكتائب بعد مذابحه ضد حزب شمعون ومن قبله فرنجيه إذا به يلجأ وبدون مقدمات يقول استقالة الوزارة ويشغل كل القوى بلعبة كراسي الحكم عن جرائم حزب الكتائب وهو قد نجح في ذلك إلى حد بعيد . ويحلو للبعض أن يقول إن سقوط سر كيس في بر الكتائب لم يكن بالانتفاء وإنما بالعجز والضعف . ومهما كانت الأسباب فالعبرة بالنتائج .

والغريب أنه ليس هناك أي دلائل على أن الذين يلعبون بالسياسة في هذه المنطقة يستوعبون درس سر كيس وغيره . حيث تتصور إحدى القوى أن وضع شخصية ضعيفة في موقع القيادة يجعلها تحكم من خلال الضعف رغم أن الواقع دائما يكذب ذلك . فالضعيف يصبح دائما إغراء لكل القوى للاستيلاء عليه . ومن يستطيع تصبح القيادة في يده ويتحول إلى أداة تقع على الذين جاءوا به ليس لأنه أصبح قويا ولكن لأنه أصبح في أيدي قوى أخرى !

ولذلك تحولت القوات السورية التي دخلت لبنان لتصرة جبهة الموارنة وبتحالف مع الكتائب إلى فريسة في مصيدة محور الكتائب — إسرائيل . ولم تجد سوريا مفرا من جمع خيوط قوائها المبعثرة في لبنان بعد أن امتدت إليها كل أمراض المجتمع اللبناني . وتحاول أن تفتح القنوات التي أغلقها — بسلوكها الخطأ — مع

الجبهة الوطنية بعد أن أصاب الجبهة الإرهاق والتعب على أيدي القوات السورية .

وانتظاراً لما سوف تنتهي إليه المأساة في لبنان . وهي قد دخلت بالفعل في مرحلة تجسيد النتائج . فإن الموقف قد أصبح ملحا في دراسة أبعاد هذه المأساة وتفاصيل أحداثها حتى يمكن تصور ما سوف تنتهي إليه بوضوح .

وقد شدتني مذبحة لبنان ليس لما احتوته من غرائب ومآس ولكن باعتبارها الحلقة التي مهدت الأرض بإرادة عربية - حكومية - شبه جماعية للأحداث التي لحقت بها . خاصة وأن محاولة الاقتراب من حقائق المذبحة كانت تمثل عنصر خطر على الذين يعيشون أحداثها هناك . وكان لابد من أحد يتطوع لعرض أكبر قدر من الحقائق التي أمكن الوصول إليها مها كان الثمن الذي يمكن أن يدفعه .

وقد قمت بدراسة الحرب في لبنان من خلال أربع رحلات استغرقت أكثر من ثلاثة أشهر . وبقيت الدراسة رغم الانتهاء منها منذ عامين حبيسة اعتبارات كثيرة لم يكن لي دخل بها .

وقد بقيت طوال هذه الأيام والشهور أشعر بالاختناق والألم . اختناق مع عرف حقيقة بشعة وسكت عنها حتى ولو كان مرغما على السكوت . والألم لأن الجريمة مستمرة والحقائق ما زالت ضائعة .

إن أزمة الحرب الأهلية في لبنان كانت بلاشك « أزمة ضمير » للإنسان العربي العادي ، ولكنها كانت « عنة ضمير » للإنسان العربي الذي يعرف قدرا من خباياها ، أما الذي يعرف أكثر خباياها المفجعة فإني أشفق على ضميره بل وعقله ..

فهى حرب مزقت بسلاحها روابط جمعها الدم والمصير .. ودفنت بأنقاضها هالات عربية كانت تخدم أبصار الكثيرين طويلا .. وفضحت باستمرارها واقف دول كان لها صوت يتغنى إما بالقيم والدين وإما بالأيديولوجية والثورية .

وسقطت ببشاعتها دعاوى حضارية كأن يتشدد بها متخلفون اجتماعيا وحضاريا .. بل وعقليا .

وانتهت المأساة ، والكل ملوث بدمائها .. الأيدي تقطر دما والملابس تفوح عفنا .. والكل عار بعد أن ألقى بثوبه على جثث الضحايا ليصبح المقتول قاتلا .. والمجنى عليه جانبا . بينا القتلى يحتل مكان القاضي ليحكم ببراءة نفسه .. وباختصار لا قانون .. ولا خلق .. ولا دين بل ظلام مخيف وشهادة مكتوبة على ضوء النجوم .. تقول إن هذه الرقعة .. العالم العربي .. تعيش في مرحلة الكهوف أى ما قبل التاريخ حيث السيادة للحيوانات المفترسة .

واقترابا أكثر من الصورة يؤكد أن لها في لبنان مواصفات تنفرد بها :
أولا :

□ فالشرق مثلا في العالم اليوم هو اليسار ، والغرب هو اليمين .. إلا في لبنان فالمنطقة الشرقية هي الانتماليون والغربية هي الحركة الوطنية .

□ والذي يتحدث باسم المسيحيين هو آخر من يدخل الكنيسة وربما لم يدخلها مرة .. والذي يتحدث باسم الإسلام لا يجيد لغة القرآن .. ومن يدافع عما يطلق عليه « المسيحيين » هم مسلمون .. ومن يدافع عما يطلق عليه « المسلمين » هم مسيحيون

□ والحزب الذى يسمى نفسه « الوطنيين الأحرار » هو ممثّل الإستعمار ويكفى أن رئيسه هو كميل شمعون .. !

□ والذين يقودون القتال ويتحدثون عن الصمود .. لم يطلق أحدهم رصاصة . فهم يقاتلون حتى آخر فقير لبناني .. والمأساة أن بين حسين ألف ليس بينهم قتل له أسم .. أى من عائلة من العائلات التي تحكم وتتحدث عن القتال وتجنّب ثمن الضحايا !

ثانياً : إن الأرقام في لبنان لغة هيروغليفية غير معروفة إلا بالنسبة لأسعار العملات الأجنبية . فهي دولة بلا احصاءات حقيقية .. والرقم الحقيقي إن أمكن الوصول إليه — وهو المستحيل بعينه — فهو سلاح مدمر للأكاذيب التي يقوم عليها الكيان .

فالأرقام هناك لا بد أن ينظر إليها بالشك وأن تؤخذ بحذر . فالرقم يتحول من دليل عن الواقع إلى موقف سياسي في طرق ملتوية والتلاعب بالأرقام بلا حدود حتى ولو كانت أسعار الدولار !!

ثالثاً : الموارنة يتحدثون وكأنهم كل المسيحيين مع أنهم طائفة من ١٣ طائفة مسيحية . كما أنهم ليسوا أكبر الطوائف بل هم من بين أكبر الطوائف حيث تتساوى معهم الأرثوذكسية . وإن دافعوا عن انعزاليتهم تسروا وراء المسيحية وإن تحدثوا عن الانتماء تبرأوا من الجميع .

رابعاً : انه رغم استمرار الحرب ما يقرب من العامين فإن «الإعتماد» الاعلامي مفروض على المأساة . فثبات المقالات التي نشرت هي معالجة للأخبار والكتب التي ظهرت لم تمس صلب المشكلة . فع حركة النشر الهائلة في الولايات المتحدة لم تنشر سوى دراسة واحدة عن صورة مجتمع لبنان دون مساس بالمأساة وفي بريطانيا كتاب واحد عن ندوة حول مقومات البنيان اللبناني . وليس العذر في المعلومات لأنها موجودة ولا في الإمكانات فهي هائلة .. فلماذا التعتيم الدولي ، والملاحظة أن أغلب الكتب مجرد يوميات أو مذكرات أو مقالات وليست هناك دراسة بينها .. !

الجواب ربما كان في مثل شعبي لبناني بعث به سليمان فرنجية الى الرؤساء الأربعة العرب المجتمعين يومها في الرياض وسمعته منه ..

«إن جارك حلق ، بل لحيتك» أى على حد تعبير سليمان فرنجية الدور عليكم — ! — بل أكاد أراها تتكرر على مساحات عديدة فى العالم الثالث .

ولكن .. لماذا لبنان على وجه خاص .. لأنه ببساطة نقطة تجمع لكل خطوط سياسات المنطقة العربية (١) .

فلسطين هو البلد الوحيد على خط المواجهة الذى تجد المقاومة الفلسطينية لها فيه موطئ قدم ، وقاعدة عمل .. مصر بعيدة .. سوريا لها ظروف تقدرها لنفسها .. الأردن مغلق . ويبقى لبنان وحده .

وبحكم أن لبنان هو المركز الوحيد الباقى لتواجد المقاومة الفلسطينية فإن المقاومة تكشف وجودها فيه بطريقة ظاهرة — وهذا منطقى — لأن وجودها فيه يكاد يكون معظم وجودها نفسه .

ولبنان المفتوح على الدنيا مركز مواصلات مهم ، وبالتالي فالصوت مسموع قادر على تذكير العالم الخارجى — لكى لا ينسى — بأن هناك طلائع للشعب الفلسطينى مازالت تحمل السلاح

وفى نفس الوقت تعيش المقاومة الفلسطينية مشكلة معقدة ، لأن بعض الدول العربية تحاول أن تستعملها بأكثر مما تساعدنا إلى درجة أن أصبح لبعض الدول تنظيمات تدعى لها بالولاء أكثر مما تنتمى إلى الثورة التى تحمل اسمها . والمقاومة وسط ذلك تحاول أن تحتفظ باستقلالها . ولكن المناورات من حولها خشنة .

هذا إلى جانب أن المقاومة بتأثير السياسات العربية المختلفة تعانى من تناقضات فى صفوفها . وهى لا تستطيع حسمها بسهولة ، وألا وجدت نفسها فى حرب أهلية فلسطينية داخل حرب أهلية عربية . وبالتالي فإن هناك تصرفات تقع

لا تريد لها القيادة المسئولة للمقاومة، ولكن المأزق الحقيقي هو أنها لا تستطيع أن تمنعها ولا تستطيع أن تحاسب عليها.

والمقاومة تحاول قدر ما تستطيع وتسمح له الأحوال العامة وأحوالها الخاصة أن تقوم ببعض العمليات ضد العدو. ولأن وجودها في لبنان ظاهر — مرئي ومسموع — فإن العدو يختار لبنان هدفاً لضربات الإرهابية، فضلاً عن أنه يريد مطاردة المقاومة الفلسطينية من آخر معقل مفتوح أمامها على خط المواجهة. والمقاومة تتحمل، وهي ترى أن لبنان عليه أن يتحمل لأنه قبل أي شيء وبعد كل شيء خط على المواجهة العربية، وليس مثيلاً لهونج كونج على شاطئ الأرض العربية. وحتى لو كان فيه من يتوهم نموذج هونج كونج فإن الوهم ضائع، لأن مطاعم إسرائيل في لبنان داهية.

ولبنان يحكم السيطرة المارونية يريد أن يعيش على الأموال العربية فيتعامل بها دون أن يدخلها في دائرة السياسة العربية. فهو عرق اقتصاديا ولكنه أوروبي سياسيا، أو على حد التشبيه اللبناني .. «دور اليهود العرب» ..

والمصلحة الذاتية أيضاً أصبحت عاملاً مؤثراً فلبنان يعيش على مصدرين فهو جبل وبحر للسياحة .. ثم إنه بنك وميناء للتجارة .. وكلتاها (السياحة والتجارة) لا تحب فرقة القنابل ..

ووسط بحر التناقض على ساحة لبنان، تغيرت الأهداف، وتبدلت الخطط في المنطقة فإذا بالمطلب الماروني الذي كان بالأشجعية يصبح رغبة مكبوتة في عواصم عربية كثيرة .. وتوافقت الأهداف العربية والمارونية مع أهداف أخرى خارج المنطقة، ما كانت إسرائيل تحلم يوماً، أنه تجتمع معها على الهدف كل هذه الأطراف في المنطقة وخارجها وإن كان لكل منها أسبابه فالعبرة بالنهاية. وكانت الساحة اللبنانية يحكم خصوصية الصورة ويحكم عوامل التأثير والحركة فيها أنسب الساحات بل تكاد تكون الساحة الوحيدة المتاحة، أملاً في أن يتحول إعلامها من

الضجيج إلى التصفيق .. ويسارها من الحركة إلى الجمود وراء القضبان ، أما المقاومة فتعود إلى لاجئين .. بند إنساني من بنود القرار ٢٤٢ . و يصبح المطروح هو توزيع الفلسطينيين على الدول الأعضاء في الجامعة العربية (٢) .

والملاحظة الخطيرة في اعتقادي أن كل الأطراف التي لعبت دورا في المساء كانت تتحرك من منطلق حسابات ذاتية ومصالح خاصة دون النظر إطلاقا للمصلحة العربية العامة أو دون نظرة شمولية وربما كان السبب هو غياب هذه النظرة أو بمعنى آخر عدم وجود استراتيجية عربية واحدة .

وكانت الحرب الأهلية .. أزمة تفاعلت فيها مقومات داخلية لبنانية وإقليمية عربية وغير عربية ودولية . كما أنها باستمرارها ما يقرب من العامين تعرضت لأكثر من أسلوب للحل . ولذلك فهي تعتبر بحق « نموذج جديد » للازمات الدولية يمكن أن يعاد تطبيقه بأبعاد مختلفة في مواقع أخرى من العالم العربي ومن العالم الثالث حيث تتوفر معظم عناصر الأزمة .. مثل الكويت وسوريا ومصر والهند و بوجوسلافيا بعد تيتو . كما أن الأزمة بحكم تعدد أبعادها فهي قد دخلت في نطاق مشاكل أكبر . فهي قد أصبحت حلقة على طريق مشكلة الشرق الأوسط وأسوأها مطروحا لتجربة وضع حل سواء بإنهاء العرب في حرب استنزاف عربية أو في تصفية جسدية للشعب الفلسطيني وعلى وجه خاص « المقاومة » .

وقد جعل ذلك كله من مأساة لبنان نموذجا حيا بالغ الأهمية للدراسة التفصيلية وإن كان بالغ الصعوبة أيضا نتيجة الشعب الذي يهدد بالتشتت ، والتعدد الذي يخيف من الضياع .

وتجنبنا لكل المحاذير أو أغلبها على الأقل وضعت منها متعدد الأبعاد والأماليب :

أولا : البحث الميداني .. بمعنى زيارة المواقع ومعايشة الأحداث على الواقع

اعتمادا على أن الرؤية تختلف كثيرا عن السمع .
ثانيا : اختيار كل قيادات التنظيمات اللبنانية والفلسطينية باستثناءات
محدودة . لتنظيمات لا وزن لها في الساحة ولم يكن لها دور حقيقي في
الحرب وقد أعددت قائمة من الأسئلة دار النقاش حولها مع هذه
القيادات وفعلا التقيت بالشخصيات التالية :

* عن جبهة لبنان :

عن الوطنيين الأحرار	— كميل شمعون
رئيس الجمهورية	— سليمان فرنجية
قائد الجبهة وابن پيرا الجميل	— بشير الجميل
عن الرهبان	— الالباق شربل الجميل

* عن القيادات الإسلامية :

رئيس الوزراء وقت بداية الأحداث	— رشيد الصلح
رئيس الوزراء خلال الأحداث	— رشيد كرامي
زعيم الشيعة ورئيس حركة المحرومين .	— الإمام موسى الصدر

* عن الحركة الوطنية :

زعيم الحركة وكان اللقاء معه بالقاهرة قبل اغتياله	— كمال جنبلاط
منظمة العمل الشيوعي	— محسن ابراهيم
عن الحزب الشيوعي اللبناني	— نديم عبد الصمد
الناصرين المستقلين (المرابطين)	— د . سمير صباغ

* المقاومة الفلسطينية :

منظمة فتح	— أبو جهاد
منظمة فتح	— أبو إياد
الجبهة الشعبية	— د. جورج حبش
الجبهة الديمقراطية	— ياسر عبد ربه

والقوى التي لم ألتق بقياداتها فهي جميعا التي تتحدث بلسان سوريا وقد رأيت قراءة الرأي السوري من مصادره الأصلية بدون وسيط . والملاحظة التي تفرضها الأمانة العلمية هي أن الحوار لم يتم مع الإمام الصدر وتعذرت العودة إلى اللقاء كما أن زهير محسن رئيس منظمة الصاعقة اختفى تماما في موعد اللقاء .

وقد التقيت بعشرات الشخصيات التي لا تنتمي إلى أحد من التنظيمات وتعبّر بصدق عن رأى الشارع بكل اتجاهاته بعيدا عن الضغط والتأثير .

وهذه هي قائمة الأسئلة التي دار حولها النقاش :

- ١- هل كان حادث أتوبيس عين الرمانة - ابريل ٧٥ - نتيجة انفجار أوضاع لبنان الداخلية أم وليد تدبير خارجي ؟
- ٢- هل كان من الممكن معالجة الحادث أم أن ماترتب عليه كان أمرا لا يمكن منعه ؟
- ٣- هل كان في قدرة وزارة رشيد الصلح احتواء الأزمة في بدايتها ؟
- ٤- ماهى الأسباب وراء استقالة وزراء الكتائب والأحرار والموارنة من وزارة الصلح وعلاقة ذلك بتصعيد الأزمة ؟
- ٥- خلال الأزمة ماهى القوى التي وقفت وراء فكرة التقسيم والقوى التي رفضتها .
- ٦- ماهى مصادر السلاح بالنسبة لكل القوى المتصارعة ومن أين جاء التمويل ؟
- ٧- كيف اجتمعت الاقتصاد اللبناني تكاليف الحرب وما هو معدل التكلفة اليومية لها خلال ١٩ شهرا ؟

- ٨- ماهودور سليمان فرنجية في الأزمة؟
- ٩- لماذا لم تلتزم كل الأطراف بالوثيقة الدستورية التي تم التوصل إليها بينهم في فبراير ١٩٧٦؟
- ١٠- لماذا رفضت جبهة الحركة الوطنية الدخول في مفاوضات مع جبهة اليمين في فبراير- مارس ١٩٧٦؟
- ١١- هل كان قرار إنزال الجيش- أكتوبر ٧٥- قرار لوقف الحرب أم تصعيدا
- ١٢- ماهي حقيقة انقلاب عزيز الأحذب وأثره على الأحداث؟
- ١٣- هل صحيح ما يقال إن أعضاء مجلس النواب تعرضوا لأنواع مختلفة من الضغوط لانتخاب رئيس جديد للجمهورية. ومن كان وراء هذه الضغوط إن وجدت؟
- ١٤- لماذا غيرت سوريا موقفها من الوساطة إلى التدخل العسكري؟
- ١٥- لصالح من كانت نتيجة التدخل العسكري السوري؟
- ١٦- لماذا لم تتدخل إسرائيل عسكريا رغم وجود القوات السورية في لبنان؟
- ١٧- لماذا لم يتدخل الأسطول السادس الأمريكي في لبنان طوال الأزمة؟
- ١٨- هل يعتبر تصور مؤتمر الرياض والقاهرة للقمّة العرب- أكتوبر ١٩٧٦ هو حل للأزمة أم تعريب للدور السوري؟
- ١٩- ماهي نسبة القوات السورية عدديا من قوات الردع العربية؟
- ٢٠- هل قوات الردع العربية وجود يدعم إمكانيات الحل أم مجرد وقف إطلاق النار أم تغطية للدور السوري؟
- ٢١- هل تم جمع الأسلحة الثقيلة من كل الأطراف؟
- ٢٢- هل اغتيال كمال جنبلاط عمل لإشعال الحرب من جديد أم خطوة في تصور المرتكبين لوضع حل معين للأزمة؟
- ٢٣- ماهي الوسائل العملية الفعالة لتنفيذ اتفاق القاهرة ١٩٦٩ بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية. وماهي تفسيرات مؤتمر الرياض ١٩٧٦ - لبنود الاتفاق؟

- ٢٤- هل كانت الحرب اللبنانية صدام مسلح لحل مشكلات الوضع اللبناني أم هي موجهة في الأساس لتصفية الوجود الفلسطيني .
- ٢٥- هل كانت الأزمة مرحلة حتمية على طريق التسوية الشاملة لازمة الشرق الأوسط ؟.
- ٢٦- هل المرحلة الحالية مجرد هدنة لالتقاط الأنفاس أم نهاية للحرب وبداية للعمل السياسي ؟
- ٢٧- مشكلة الجنوب وما هو دور القوى المتصارعة فيها ؟
- ٢٨- لماذا يستمر القتال في الجنوب دون تحرك عرني أولبناى لوقفه ؟
- ٢٩- هل مازالت قاعدة «لاغالاب ولا مغلوب» قائمة على ضوء ما انتهت إليه الحرب ؟
- ٣٠- هل كان ممكنا وقف القتال بمجهود عرني قبل ذلك بكثير لو أريد ذلك أم كان مستحيلا قبل ١٩ شهرا ؟
- ثالثا : جمعت كل تصريحات القيادات اللبنانية لمعارفها بالإجابات التي حصلت عليها ومحاولة رؤية التغير في الآراء والبحث عن الزيد من التفاصيل .
- رابعا : ساعدنى الزميل محمد السعيد ابراهيم والزميلة علوية فرحات بمركز الدراسات السياسية بالأهرام بجمع المادة المنشورة من الصحف والمجلات.
- خامسا : جمعت الوثائق التي أمكن الحصول عليها وموجود عينات منها فى ملحق الكتاب والآخر موجودة مقتطفات منه فى صلب الكتاب .
- والحقيقة أنه لولا مساعدة الأصدقاء فى بيروت لما كان ممكنا الالتقاء بالشخصيات التي القيت بها وبخاصة وأن الانتقال من المنطقة الغربية إلى الشرقية والعكس يكاد يكون مثل الانتقال بين دولتين . وما كان أيضا لولا حماسهم للبحث ممكنا الحصول على الوثائق التي حصلت عليها .

وأمل أن أكون قد نجحت في تحقيق جزء من أمل الأصدقاء في أن
تقدم الدراسة جزءاً من الحقيقة التي لا يريد أحد كشفها .. والكتاب
محاولة لعلها تفتح الطريق لغيري ليكمل ما لم أستطيع الوصول إليه .

د . سامي منصور

الفصل الأول

المذبحة .. على الطريق

إن الدراسة الموضوعية للحرب الأهلية في لبنان لابد وأن تبدأ من فترة سابقة على أحداث المذبحة نفسها التي بدأت رسمياً - بحادث عين الرمانة في ١٣ إبريل سنة ١٩٧٥ ، حين هاجمت مجموعة من حزب الكتائب سيارة تقل عدداً من الفلسطينيين . وأدى الهجوم إلى قتل ٢٦ وجرح ٢٩ من ركاب السيارة من سكان تل الزعتر . فحرب على هذا القدر من الضخامة ، إذا استمرت ١٩ شهراً تكلفت ٣ مليون دولار يومياً غير الخسائر وقتلت ٥٠ ألف إنسان فهي لا يمكن أن تبدأ من فراغ ، بل لابد أن يسبقها إعداد وتدريب وتعبئة وقبل ذلك كله تخطيط . وهي أيضاً أكثر مراحل الحرب صعوبة في الدراسة والمتابعة لأنها تتكون من قطاعين أحدهما علني وهو الأصغر والآخر سري وهو الأخطر

ولعل أهم تحفظين على منهج دراسة هذه المرحلة هما :

- ١- صعوبة قبول عدد من الأحداث تحت عنوان «الصدفة». فصدفة أو اثنتين يمكن قبولها على أساس أن الصدفة محتملة وهي أحياناً تؤثر على اتجاه الأحداث، ولكن المؤكد أن مجموعة من الصدوف تصبح ظاهرة، يصعب قبولها إلا من باب السذاجة وتصور أن الصدفة يمكن أن تصنع التاريخ.
- ٢- خطورة الوقوع فريسة المنهج التأمري في تفسير التاريخ. خاصة وأن طبيعة المذبة اللبنانية ونوعية أطرافها صانعة الأحداث تمثل مركز جاذبية وإغراء بذلك.

ومحاولة لتجنب كلا المحظورين كان لابد من حصر المتابعة على تحرك الأطراف الأصلية للأزمة وفي إطار صلب المشكلة نفسها دون خروج عن ذلك، رغم أن النظرة لشمولية للمنطقة تجسد المواقف وتكشف الأبعاد إلا أنها أيضاً تفتح الأبواب للمحاذير

وبداية لابد من بحث عن نقطة بداية للأحداث يمكن الوقوف عندها ثم الانطلاق منها بحثاً عن الحقيقة. صحيح أن فصل حدث عن سلسلة الأحداث هو نوع من يرد ذراع عن جسد حي، ولكنها ضرورة لا مفر منها. والصعوبة هي أن هناك خلافاً بين أطراف الصراع على نقطة البداية. فهناك من يرى أن وفاة جمال عبد الناصر- ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠- فتحت الأبواب للاحتمالات تصفية الوجود الفلسطيني، وضرب التيار الوطني على أرض لبنان بعد مذابح الأردن. وهناك من يرى أن اغتيال الملك فيصل في ٢٥ مارس سنة ١٩٧٥ هو إشارة البداية لتحرك تيار التصفية. وبين هذا الرأي وذلك آراء متعددة لعل أقربها إلى الصواب في اعتقادي هو أن أحداث سنة ١٩٧٣ هي البداية وخاصة أن لها جذورا تعود إلى سنوات سابقة. ولها امتداد ابتلع العام التالي حتى وقّع الانفجار مباشرة وأبرز الأحداث التي رجت اختيار نقطة البداية في هذا العام هي:

- ١- قيام الجيش اللبناني في شهر مايو سنة ١٩٧٣ بمحاولة تصفية المقاومة

الفلسطينية على أرض لبنان أو على الأقل تهجيرها . ونتيجة عجز الجيش عن القيام بالمهمة تكونت ميلشيات للأحزاب لتقوم بما عجز الجيش عن القيام به أو مساعدته على أقل تقدير .

٢- قرار مؤتمر القمة العربي بالجزائر في نوفمبر سنة ١٩٧٣ باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني واعتراض الأردن على ذلك وبداية أزمة سياسية حادة أثبتت استحالة إقناع الأردن برأي الأغلبية مما يترتب على ذلك من أحداث كثيرة .

٣- تغير الدبلوماسية الأمر يكية في إطار استراتيجية السياسية الأمر يكية في الشرق الأوسط فتم تعيين عدد من السفراء في دول المنطقة لبعضهم تاريخ ...!

٤- بداية سلسلة اعتداءات إسرائيلية ، لها طبيعة خاصة ، على الفلسطينيين في لبنان .

٥- اندلاع حرب إعلام عربية تركزت على وجه خاص على ساحة صحف لبنان وقد ارتبطت بظاهرة انتشار الخلافات بين الدول العربية والتي وصلت إلى حد التهديد باستخدام القوة بين الجيوش العربية التي يجمعها اتفاق الدفاع المشترك !

هذه هي الأحداث التي رجحت في اعتقادي اختيار سنة ١٩٧٣ كنقطة انطلاق نحو المذبحة الأهلية التي شهدتها لبنان . وهي أحداث لا يمكن المرور عليها بهذا القدر من التبسيط والذي يصل إلى درجة التسطيح . ولذلك فلا بد من وقفة مع كل حدث منها يحشا عن تفاصيله لعلها تبرز مدى عمق جذوره واتصالها بخيوط الأحداث الكبرى للمذبحة .

أولاً : وقع صدام مسلح بين الجيش اللبناني وقوات المقاومة الفلسطينية في ٢ مايو ١٩٧٣ ، وقد تبادل الطرفان الاتهامات . فوزير الدفاع - فؤاد غصن - أعلن أن الحكومة اعتقلت عددا من رجال المقاومة قرب

السفارة الأمر يكية وذلك في ٣٠ أبريل . وفي أول مايو قام عدد من الفدائيين بخطف رقيب بالجيش اللبناني ، وبعد ذلك بساعات خطف رقيب آخر وقال وزير الدفاع إنه في أعقاب هذه الاستفزازات غير المسؤولة اتخذ الجيش اللبناني إجراءات أمن استثنائية في بيروت . وفي مواجهة ذلك أعلنت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في نفس اليوم بياناً قالت فيه إن وحدات من الجيش اللبناني معززة بالدبابات والمصفحات قامت بمحاصرة منطقة صبرا وشاتيلا . وقد حاولت اختراقها تحت ستار كشيء من النيران ومدفعية الدبابات وقد استهدفت من هذا الهجوم بعض مكاتب منظمات المقاومة ونجيمات اللاجئين . وفي المساء تم الاتفاق على وقف القتال إلا أنه في اليوم التالي - ٣ مايو - قام سلاح الطيران اللبناني بقصف مركز على نجيمات اللاجئيين في بيروت ثم تجددت الاشتباكات من جديد وقام الجيش بضرب نجيم «ضبية» الواقع على بعد ١٠ كيلومترات شمال بيروت ثم نجيم «تل الزعتن» شرق بيروت .

وقد ذكرت جريدة الاهرام - ٤ مايو - أن الرئيس سليمان فرنجية قال لمجلس الوزراء إن زوجة الزعيم الفلسطيني خالد بشرطى الذى استشهد في الأردن سنة ١٩٧٠ قد قتلت في صدامات الجيش اللبناني والمقاومة . وأنها قتلت برصاص مجهول عند منزلها وهي عائدة إليه من القصر الجمهورى . وذكرت الصحيفة أنه تبكشف خلال الاشتباكات أن محاولة قام بها اثنان - ظهر أنها من عملاء المخابرات الأردنية - لاعتقال النائب اللبناني نجاح واكيم - المعروف بميله الناصرية - وقد تمكن النائب ومعاونوه من القبض عليها ونقلها إلى المستشفى للعلاج .

وانتقلت عمليات الجيش اللبناني في اليوم الثالث إلى الجنوب حيث قامت

وحداته مدعمة بالطائرات بضرب مواقع المقاومة في الجنوب وفي المساء تم التوصل إلى اتفاق جديد لوقف إطلاق النار إلا أنه في اليوم التالي وقعت عدة عمليات عسكرية غامضة تستهدف إثارة الاضطرابات في الوقت الذي تجرى فيه المحادثات بين الطرفين لإنهاء الأزمة. إذ قام مجهولون بعدة عمليات ضد مواقع للجيش اللبناني ومبان حكومية ومراكز للمقاومة. وقد أذاعت مصادر المقاومة تحذيراً من عملاء أردنيين يطلقون النار على الجانبين لاستمرار اشتعال القتال. وذكرت مصادر المقاومة أن إذاعات غربية ظهرت توجه بيانات استفزازية تنسبها إلى المقاومة وتروج معلومات كاذبة فقد أذاعت مثلاً أن محاولة جرت إغتيال ياسر عرفات كما اتهمت الرئيس سليمان فرنجية بأنه يحاول إضفاء الطابع الطائفي على الأزمة.

وقد أمكن خلال ذلك التوصل إلى اتفاق بين المقاومة والجيش اللبناني ولكن القتال تحدد بعد خمس ساعات فقط من الاتفاق وعادت الانفجارات تغطي كل المواقع بين الجانبين. وقد تصادف حسب رواية الأهرام أن تجدد القتال وقع بينما ياسر عرفات في اجتماع مع صائب سلام رئيس وزراء لبنان السابق وريون إده رئيس حزب الكتلة الوطنية. وقد قام ريون إده بالاتصال بالعماد اسكندر غانم قائد الجيش تليفونيا أمام الجميع وأبلغه قائد الجيش أن وحدة من الجيش اللبناني متمردة ترفض الالتزام بالاتفاق وهي المسؤولة عن إطلاق النار. وقد طلب ياسر عرفات فوراً من قوات المقاومة ضبط النفس وعدم الرد وقال للحاضرين «إنهم يريدون أن يجرونا إلى معركة ولا بد أن نفوت الفرصة عليهم».

وتطورت الأحداث إذ عادت الاشتباكات واشترك الطيران اللبناني في قصف مواقع المقاومة. ووقعت عمليات نفس شملت ٣ بنوك وفي ١٢ مايو نقلت وكالة الأنباء الفرنسية خبراً من واشنطن بأن وزارة الدفاع الأمر يكية تعزم إرسال أسلحة خفيفة إلى لبنان لمساعدته في مواجهة قوات المقاومة وأن تسليم الأسلحة سيتم في القواعد الأمر يكية في اليونان وإيطاليا وذلك لتجنب تعرض الطائرات أو السفن الأمر يكية التي تنقل الأسلحة لأذى حادث. وفي المساء تقي فؤاد غصن — وزير

الدفاع اللبناني - هذا النبأ وقال إن وزارته لم تقدم أى طلب بهذا الصدد إلى الحكومة الأمريكية.

وأمكنّ بجهود عربية وتدخل أمين الجامعة العربية احتواء الأزمة مع منتصف مايو وتم التوصل إلى اتفاق عرف باتفاقية «ملكارت» المحلقة باتفاق القاهرة ١٩٦٩. وأهم ما جاء في الاتفاق الجديد الذى نشرته الخارجية اللبنانية ضمن ملاحق «الكتاب الأبيض اللبناني» عن الوثائق الدبلوماسية حول الأزمة اللبنانية الفلسطينية ٧٥-١٩٧٦ هو «اعتماد الميليشيا لتأمين حراسة المخيمات» ويعنى بالميليشيا بعض الفلسطينيين قاطنى المخيم وغير المنضوين فى فصائل المقاومة والذين يمارسون أعمالهم المعتادة نهاراً، كما نص الاتفاق على عدم وجود الأسلحة المتوسطة والثقيلة فى المخيمات. وحددت مواقع تمرکز المقاومة فى نقاط محددة. الأهم من ذلك هو قرار بتجميد كافة العمليات الفدائية من الأراضى اللبنانية استناداً إلى مقررات مجلس الدفاع المشترك حسب رواية كتاب الوثائق اللبناني. كما وضعت ضوابط على الإعلام الفلسطينى فى لبنان والغريب أن اتفاقاً ثنائياً قد تم التوصل إليه بين المقاومة والكتائب فى يونيو سنة ١٩٧٣ على ضوء أحداث مايو المؤسفة على حد تعبير البيان المشترك (١) عن الاتفاق، وقد اعترفت فيه الكتائب مع الفلسطينيين على أن إسرائيل ليست خطراً على الفلسطينيين وحدهم بل على الدول العربية كلها وخاصة لبنان.

وأكد الاتفاق بين الكتائب والمقاومة على حق الشعب الفلسطينى فى النضال لاسترداد أرضه وضرورة الدفاع عن لبنان وسلامة أراضيه. والمهم أن الكتائب سجلت فى البيان المشترك ضرورة تجنب الوقوع فى الفخ الإسرائيلى الذى يهدف إلى افتعال الاقتتال بين الأخوة على الأرض اللبنانية بغية تفتيت الوجود اللبناني وتوطئة لإعادة تركيب خريطة المنطقة. وأشار البيان إلى أن الاعتداءات الإسرائيلىة على جنوب لبنان ليست بسبب التواجد الفلسطينى إنما مصدرها أطماع إسرائيل فى جنوب لبنان.

وكانت المفاجأة أن الكتائب طلبت عدم إذاعة البيان وقت توقيعه حتى لا تصدم كوادرها التي جرى تعبئتها خلال أحداث مايو ضد الفلسطينيين وأن الأمر يحتاج لبعض الوقت لحديث المنطق والعقل ، ولكن الوقت مضى وهذا البيان لم يمر النور حتى الآن بل وأصبح سرا من الأسرار في سياق أحداث وصدام سنة ١٩٧٣ . وأهمية هذا الصدام رغم أنه انتهى دون تغيير جوهرى في الموقف هي أنه أوضح كثيرا من الحقائق . كما ترتبت عليه أيضا كثير من السياسات والمواقف ولكل ما يدخل في إطار موضوعنا من هذا كله هو :

أن في دائرة السلطة الحاكمة في لبنان قيادات ترفض الالتزام بما وقعت عليه بالقبول وأعنى اتفاقية القاهرة - ٦٩ - بين لبنان والمقاومة بل وتدعى أنها في الأساس لم تكن موافقة مع أن الاتفاق عرض على البرلمان وتمت الموافقة عليه من كل الأطراف .

والواقع أن الوجود الفلسطينى في شكل التنظيم الفدائى قد وجد على الساحة اللبنانية في مناخ خاص عاش فيه العالم العربى نتيجة هزيمة سنة ١٩٦٧ ومنذ اللحظة الأولى لهذا الوجود وجدت معه بذور التناقض مع مصالح الفئة الحاكمة في لبنان . والتي رأت في تنامي هذا الوجود خطراً على كل مقومات وجودها . ويقول العقيد فؤاد لحود رئيس لجنة الدفاع في مجلس النواب اللبناني ، ويمثل حزب كميل شمعون في كتابه «مأساة جيش لبنان» إن الدعوة في سنة ١٩٦٨ لإطلاق حرية العمل الفدائى في لبنان والتي كانت تقف خلفها الحركة الوطنية اللبنانية والجماهير العربية المتعاطفة معها ، هذه الدعوة أدت الى قيام حلف ثلاثى مارونى من كميل شمعون وبير الجميل وريون إدة وكانت أهداف الحلف :

- الوقوف بوجه تجاوزات الفدائيين لأن ذلك يشكل خطرا داخليا وخارجيا بالنسبة لإسرائيل .
- الوقوف بوجه التيار الشهابى على أبواب الانتخابات النيابية في تلك السنة تخميرا لانتخابات الرئاسة سنة ١٩٧٠ .

و يقرر فؤاد لحود أن الأهداف التي رسمت للحلف جعلته يحقق انتصارات واسعة في الانتخابات النيابية . و يضيف لذلك أن الحلف لاقى تأييدا من الدول العربية اليمينية حيث وجدت فيه مناصرا ضد اليسار . وإن كان لم يحدد التصور من وجهة نظره للدول العربية اليمينية ، وكانت النتيجة من وجهة نظره أن انتصارات الحلف في الانتخابات والدعم العربي اليميني له جعله يتصلب مطالبا بالحد من انطلاق العمل الفدائي من لبنان .

وقد ساعدت اسرائيل على دعم هذا التيار بأن قامت بغارتها على مطار بيروت في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٦٨ حيث قامت فرقة المهبوط بالهليكوبتر في المطار ودمرت ١٣ طائرة ركاب ونقل تابعة لشركة طيران الشرق الأوسط اللبنانية وذلك بدعوى الانتقام لعملية قام بها الفلسطينيون في أثينا قبل ذلك بيومين .

وفي أبريل سنة ١٩٦٩ أعلنت جميع المنظمات الفلسطينية قيام قيادة الكفاح المسلح وبعد أيام قامت السلطة اللبنانية بافتعال صدام مع المقاومة بهدف تقييد الوجود العسكري الفلسطيني في جنوب لبنان إلا أن غضبة الشارع اللبناني التي تمثلت في مظاهرات اصطدمت بقوات الأمن أدت الى استقالة رئيس الوزراء ورفض كل رؤساء الوزارات - الستة - قبول تشكيل الوزارة مما جعل الأزمة الوزارية تستمر ٢١٥ يوما . وخلال ذلك استمرت المناوشات التي تحولت مع شهر أكتوبر إلى صدامات مسلحة في الجنوب وعلى طول الحدود مع سوريا وفي المخيمات . ولكن إنحياز قطاع كبير من الشعب اللبناني إلى جانب العمل الفدائي إلى جانب الأزمة الوزارية التي جعلت حكم شارل حلو في مواجهة أزمة لا يقدر عليها . فالجيش لم يستطيع حسم القتال . ومنع التجول لم يوقف الصدامات . وتحت ضغط الأزمة والضغط العربي الرسمي والشعبي طلبت لبنان وساطة مصر . وفي ٣ نوفمبر توصل المفاوضون (٢) إلى اتفاق سرى عرف باتفاقية القاهرة (٣) وقد تحقق بالاتفاق حق العمل والإقامة والتنقل للفلسطينيين المقيمين في لبنان وقت توقيع الاتفاق وذلك وفقا لتسهيلات سجلها الاتفاق في ١٣ بنداً . كما يتم إنشاء

لجان محلية من الفلسطينيين في المخيمات لرعاية مصالح الفلسطينيين وذلك بالتعاون مع السلطات المحلية وضمن نطاق السيادة اللبنانية . وتوجد نقاط للكفاح المسلح داخل المخيمات تتعاون مع اللجان المحلية لتأمين حسن العلاقة مع السلطة . وتتولى هذه النقاط موضوع تنظيم وجود الأسلحة وتحديد لها في المخيمات . والمهم أن الاتفاق ينتهي إلى تسجيل أن الطرفين يؤكدان أن الكفاح المسلح الفلسطيني عمل يعود لمصلحة لبنان كما هو لمصلحة الثورة الفلسطينية والعرب جميعهم .

وكان أهم ما انتهت إليه الأزمة الأولى مع المقاومة هي :

- تثبيت مواقع المقاومة في لبنان وانطلاق العمل الفدائي منها .
- تحديد القوى التي تتصدى حتى بالسلاح للعمل الفدائي الفلسطيني وهي الحلف الماروني والدول العربية اليمينية حسب تعبير فؤاد لحود - وإسرائيل .
- أن الوجود الفلسطيني في لبنان أصبح ورقة في الصراع على الحكم في لبنان وذلك واضح من أهداف الحلف الماروني .
- أن هناك أزمة حكم في لبنان تحاول كل القوى إخفاء معالمها ، ولعل تصريح ريمون إده لجريدة النهار - ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٧٣ تحمل كل المعاني فهو يقول تعليقا على تصريح لوزير الدفاع نصرى معلوف الذى يدعو فيه إلى مساواة اللبنانيين في حمل السلاح فيقول ريمون اده « من الآن فصاعدا كل ضحية تقع من جراء استعمال الأسلحة الحربية سيضع الرأي العام المسؤولية على عاتق حكاهم ، وربما ينزعج الحكام من هذا الأمر . ولكن ربما يأتي يوم يواجه هذا السلاح نحو صدور الحكام أنفسهم ، وعندئذ يدقون طعم الرصاص عندما يحرق جلودهم . فإذا لم يشعروا اليوم بخطورة هذه الأمور فيشعرون بذلك غدا وربما في الآتى القريب » .

وبعد ثلاثة أشهر فقط أى في فبراير سنة ١٩٧٠ قامت السلطة الأردنية بما سبق أن قامت به السلطة في لبنان وهو افتعال الصدام مع المقاومة والذي انتهى

بمذابيح سبتمبر سنة ١٩٧٠، وتصفية الوجود الفلسطيني الثوري من الأردن. وكان نجاح الأردن فيما فشلت فيه لبنان أحد عوامل تركيز الوجود الفدائي في لبنان. كما هودافع أيضا للبنان لمحاولة جديدة يتم الاستعداد لها. وظروف تتعلق بتركيب المجتمع والحكم في لبنان استغرق الاستعداد هذه السنوات الثلاث التي انتهت بأحداث سنة ١٩٧٣. وإذا كانت أحداث سنة ١٩٧٣ قد كشفت عن فريق في السلطة بلبنان يرفض الالتزام باتفاق سنة ١٩٦٩ مع المقاومة فإنها كشفت أيضا عن عجز الجيش اللبناني عن القيام بالمهمة التي نصح فيها جيش الأردن لاختلاف ظروف تركيب وتسليح كل من الجيشين. فؤكد أن جيش لبنان استخدم كل قدراته من طيران إلى مدرعات إلى مدفعية لتصفية المقاومة ولكن الصدام انتهى دون تحقيق أهدافه. صحيح أنه حقق بعض الكسب من خلال اتفاق «ملكارت» بفرض قدر من القيود على المقاومة ولكن الهدف الأصلي لم يكن إلا التصفية الجسدية مثلما حدث في الأردن، وربما أكبر. وقد تمت مناقشة مسألة عجز الجيش اللبناني على كل مستويات السلطة في لبنان تحت دعوى الخطر الإسرائيلي. وأوضحت المناقشات أن الجيش حتى لو توفر له السلاح فهو يحكم تركيبه وفقا لتركيب المجتمع اللبناني عموما في الواقع جيش بلا وحده تجمعه. وأنه إن استخدم في تصفية المقاومة فهو معرض للانقسام. وقد أوضح التقرير الشهير بالتقرير ٥٣٢ مدى عجز الجيش اللبناني عن القيام بالمهام المطلوبة منه. وأن إعادة تسليحه وتدريبه قد يستغرق سنوات إلى بجانب عدم ضمان التزامه بتنفيذ الأوامر نتيجة التركيب الطائفي لرتبه وتوزيعاته وبالتالي فليس هناك مفر من الاعتماد على الميليشيات الخاصة على أن يكون الجيش عاملاً مساعداً لها. وقد تمت مناقشة مسألة إعداد الميليشيات في اجتماعات بين سليمان فرنجية رئيس الجمهورية والعماد اسكندر غانم قائد الجيش من ناحية وفي المكتب السياسي لحزب الكتائب برئاسة الشيخ بيار الجميل ثم بين كميل شمعون وبيار الجميل من ناحية

-أخرى . وقد كشفت المناقشات أن هناك أربع مشاكل تحتاج إلى خطة تحرك وتعبئة لتدليلها حتى يمكن إنشاء ميليشيات حقيقية وهى مشاكل التمويل وجمع الشباب والتسليح والتدريب . وفعلا وضعت خطة متكاملة لذلك .

وقد تحملت جماعة الكسليك - وهى مجموعة الرهبان الموارنة - العبء الأكبر فى حملة جمع التبرعات تحت شعارات ونداءات متعددة . وقد استطاعت جمع ٥٦ مليون ليرة - ٢١ مليون دولار بأسعار ٧٣/٧٤ - لهذا الهدف وقد تبرع فى هذه الحملة عدد من الدول العربية الإسلامية وقد فرلى شرىل قسيس رئيس الرهبانيات المارونية ظاهرة الدعم الإسلامى بأن الهدف مشترك وهو محاربة الإلحاد والمادية . فقيادات هذه الدول مقتنعة أن الشارع الإسلامى فى لبنان والفلسطينيين خاضعون للشيعية ومن هنا توافقت القمة الإسلامية مع القمة المارونية فى الهدف

وتحمل حزب الكتائب المسئولية الأولى فى تعبئة الشباب للتدريب العسكرى باعتباره أكثر الأحزاب اللبنانية قدرة على ذلك بحكم بنيانه التنظيمى الفاشى .

وتولى جيش لبنان مسئولية شراء السلاح وتمويله للميليشيات التابعة للكتائب والأحرار وحراس الأربعد ذلك ثم بالاتفاق مع رئيس الجمهورية على تكليف ضباط الجيش من الموارنة على وجه خاص بتدريب الميليشيات وذلك عن طريق الإجازة أو الإعارة . بل لقد استخدم الجيش اللبناني الدعم العرى المالى والعسكرى الذى تقرر له فى مجلس الدفاع العرى فى ٥ يوليو ١٩٧٤ لصالح الميليشيات .

وقد تم إعداد دورات تدريب لميليشيا الكتائب فى ألمانيا الغربية وإسرائيل والأردن .

والواقع أن الأدوار لم تكن محددة تماما بمعنى أن من يقوم بجمع المال لا علاقة له بشراء السلاح أو التدريب مثلا بل لقد تداخلت الأدوار وقام الجميع بدورهم فى خطة التعبئة . ففى هذا الإطار مثلا قام الشيخ بيار الجميل رئيس حزب الكتائب برحلات إلى سوريا - ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٧٣ - اجتمع خلالها بالرئيس حافظ

الأسد في جلسة مغلقة ثم اجتمع وعبد الحليم خدام رئيس الوزارة ووزير الخارجية وعدد من قيادات البعث السوري . وقد ذكرت جريدة النهار في اليوم التالي أن الاجتماع المغلق بين الأسد والجميل تناول وضع المقاومة في لبنان والتعاون اللبناني السوري . وقد ذكر بيير الجميل للأسد أنه مع « المقاومة التي تريد أن تحرر الأرض لا مع المقاومة التي تريد أن تشتغل بالسياسة .. ! » ولعل نظرة إلى الصفحة الأولى لجريدة النهار في هذا اليوم تعطي انطباعا بالمناخ العام للاجتماع فتحت عنوان « مؤتمر قطري » ذكرت أن الاستعدادات تجري لعقد مؤتمر قطري لحزب البعث تطرح فيه التطورات السياسية الأخيرة . وتحت عنوان آخر « سوريا تفرض قيودا على الخبراء السوفيت » ذكرت أنه أصبح بموجب الإجراءات الجديدة لا يحق لأي خبير روسي أن يتحرك كما يشاء إلا بإذن خطي وعدد من السلطات السورية . وقالت النهار إن الأوساط السوفيتية تتخوف من حدوث تغيير بارز في العلاقات مع سوريا وأنها غير مرتاحة لوجود عناصر قيادية في الحكم السوري تسعى إلى فك الارتباط بين دمشق وموسكو . وتحت عنوان آخر « وقف توزيع وفا » ذكرت النهار أن وكالة أنباء فلسطين — وفا — أوقفت توزيع نشرتها اليومية بسبب الرقابة التي طلبت سوريا فرضها على النشرة كما أغلقت إذاعة الثورة الفلسطينية في « درعا » بسوريا .

وفي أول فبراير سنة ١٩٧٤ زار بيير الجميل القاهرة وأجرى مباحثات مع الاتحاد الاشتراكي عبر خلالها بيير الجميل عن وجهة نظره في المقاومة بلبنان . وقد التقى خلال الزيارة بالرئيس أنور السادات في برج العرب . ثم عاد إلى لبنان على طائرة مصرية خاصة .

وفي أول إبريل سنة ١٩٧٤ زار بيير الجميل المملكة العربية السعودية بطائرة سعودية خاصة وخلال الزيارة ذكرت جريدة النهار أنه زار مطار مشيط العسكري حيث استقبله الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير وجميع القادة العسكريين

للمدينة العسكرية التي وصفها النهار بأنها تعد أحدث مدينة عسكرية في الشرق الأوسط . وقد زار بئر الجميل المدينة العسكرية وأجرى مباحثات مع الأمير خالد الفيصل وفي اليوم التالي طبقاً لرواية جريدة النهار زار كلية الطيران الحربي في جدة وتفقد المنشآت والمعدات العسكرية وشاهد التدريب على عمليات إطلاق صواريخ أرض- جو الأمريكية . وقد ذكر الأمير فواز بن عبد العزيز أمير مكة له أن لبنان عزز على كل سعودي ، وكل ضرر يحل بلبنان هو ضرر للسعودية وتعمى أن يتخلص لبنان من كل مشاكله « و ذكرت جريدة حزب الكتائب أن الملك أبلغ الشيخ بئر أن اليسار اللبناني شيوعي وأن الشيوعية والصهيونية شيء واحد وهما عدو العرب » .

وفي مايو سنة ٧٤ زار بئر الجميل الأردن بطائرة أردنية خاصة وزار خلالها وحدات الجيش الأردني وطبقاً لرواية الوفد المرافق له أنه في أثناء زيارته لأحد المواقع العسكرية شاهد تدريباً عملياً على المدفعية ثم عمليات الصاعقة وقد شرح قائد الموقع للشيخ بئر قواعد التدريب وأن الموقع مفتوح لتدريب جنود الدول العربية . وسأل الشيخ بئر هل يمكن تدريب أفراد ليست لهم صفة تمثيل دولة فأجاب قائد الموقع « إن تعليمات جلالة مولانا أن تلي طلباتك جميعها حتى دون الرجوع إليه ثم التقى الشيخ بئر مع الملك حسين حيث عرضه عليه وجهة نظره في وجود المقاومة بلبنان . ثم إن كميل شمعون كان يفخر علناً بأن الميليشيا التابعة لحزبه « النور » تتدرب في الأردن (٤) . ولا بد أن يضاف إلى هذه الأدوار دور المهاجرين اللبنانيين في الخارج سواء بتقديم الدعم المالي أو الوساطة في عمليات شراء السلاح

وقد قدر انتوني ساميوسون في كتابه « سوق السلاح .. (٥) » الذي صدر في منتصف ١٩٧٧ كمية السلاح التي اشتراها جانب الجبهة اللبنانية بأنها تتراوح ما بين ٢٠٠ إلى ٦٠٠ مليون دولار ويقول إن هذه الأموال جاءت من البنوك المنهوبة ووكالة المخابرات المركزية وإسرائيل وألمانيا الغربية والفاثيكان وإيران الشاه وأن

هناك أدلة في باريس على أن جزءاً من مبلغ المليوني دولار الذي سرق من شركة داسوعن طريق محاسبتها دى فاتير قد دفع إلى الجبهة اللبنانية عن طريق المرتزقة جين كاي .

ويقول إن قدرأ كبيراً من الأموال جاء من الأنظمة العربية التي كانت مشدودة باعتبارين فهي كأنظمة إسلامية تميل إلى الفلسطينيين ولكنها كأنظمة محافظة فهي تتعاطف مع المسيحيين وهكذا قامت بتمويل المنحيين سراً . أما إسرائيل فقد كانت ترسل السلاح عن طريق ميناء جونية في حماية زوارق الدوريات الإسرائيلية . وهو ما أشار اليه أيضاً دين براون المبعوث الأمريكى إلى لبنان في حديث أذيع من واشنطن في ١٠ اغسطس ١٩٧٦ ونشر في الصحف اللبنانية في ٢٣ اغسطس .

ويقرر سامبسون أن عمليات تمويل شراء الأسلحة تجاوزت حدود إمكانيات أى فرد مهما كان غناه بل وتجاوزت حدود إمكانيات لبنان نفسه . ويشير إلى أن موارد الدعم الفلسطينى كانت متوفرة قدمت لهم من الأنظمة العربية الراديكالية . وذكر أسماء عدد من سماسرة تجارة السلاح الذين قدموا الأسلحة إلى الجبهة اللبنانية ومنهم جونيتر ليفهاوزر الألماني الغربى والذي كانت له تجارب في بيع الأسلحة الى تشويى وبيافرا والأكراد وهناك لبناني من الأرمن مقيم في نيويورك هو سركيمس سوجاناليان الذى يمثل عدة شركات أمريكية في تجارة السلاح وتولت شركات الملاحة اليونانية مهمة نقل الأسلحة .

ونصل من ذلك إلى أن القوى التي تريد تصفية العمل الفدائى تعمل بكل الإمكانيات لتحقيق هدفها رغم الاتفاقات والتعهدات وأن فشل الجيش اللبناني في أن يحقق لها هذا الهدف مثل الجيش الأردنى جعلها تلجأ إلى إنشاء الميليشيات الخاصة . ومن خلال ممارستها لإنشاء الميليشيات ظهر بوضوح أن وراء هذه القوى اللبنانية توجد قوى عديدة ذات مصلحة خاصة في إثارة الصراع على الصعيد اللبناني

وهي إن كانت خلال صدامات سنة ١٩٧٣ كان الكل يشير إليها بقوى مجهولة إلا أن عملية إنشاء الميليشيات كشفت الأستار عن الكثير مما كان مفروضا أن يبقى في الظلام

وهذا ينقلني إلى النقطة الثانية بعد صدامات ١٩٧٣ بين المقاومة والجيش في لبنان والتي رجحت في اعتقادي اختيار سنة ١٩٧٣ نقطة بداية لمذبحة لبنان الكبرى وهي قرار مؤتمر القمة العربي بالجزائر باعتبار منظمة التحرير المتحدث الشرعي الوحيد باسم الشعب الفلسطيني .

فقد عقد مؤتمر القمة في ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٧٣ ومشكلته الرئيسية هي التي طرحها وفود الملك حسين على العواصم العربية قبيل المؤتمر وهي مشكلة تمثيل الشعب الفلسطيني . ووضح للأردن في ظل نتائج حرب أكتوبر عدم قبول الدول العربية لتمثيل الأردن للفلسطينيين، ولذلك تخلف الملك حسين عن المؤتمر بعد أن وافق وزراء الخارجية على توصية بأن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني . ولذا هدد الملك حسين بمقاطعة مؤتمر جنيف ، ودارت داخل المؤتمر مناقشات طويلة انتهت بانتصار الموقف الفلسطيني وأقر المؤتمر توصية وزراء الخارجية

والمهم في موضوعنا أنه كانت هناك تحفظات بالغة الأهمية على قرارات المؤتمر . فقد تحفظ الأردن على قرار اعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . وتحفظ لبنان على قرار باعتبار كل الأراضي العربية حقا استراتيجيا للعمل القذائي . وقد تحدت سياسة كل منها تجاه منظمة التحرير . وعلى أساس هذا الموقف الذي جمع بين لبنان والأردن بشكل أو بآخر بموقف العداء من منظمة التحرير تحدت إمكانيات التعاون بينها في هذا المجال . ورغم إعلان الأردن أنها سوف تقبل الأجاء العربي بشرط أن ذلك يعني إعفاءها من أي دور مباشر من أجل التوصل إلى تسوية إلا أن رحلات الملك حسين إلى عدد من العواصم العربية بعد

مؤتمر الجزائر أوضحت إصرار الأردن على الالتفاف على قرارة الجزائر ومحاولة إسقاط كلمة «الوحيد» عن تمثيل منظمة التحرير للشعب الفلسطيني . وقد ادعى زيد الرفاعي رئيس الحكومة الأردنية في حديث له مع صحيفة « النهار اللبنانية » (٦) أن هناك تنسيقاً بين الأردن والسعودية ومصر وسوريا إلى حد أنه قال «أنه ليس عندنا ما يجعلنا نعتقد أن هذه الدول الثلاث وافقت على إقامة دولة فلسطينية ولعل أكثر زيارات الملك حسين إلى العواصم العربية التي أثارت أزمة هي زيارته للأسكندرية في ١٦ يوليو ١٩٧٤ . وقد ذكر البيان المشترك الصادر عن الزيارة (٧) » يعلن الجانبان أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي للفلسطينيين باستثناء الفلسطينيين المقيمين في المملكة الأردنية » . كما اتفق الجانبان على ضرورة التوصل إلى اتفاق فك الارتباط على الجبهة الأردنية كخطوة نحو الحل السلمي العادل . وكانت ردود الفعل التي أثارها البيان وخاصة بين الفلسطينيين حادة . ولذلك أعلن اسماعيل فهمي وزير خارجية مصر في تصريح للصحف : «أن ما ورد في البيان المشترك لا يمثل أي قيد على حق منظمة التحرير في تمثيل الشعب الفلسطيني . وأن الاستثناء الوارد بالبيان مقصور على الفلسطينيين الموجودين في الضفة الشرقية لنهر الأردن . وأن هذا الأمر مفهوم جيداً للجانب الأردني » . وقال « إن المقصود هو تمثيل المنظمة لكل الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة والخارج ذلك أن الطرف الأردني متفق على أن الضفة الغربية كانت وديعة لدى الأردن » (٨) وكان تعليق المتحدث الأردني بأنه لا يعترف إلا بالبيان المشترك .

وأهم ما يوضحه التحرك الأردني هو أن الأردن ليس يعارض قرار مؤتمر القمة بالجزائر . ويرفض قبول الإجماع العربي بل ويحاول كسب أطراف عربية إلى جانبه . ولما فشل في ذلك طرح فكرة التمثيل المزدوج للشعب الفلسطيني على أساس أن الأردن تمثل الفلسطينيين في الضفة الغربية واعتبار تحرير الضفة الغربية مسؤولية أردنية و يترك لمنظمة التحرير مسألة المطالبة بالحقوق القومية

والتاريخية للشعب الفلسطيني. وكان ذلك أيضا طرحاً تكتيكياً فقط وتؤكد ذلك حين عقد مؤتمر القمة العربي التالي بالرباط في ٢٦ أكتوبر ١٩٧٤ ومهمته الأساسية هي إنهاء النزاع بين الأردن ومنظمة التحرير.

وقد عرض الملك حسين وجهة نظره. ثم قدم عدة بدائل بأن يتم تشكيل وفد عربي موحد في جنيف أو تكوين وفد أردني فلسطيني أو وفد أردني يتفاوض عن الضفة الغربية والأراضي التي احتلت سنة ١٩٦٧ ووفد فلسطيني يتحدث عن حقوق شعب فلسطين أو خروج الأردن من المفاوضات في جنيف. وطالب الملك بتعديل قرار مؤتمر الجزائر باعتباره خطأ يجب تصحيحه. وبعد جهود مكثفة انتهى المؤتمر إلى قرار ينص على أن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. وكان رد الأردن هو أنها لن تشارك في مؤتمر جنيف. والواقع أثبت أن الأردن لم تكن جادة في تهديدها لاعتبارات كثيرة في مقدمتها أن أهمية الوجود الأردني دولياً وعربياً هي إلى حد كبير وليدة دوره الفلسطيني. وفي الوقت الذي ينتهي فيه هذا الدور فإنه سيفقد كثيراً من أهميته. هذا إلى جانب ثقل دور الفلسطينيين في الإنتاج والجيش والتجارة في الأردن وهو ما لا يمكن أن يستغنى عنه النظام الأردني..

والموقف الأردني في جوهره هو رفض منظمة التحرير بحكم المصلحة والأيديولوجية فهو صاحب مصلحة في جزء من فلسطين منذ إنشاء شرق الأردن. ثم هو لا يمكن أن يقبل فلسفة الثورة التي قامت عليها المنظمة. فهناك تناقض طبيعي بين الثورة والنظام. وتبلور ذلك في تشكيل الأردن في حق منظمة التحرير في تمثيل الشعب الفلسطيني. فهو يرى أن الشعب الفلسطيني لم تتح له فرصة الاختيار وبالتالي لابد من تحرير الأرض عن طريق الأردن ثم يستفتي الشعب الفلسطيني بعد ذلك. ولعل هذا المنطق قديم تردد في صراع الاستعمار الأوربي مع حركات التحرر في أفريقيا. وطرح الأردن دعوة فك الارتباط على حدوده مثل مصر وسوريا هما في الأساس ليضع عقبات ممثلة في

دافع عملي على له السيطرة والتوجيه في الضفة الغربية معتمدا على أن الأردن هو المقصود بقرار مجلس الأمن ٢٤٢ وأن الفلسطينيين مجرد لاجئين. كما كان واضحا أمام الأردن أن مذابح سنة ١٩٧٠ لم تحقق الهدف السياسي لها إذ بقيت الثورة الفلسطينية وكسبت اعترافا دوليا بها. وكان لابد من العمل على ضرب المنظمة بصورة أخرى وهو ما لم يعد ممكنا إلا من خلال ضربها على ساحة لبنان. وأحداث سنة ١٩٧٣ كشفت عن دور أردني في ذلك. والمهم أن هذه الصدمات أوضحت أن هناك توافقا أردنيا لبنانيا تجاه الثورة الفلسطينية.

وارتبط ذلك كله بأن عام ١٩٧٣ أيضا يعتبر عام تصعيد إسرائيل نوعية عملياتها الانتقامية ضد الفدائيين الفلسطينيين في لبنان. ففي ١١ أبريل قامت قوة كوماندوز إسرائيلية بدخول بيروت عن طريق البحر الميت. وجدت سيارات في انتظارها ونقلت أفرادها في شوارع بيروت إلى منازل عدد من قيادات المقاومة وقتلت بالفعل محمد يوسف النجار عضو اللجنة المركزية لمنظمة فتح ومسؤول الشؤون السياسية باللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ورئيس اللجنة السياسية للفلسطينيين في لبنان. وقتلت كمال ناصر المتحدث الرسمي باسم قيادة منظمة التحرير وكمال عدوان عضو اللجنة المركزية لمنظمة فتح والمسؤول العسكري والتنظيمي عن القطاع الغربي الذي يشمل الضفة الغربية المحتلة وغزة. وثبت من التحقيق الذي قامت به الحكومة أن لبعض قيادات جيش لبنان علاقة بالعملية.

وفي نفس الوقت هاجمت مجموعة من ٢٠ مسلحا منطقة صيدا وقامت بنسف مستودعات تكرير البترول. وقد أعلنت المقاومة أنها عملية قامت بها وحدة كوماندوز إسرائيلية بهدف الوقعة بين لبنان والمقاومة. والغريب أن وزارة الدفاع اللبنانية نفت بيان المقاومة. ونفت أن إسرائيل هي التي قامت بالعملية المشبوهة.

وفي ٢٥ يونيو سنة ١٩٧٤ دعا إسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل «لبنان إلى إبعاد جميع المنظمات الفلسطينية عن أراضيها».

وقد لخصت صحيفة الشعب - القدس - الخطة كلها فقالت إن .. الولايات المتحدة تعد مشروعا لوضع وحدات من مراقبي الأمم المتحدة - على طول الحدود الاسرائيلية اللبنانية وذلك بالاتفاق مع عدد من الدول العربية . وأنها تهدف بذلك إلى تجميد نشاط الفدائيين في لبنان ووضعهم في موقف لا يمكنهم من ممارسة أى نشاط، وأضافت الصحيفة أنه ينبغي على الفدائيين أن يستعدوا لإحباط المشروعات التي تستهدف طردهم من لبنان .

وقد ارتبطت نهاية سنة ١٩٧٣ وطوال العام التالى بحرب إعلامية بين الدول العربية على صفحات صحف لبنان - مما أثار غضب الرؤساء والملوك العرب . وقد سمعت من قيادات لبنانية تأكيدا بأن هذه المسألة كانت موضع مناقشة في جلسة مغلقة بين الملوك والرؤساء العرب في مؤتمر القمة بالجزائر ثم مؤتمر الرباط . كما أن أكثر من رئيس من دول المواجهة قد بعث برسائل إلى سليمان فرنجية رئيس جمهورية لبنان يلفت نظره إلى ما يتعرض له من نقد جارح في صحف لبنان . وأكد لي سليمان فرنجية هذه الشكاوى التي تلقاها من الرؤساء والملوك العرب من صحافة لبنان وتطالب بنوع من الانضباط أو بمعنى آخر الرقابة عليها .

وباجتماع هذه العناصر جميعا تكتمل الأسباب التي رجحت في اعتقادي اعتبار سنة ١٩٧٣ بداية للأحداث في لبنان . وهى تجمع خيوط الأطراف صاحبة المصلحة في مذبح لبنان الكبرى ومصدر التوجيه والتخطيط . وقد وصل الأمر إلى حد أنه حين اختار مؤتمر القمة العربى في الرباط سليمان فرنجية رئيس لبنان ليتحدث باسم العرب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة وقبل الرئيس اللبناني أن اعتبرت هذه الأطراف ذلك خروجا عن الدور المرسوم للبنان . ولإعادة فرنجية إلى داخل الطريق المرسوم ارتكبت ما لا يمكن أن يوصف إلا بالحماقة . فعين وصول الرئيس فرنجية إلى نيويورك لإلقاء خطابه المحدد له ١٤ نوفمبر فوجئ بتفتيش حقائب الوفد واستدعاء الكلاب البوليسية للقيام بعملية التفتيش بحثا عن الخشيش . كما قيل ذلك بناء على بلاغ من السفارة الأمريكية في بيروت . والغريب أنه رغم أن

الحادث لم يسبق له مثيل إلا أن الحكومة الأمريكية لم تتحرك للاعتذار عنه إلا بعد مرور أسبوعين حين عبرت وزارة الخارجية في ٢٦ نوفمبر عن أسفها . . .

وربما كان الانطباع الذي تعطيه هذه الخيوط هو إقرار بأن ما حدث في لبنان كان مؤامرة . والواقع أن إجابة قيادات لبنان عن هذا السؤال قد اختلفت . وكان هناك انجهاهان الأول يرى أنها مؤامرة تم الإعداد والتخطيط لها والآخر يرى أن المؤامرة بدأت لاستغلال الأحداث أي أن الصدام بدأ نتيجة عوامل ذاتية ثم استغلها المؤامرة وفي الاتجاه الأول كان هناك رأيان . رأى يرى أنها مؤامرة شيوعية . وكان من أطراف الإجابات ما سمعته من جماعة الكسليك — الرهبان — من أن الشعب الفلسطيني كله شيوعي وحين سألت إن كان بينهم واحد كفر بالشيوعية وانضم للاخوان المسلمين مثلا قيل لي بالقطع كلهم شيوعيون . وأغرب الإجابات ما سمعته من سليمان فرنجية الذي قال إنها مؤامرة أمريكية وشيوعية . وأن الخطة الأمريكية كانت تهدف إلى إبادة واحدة من الشعبين . فإن نجح لبنان في إبادة الفلسطينيين تكون المشكلة قد حلت ويستر يبحر الكل وإن نجح الفلسطينيون في إبادة اللبنانيين وإقامة دولة لهم في لبنان تكون المشكلة أيضا قد حلت وأن الفلسطينيين في ذلك تحالفوا مع إسرائيل ضد لبنان . . . !!!

أما رهبان الكسليك فلم يروى أكبر غرابة ، وغرابته جعلتني أقروء في كتابته حتى لا يقال إن ما سمعته بأذني كان غير صحيح إلى أن وجدت بعضا منه مكتوبا . فهم يعتبرون (١٠) ماجرى مؤامرة نسيجها الأقوياء ، اليسار الدولي ومرتنيخ القرن العشرين . هنري كيسنجر ، نفذها الفلسطينيون مع بعض الأنظمة العربية من جهة ومع بعض المحسوبين على لبنان . مع الأسف . من جهة أخرى . وتحفز الجميع للاستفادة من انهيار لبنان :

الامر يكون والروس : تفاهم على حل المشكلة الفلسطينية في إطار انقسام النفوذ في العالم .

الفلسطينيون : الاستعاضة عن فلسطين بوطن جديد على انقاض لبنان .

المسلحون في لبنان : صهر لبنان بالطابع الاسلامى ودمجه فى الامة العربية .

اسرائيل : تزيج عن كاهلها الفدائيين ومطالب الفلسطينيين .

وهو ما يفسر لى ما سمعته من الاباقى شربل قسيس رئيس الرهبانيات المارونية قوله « تأمر الكل علينا » .

ويقول الدكتور ديمون رباط خلال مناقشته الأزمة فى هيئة الحوار الوطنى وأمام جميع القيادات فى لبنان « قال لى أحد الأمر يكيين الكبار وهو يودى .. لبنان سيزول كدولة وأنا أنصحك بمغادرة لبنان . (١١)

رشيد كرامى رئيس وزراء لبنان خلال الحرب الأهلية أكد ما سمعته منه فى حديث مع مجلة الصياد « إن الأحداث كانت أقوى منا ، لأن المؤامرة كانت أكبر منا وأقوى . لقد حاولت إنقاذ البلاد . وقد نجحنا إلى حين إلا أن المؤامرة كانت أقوى منا وأكبر (١٢) .

حتى الملك حسين كان رأيه أن ما حدث كان نتيجة عوامل مختلفة بعضها داخلى والكثير منها خارجى سواء كان هذا انعكاسا فى حد ذاته .. لتناقضات قائمة فى الوطن العربى أو من جهة مداخلات من جهات أجنبية (١٣) .

أما الرأى الآخر الذى يرفض التفسير على أساس مؤامرة مطلقة كان لكل القيادات فى الحركة الوطنية وجهة الرفض — بالمعنى التقليدى الشائع — بين المنظمات الفلسطينية ومنطق هذا الرأى أن تصور ماجرى على أنه مؤامرة منذ البداية حتى النهاية هو هروب من الواقع وإضفاء صفة العبقريّة الخرافية لمخطط التآمر . فلو أعييدت الأحداث مرة أخرى لما أمكن إعادتها كما جرت . فالمسألة ليست مسرحاً ونجحاً بحكم حركة الممثلين . ووصل ببعض أصحاب هذا الرأى

إلى أن الذين يتصورون فكرة التآمر المطلق هم ضحايا «عقدة الإضهاد» التي تمثل جوهر فلسفة الصهيونية والخط السياسي للموارة والرأى الراجح بين هذا الفريق أن الأحداث وقعت بالتناقض اللبناني المحلى وبالتناقض العربى ثم بدأت المؤامرة للاستفادة من وضع قائم.. فهل هناك من يرفض «وجبة جاهزة» بلا مجهود أو على الأقل بلا جهد شاق..

وفى دراسة حول الحرب الأهلية (١٤) يرى الكاتب أن تفسير الأحداث على أنه مؤامرة هو قول يستند إلى فهم خاطئ لطبيعة الوضع اللبناني ولطبيعة الصراع الدائم على أرض لبنان. فالمؤامرة هى تحرك سياسى يقوم به قبضة من العملاء. فهلى قد تأخذ شكل اغتصابات سياسية أو عمليات أو قد تصل إلى مستوى الانقلاب العسكرى، لكن المؤامرة لا تشمل فى نظر الكاتب حرباً أهلية تشترك فيها جميع الشرائح الاجتماعية والطوائف والقوى السياسية وأن استخدام كلمة مؤامرة يخفى مفهوماً خاطئاً للصراعات الاجتماعية والطبقات والحروب. فالتآمر يستطيع الدخول فى الصراع. أى أن اشتعال حزب أهلية يسمح للعملاء والجواسيس والعصابات بمحاولة التأثير فى مسار الحرب عبر استخدام الأسلوب التآمرى وتحمل هذه المقولة كذلك مفهوماً خاطئاً لطبيعة الامبريالية. فالامبريالية التى تستطيع عبر التآمر إشعال حرب أهلية هى امبريالية لها قدرة غير محدودة. والتركيز على الجانب التآمرى وحده فى الحرب الأهلية يقود إلى مفاهيم وممارسات خاطئة تهمل دراسة الدافع القلى وتناقضاته التى فجرت الحرب الأهلية.

وتناقش هذه الدراسة تفسير أن الحرب الأهلية هجوم أمر يكى عام على المنطقة العربية فترى أنه يتطلق من بعض الواقع العربى ليعممها دون مجاكمة. ثم يبنى استنتاجاته على أساس التعميمات. فهو يرى فى جميع التحركات العربية قبل حرب أكتوبر وبعبها الأصابع الأمر يكية وبالتالى فالحرب الأهلية فى لبنان هى جزء من لعبة الأمم التى يتقنها الساحر كينسنجر بكل براعة.

إن الامبريالية الأمريكية تتراجع اليوم في العالم بأسره لذلك فهي تحاول ترتيب أوضاعها في الشرق العربي ضمن التراجع الذي فرض عليها . لكن كل تراجع يحمل في داخله إمكانية الهجوم . وقد يقوم بهجمات تكتيكية تمهد للانتقال من التراجع إلى الهجوم . هذا هو الموقف الأمريكي تجزئة الحل ، ابتزاز تنازلات أساسية ، تعريب الصراع وذلك تمهيدا للانتقاض عليه من جديد . والواضح أن الباحث حين أراد أن يفسر نفسه وقع في التناقض فأكد ما أراد أن ينفيه .

أما التفسير الثالث الذي ترد عليه الدراسة فهو أن الحرب الأهلية صراع بين الدولتين العملاقتين .. وترى أنه تحليل من مقولة صحيحة ليقيم بتمميمها بشكل خاطيء ومبتذل فالصراع بين العملاقتين صراع حتمي والوفاق ليس سوى لحظة في الصراع .. ومثل هذا التفسير للحرب الأهلية يعنى دعوة مطلقة إلى التهدة . بحجة عدم السماح لأحد الطرفين باستغلال الصراع لمصلحته ويغنى وجهة يمينية تتعامل مع الحركة الوطنية بشك مطلق ، يصل إلى حد اتهامها بالوقوع تحت تأثير الدول الكبرى .

والتفسير الأخير الذي ترفضه هذه الدراسة هو أن الحرب كانت صراعا طبقيا داخليا وذلك ينطلق من اعتبار لبنان تشكيله اقتصادية واجتماعية مستقلة . وهو ما يؤدي الى الوقوع في خطأ عدم الفهم الدقيق للصراع الفعلي وعدم أخذ الواقع العربي بعين الاعتبار بشكل جدى .

ومع أنني أختلف مع الآراء التي أوردتها هذه الدراسة وخاصة أن كل ما كانت تريد نفيه تنتهى إلى تأكيده إلا أنني أرى عدم الدخول في المناقشة حول ما إذا كان الحرب الأهلية اللبنانية هي مؤامرة أم لا .. فالقبول المطلق بالرأى الأول خطأ كما أن القبول بالرفض إطلاقا هو أيضا خطأ .

وأظن أن الأفضل من مناقشة الفرضيات وحسب المجدل يكون أجدى للدراسة

- (٨) ١١ مايو ١٩٧٤ .
- (٩) الأهرام ١٩ يوليو سنة ١٩٧٤ .
- (١٠) الأهرام في ٢٠ يوليو سنة ١٩٧٤ .
- (١١) برقية لوكالات الأنباء الفرنسية - وأف - رقم ٤٠ في ١٣ فبراير سنة ١٩٧٤ .
- (١٢) لبنان - أمانة تاريخية وحضارية في عنق الموازنة . كراسات جامعة الكسليك رقم ١٨ ص ٣١ - ٣٢ .
- (١٣) محاضر جلسات هيئة الحوار الوطني ، الجلسة الرابعة ، مجلة الطريق ، بيروت أغسطس سنة ٧٦
- (١٤) مجلة الصياد ، بيروت ١٠ مارس سنة ١٩٧٧ .
- (١٥) مجلة الصياد ، بيروت ٣ فبراير سنة ١٩٧٧
- (١٦) خالد جابر ، التوازنات المسلحة والحرب الأهلية ، الحلقة الثالثة ، شئون فلسطينية رقم ٥٩ ص ١٩ - ٥٢ .

الفصل الثاني

البعد اللبناني .. للأزمة

إن أزمة لبنان هي في الأساس والجوهر مشكلة لبنانية ، وذلك على عكس الوهم الشائع بأنها فلسطينية لبنانية . فالقاعدة أن أى نظام حكم يفقد وسائل التطوير والتغيير من داخله ، فهو نظام يحكم على نفسه بالفناء . إذ أن أبواب التغيير المغلقة تؤدى إلى الانفجار حيث لا تكون هناك وسيلة متاحة للتغيير إلا القوة . فصبب المشكلة اللبنانية في النظام الطائفي . فهو على حد وصف أحد الباحثين يقف ضد التغيير . فأصبحت المشكلة أن التطور في مواجهة التخلف والإذعان في مواجهة التغيير^(١) . فـلبنان في الحقيقة يعيش بعقليات القرون الوسطى وإن كان يرتدى أزياء القرن العشرين . وهي حقيقة يدركها الجميع فنجد مثلاً أن الشيخ موريس الجميل يقرر^٢ بت أو من أنه إذا لم تسارع الدولة إلى تحقيق الثورة في الشرعية فسوف نشهد الثورة على الشرعية^(٢) . أما الرئيس السابق فؤاد شهاب فقد كان أكثر تحديداً وتوضيحاً وذلك في البيان الذي أعلنه في ٤ أغسطس سنة ١٩٧٠ حين رفض

ترشيح نفسه للرئاسة ويقول فيه : أن المؤسسات السياسية اللبنانية والأصول التقليدية المتبعة في العمل السياسي لم تعد في اعتقادي تشكل أداة صالحة للنهوض بلبنان، وفقاً لما تفرضه السبعينات في جميع الميادين، ذلك أن مؤسساتنا التي تجاوزتها الأنظمة الحديثة في كثير من النواحي سعيًا وراء فعالية الحكم، وقوانيننا الانتخابية التي فرضتها أحداث عابرة وموقته، ونظامنا الاقتصادي الذي يسهل سوء تطبيقه قيام الاحتكارات. كل ذلك لا يفسح المجال للقيام بعمل جدي على الصعيد الوطني؟ (٣)

«إن الغاية من هذا العمل الجدي هي الوصول إلى تركيز ديمقراطية برلمانية أصيلة وصحيحة ومستقرة، وإلى إلغاء الاحتكارات لتوفير العيش الكريم في إطار نظام اقتصادي حر وسليم يتيح سبل العمل وتكافؤ الفرص».

«إن الاتصالات العديدة التي أجريتها والدراسات التي قمت بها عززت قناعتي بأن البلاد ليست مهيأة بعد ولا مجهزة لتقبل تحولات لا يمكنني تصور اعتمادها إلا في إطار احترام الشرعية والحريات الإنسانية التي طالما تمسكت بها».

ونجاءت المسألة. وبالألاف من الضحايا ظهر مدى التخلف الذي تعيش به وفيه لبنان، والأهم ظهر أنه ليس هناك وطن اسمه لبنان بل هناك عدة أوطان تحمل هذا الاسم. وأصبح الكل يردد تعبير الرئيس السابق شارل الحلوب كل ما فيه من سخرية ومرارة وهو الذي قاله في لقاء له مع رؤساء تحرير الصحف «اللبنانية ليست مواطنة ولكنها وظيفة». فإن مجرد مرور الزمن على صيغة الوطن الموقت لا تكفي لتحويله إلى وطن دائم. فالكيان الطائفي المتوازن ليس مرحلة على طريق الوطن بل هو تأجيل للدخول في مرحلة الوطن (٤). وتقرر صحيفة حزب الكتائب «العمل» أن الميثاق الوطني تحول إلى عقد تجاري، بل شركة استثمار للمناصب والوظائف العامة (٥).

وربما كان أمراً طبيعياً في لبنان أن جميع القيادات اللبنانية أدانت في إيجاباتها الطائفية وقررت بضرورة إلغائها ولكنها في الأثرة حاربت من أجل استمرارها. وهي إحدى مآسي لبنان أن الكل يتحدث بلسان ويعمل في اتجاه آخر. فالواقع أن الطائفية بالنسبة لهذه القيادات الطائفية تمثل سلطاناً وامتيازات. وهي لا يمكن التنازل عنها اختياراً. وإذا كانت بالنسبة لهم مالا وجاهاً فهي بالنسبة للبنان وقفة بالزمن عند بدايات القرون الوسطى.

والخطأ الشائع وخاصة في الإعلام العربي أن الدستور اللبناني يعمق الطائفية ويعطيها الصفة القانونية، وأن الميثاق الوطني هو وثيقة طائفية والواقع أن دراسة الدستور والميثاق الوطني تكشف عكس هذا الادعاء أو مع افتراض حسن النية هذا الخطأ الشائع، صحيح أن الطائفية في لبنان لها جذور في التاريخ، ولكن صفحات هذا التاريخ لا تعطي الشرعية للخطأ مهما طال عليه الزمن. فهي في خلاصتها كانت حفاظاً على التراث في مواجهة قوى الاحتلال التركي. وجاء الاحتلال الفرنسي ليعمق التمايز ويقنن التفتت ورغم استمرار شريحة من الموازنة تتعاون دائماً مع المستعمر. أي مستعمر إلا أن ذلك ليس عذراً لاستمرار الطائفية. ففي سلسلة كراسات جماعة الكسليك «الرهبان» كتيب منها بعنوان «لبنان أمانة تاريخية وحضارية في عنق الموازنة»^(٦) يقول بكل فخر واعتزاز إن علاقة الموازنة بالفاتحين الأوربيين ممتازة. وكانت نتيجة أن ترك الصليبيون لبطريرك الموازنة الزعامة على أمته^(٧) و بقر نفس الكتيب أن صداقة الموازنة لفرنسا تقليدية ووطيدة بدأت مع الملك القديس لويس التاسع أثناء الحملة الصليبية السابعة إلى حد أن تقلد موازنة من آل الخازن مناصب قنصلية فرنسية. ١- رفيعة. وأصبح النضال ضد الاستعمار الفرنسي معنى الإتياء للعرب والمسلمين وإنكاراً للمسيحيين في إقامة دولة لهم.

فالمسألة ببساطة أن الطائفية هي امتيازات حصلت عليها الفئة التي تعاونت مع الاستعمار الأوربي على حساب الآخرين. وقد تبلور ذلك

بشكل واضح في معركة استقلال لبنان حيث كان هناك تياران أحدهما ينتمى إلى العالم العربى وأغلبيته من المسلمين والمسيحيين الأرثوذكس وجناح من الموارنة وتيار ينتمى إلى فرنسا . ولا اعتبارات متعددة تم الاتفاق على استقلال لبنان بأن يتنازل دعاة الوحدة العربية عن ضمها إلى التيار العربى وأن يتنازل دعاة الائتلاء إلى فرنسا عن تطلعاتهم نحو المستعمر^(٨) . ورغم أن المقارنة في حد ذاتها بين الوحدة العربية والاستعمار الفرنسى جريمة سياسية إلا أن الواقع الذى انتهى إليه الأمر كان بهذا الشكل وكان معروف بالميثاق الوطنى .

والميثاق الوطنى في مفهومه العام هو تعاقد بين شخصين هما بشارة الخورى ورياض الصلح . كل منهما باسم الطائفة التى ينتمى إليها لتنظيم الحياة الوطنية في لبنان على أساس العدل بين الطوائف والعدل في توزيع المناصب . وهو اتفاق تبلور في البيان الوزارى الذى ألقاه رياض الصلح رئيس الحكومة في مجلس النواب طلبا لشقة المجلس في أول حكومة بعد الاستقلال . وهذا البيان الوزارى خاليا تماما من أى إشارة إلى الطائفية^(٩) . والواضح أنه لو كان هناك أى اتفاق طائفى بين الزعيمين لظهر أثره على البيان الوزارى الأول . ويبدو أن الإضافات هى التى حرفت هذا البيان بدليل ما ذكرته صحيفة حزب الكتائب من أنه تحول إلى عقد تجارى وسيقت الإشارة إليه . فقد قامت الفئات المسيطرة سياسيا واقتصاديا بأن جعلت منه تنظيما للحصص والفنائم والامتيازات .

والمؤكد أن الميثاق الوطنى بعيد عن الطائفية . فليس من المعقول أن يتفق زعيমান على اتفاقين متناقضين أحدهما مكتوب والآخر غير مكتوب . فهذا أسلوب العصابات وهو بعيد عن طبيعة الرجلين تماما . فالتعديلات التى أدخلت على الدستور الذى وضعته فرنسا أيام الانتداب تؤكد أن الميثاق الوطنى ضد الطائفية ، فالدستور خاليا تماما من هذا الأسلوب الطائفى . والنص الوحيد فى الدستور الذى يحمل الطابع الطائفى هو المادة رقم ٩٥ التى تنص على أنه « بصورة مؤقتة والتماسا

للمعدل والوفاق تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون أن يؤول ذلك إلى الإضرار بمصلحة الدولة» وواضح أن هذه المادة وضعت تحت شرطين: الأول أن هذه الإجراءات مؤقتة، والثاني أنها لا تضر بمصلحة الدولة. فإذا بالمؤقت يصبح دائما، وإذا بالضرر يصبح واقعا.

فالطائفية تحولت من دائرة الدين وهي القديمة إلى دائرة السياسة والإدارة. وقد أفرز الكيان الخاص لكل طائفة شعورا طائفيا يصل إلى حد الولاء. وهو ماتضاءلت أمامه سائر أنواع الارتباطات الاجتماعية^(١٠). بل وذابت أمامه ضرورة الولاء للموطن، لأن الوطن أصبح في معناه الواقعي هو الطائفة. وذلك بسبب القوانين التي صدرت لتصبح جذور الطائفية وزعم أنها تتناقض مع الدستور إلا أن لبنان وحده دون سائر الأوطان ليس فيه هيئة يمكن الاحتكام إليها في عدم دستورية القوانين. فقانون الانتخاب مثلا يعطى لكل طائفة عددا من النواب يتناسب مع عدد أعضائها. وهو ما يجعل المواطن لا يشعر بالمواطنة الكاملة مع أن المادة السابعة من الدستور تنص على أن اللبنانيين سواء أمام القانون ويتمتعون بالحقوق المدنية والسياسية وتحملون الالتزامات والواجبات دون مافارق بينهم.

وما يقال عن قانون الانتخاب يقال عن كل مجالات الحياة. فالإنسان اللبناني لا يوظف أو يتزوج أو يعيش إلا من خلال الانتماء إلى طائفة مع أن الدستور ينص في المادة ١٢ على أن لكل لبناني الحق في تولي الوظائف العامة لامتياز لأحد على الآخر إلا من حيث الاستحقاق والجدارة إلا أن الواقع أن الوظائف تقسم بنسب طائفية، بل وأحيانا بمعايير سياسية. وقد حضرت خلال وجودي بلبنان مشكلة مهندس تقدم للعمل بشركة فيليبس وبسبب طائفته وضعت العراقيل أمامه رغم أنه الوحيد الذي تتوفر فيه شروط الوظيفة وكان من بين الأسئلة التي جهت إليه حول رأيه في جمال عبد الناصر مع أن عمله مهندس؟!!

وكانت نتيجة القوانين غير الدستورية أن أصبحت الطائفية وسيطا بين المواطن

والدولة . وهو ما خلق التمزق في نفسية اللبناني السياسية . فالطائفة التي ينتمى إليها تشكل الإطار الذي يشعر من خلاله بوجوده السياسي . فالطائفة تقف حاجزا بين وبين الشعور بالدولة كدولة لجميع المواطنين . ولعل هذا ما يفسر مدى بشاعة ما ارتكبه اللبنانيون في بعضهم خلال الحرب لأن كلا منهم ينتمى إلى وطن هو طائفة . وعلى حد اعتراف صحيفة حزب الكتائب «نحن شعب متخلف .. فرديون .. ننظر إلى القضايا العامة من خلال أنانيتنا ومصالحنا الصغيرة المباشرة» (١١)»

وخلاصة ذلك أن هناك فارق بين الطائفة الدينية والطائفة السياسية وأن سيادة الطائفة السياسية جعلت ولاء وانتماء اللبناني إلى الطائفة وليس إلى الوطن فأصبحت لبنان عدة أوطان . وأن الطائفة السائدة ضد الدستور والميثاق الوطني . وخاصة وأنه ليس هناك سلطة قضائية يمكن الاحتكام إليها في عدم دستورية كثير من القوانين . وقد أثبتت صفحات الثلاثين عاما الماضية أن ما وضع ليكون موقفا مؤقتا لا يصلح أن يكون خطأ دائما وأن صبغة التوازن أدت بלבنان إلى كوارث وصدامات دموية . كما أن هذه الصيغة قد أغلقت الأبواب دون التطوير والتغيير وجعل النخبة السياسية مجرد عدد من الأفراد حتى أن اختيار رؤساء الجمهورية يكاد يكون محصورا في عدد من العائلات المارونية التي لا تتجاوز أصابع اليد . كما أن رؤساء الوزارات طوال ثلاثين عاما حتى المذبحة هم في نطاق عشرة أسماء ولم يحدث طوال هذه السنوات سوى استثناء واحد فرض عليه الفشل حتى لا يتكرر . وإذا كانت النخبة لا تتجدد فإن قوى المجتمع اللبناني كانت في تجدد وتغير أمام التغيرات الاقتصادية والاجتماعية وتزايد المتعلمين في الوقت مثلا الذي لا يمثل فيه مجلس النواب أكثر من ١٠% من الشعب اللبناني حسب تقدير صائب سلام (١٢) . وأمام هذه المعادلة وهي الجمود على القمة والحركة والتغير في القاعدة كان لابد من الانفجار . وقد أدرك الرئيس السابق فؤاد شهاب احتمالات الخطر وحاول إيجاد منفذ لتسريب الضغط وكانت فكرته في تعديلات على معدلات ونسب التوازن

فجعل منها في كثير من المجالات بالناصفة، ولكن أحدا من بعده لم يفهم الهدف من فتح الابواب لاحتمالات الانفجار. وزاد من الخطر إحساس عدد من الطوائف أنه ليس لها دور أو نصيب في الحكم والإدارة.

وبرغم النجاح الإعلامي في تصوير الأزمة في لبنان وكأنها طائفية أساسا ومما غير ذلك امتدادات ثانوية إلا أن الحقيقة الواقعية غير ذلك بالتأكيد. ربما ساعد على هذا الخلط التطابق بين القيادات في الوضع الطائفي والوضع الإقتصادي ويعني آخر بين مواقع القيادات في الطوائف وفي النشاط المالي الإقتصادي. فالتفتت الإقطاعي والعشائري والعائلي كان يرتبط من خلال عدد من الأشكال الاجتماعية والسياسية بالسلطة العثمانية على أساس من جباية الريع والضرائب المختلفة. وقد ساعد على استمرار الانقسام والتفتت الطائفي طبقة الوسطى في لبنان التي تقوم بدور الوسيط بين السوق العالمية والسوق العربية، وبالتالي فهي أصلا قامت بالارتباط بالغرب^(١٣). وهي في المفهوم العلمي ليست طبقة بل شريحة اجتماعية باعتبار أن الطبقة تقوم على علاقات الإنتاج، أما في واقع عدم وجود علاقات إنتاج، فإن شرط وجود الطبقة كشكل للصراع الإجتماعي ليس متوفرا. ويرتبط على ذلك أن الصراع القائم بين هذه الشرائح لا يشكل صراعا على السلطة بل هو صراع على اقتسام الثروة. وفي إطار الطائفية يصبح الصراع السياسي محكوم بإطارات صراع الطوائف^(١٤). ولعل هذا يفسر شعارات أغنياء المسلمين بتعديل النسب. ولعل أفضل ما يفسر ذلك ما يطلق في لبنان على الأغنياء من أنهم موارنة الفريقين أي المسيحيين والمسلمين. فهم يختلفون بينهم على نسب اقتسام الثروة والسلطة بينما شعب لبنان على اختلاف أديانه واتجاهاته يسعى إلى تغيير البنيان كله.

وطبيعة الإقتصاد اللبناني ساعدت كثيرا على هذا الجمود السياسي الذي عاشته لبنان طوال الثلاثين عاما الماضية بدون تطور أو تغيير في الوجوه أو البنية

الاقتصادية. فهو اقتصاد يقوم على الخدمات التي تمثل حوالى ٧٠٪ من الدخل القومى. وهى من أعلى النسب في العالم، وكانت النسبة ٥٠٪ فقط في بداية الخمسينات. وجوهر هذا القطاع هو العمل المصرفى. وأكثر ما يميز السوق المالية في لبنان أن ثلثى نشاطها هو في أيدي المصارف الأجنبية والمختلطة، كما أن الثلث الباقي يفترق إلى التنوع حيث لا توجد مصارف متخصصة باستثناء مصرف التسليف الزراعى والصناعى. وبقي دورها حتى سنة ١٩٧٤ محصوراً في نقل الأموال العربية إلى الأسواق الدولية^(١٥). وفي دراسة فرنسية أعدتها كلود دوبار وسليم نصار عن الطبقات الاجتماعية في لبنان تحليل لشركات الخدمات من مصارف وشركات تأمين وتجارية وعقارية أنه من أصل ٧٧٢ شركة هناك ٢٤٨ أى ٣٢٫١٪ هى فروع لشركات أجنبية. غير ١٥٢ شركة أى ١٩٫٦٪ هى شركات مختلطة. أى أن الرأسمال الأجنبى موجود بصورة مباشرة في ٤٠٠ شركة أى ٥٢٪ من مجموع مؤسسات قطاع الخدمات العلن عنها رسمياً. هذا إلى جانب أن ٣٧٠ شركة الأخرى مرتبطة بالدول الرأسمالية المسيطرة وذلك من حيث وظائفها ودورها كمحطة محلية أى أن هذا القطاع كله يحكمه الغرب. فإذا ما طبقنا الإحصاءات على قطاع واحد مثلاً من الخدمات وهو قطاع المصارف طبقاً للدراسة الفرنسية نجد أن سنة ١٩٧٢ كانت ٢٧٪ من الودائع إلى جانب ٢٨٪ من القروض للمصارف الأجنبية بينما كانت النسبة ٣٠٪ من الودائع غير ٣٢٪ من القروض للمصارف ذات الأكثرية الأجنبية أى ٥٧٪ من الودائع غير ٦٠٪ من القروض للمصارف الأجنبية. وفي مقابل هذا نجد أن ١٩٫٧٪ من الودائع غير ٧٫٣٪ من القروض هى للمصارف العربية، أما المصارف التي ذات أكثرية عربية فقد كان نصيبها ١١٫٣٪ من الودائع مع ١٠٫٧٪ من القروض، أى أن مجموع ما للبنوك العربية بقطاعها لا يزيد عن ٢٣٪ من الودائع مع ١٨٪ من القروض. ويبقى للمصارف اللبنانية ٢٠٪ من الودائع مع ٢٢٪ من القروض. أى أن الأجانب يسيطرون أيضاً على النشاط المصرفى وصاحب ذلك ظاهرة ذوبان المصارف

اللبنانية والعربية في المصارف الأجنبية. ولظروف خاصة بالمنطقة فإن لبنان كانت نقطة جذب للأموال العربية حيث كانت تقوم بدور الوسيط. وهناك تقرير «إنه بين ١٩٥٦ وحتى ١٩٦٥ توجه ٦٥% من فائض الأموال البترولية في دول الخليج أي حوالي ١.٥ مليار ليرة لبنانية نحو لبنان». هذا إلى جانب رؤوس الأموال اللاجئة والتي هرب بها أصحابها من الدول العربية. وهي حوالي ٦٠ مليون ليرة من فلسطين- ١٠٠ مليون ليرة من مصرين- ١٥٠ مليون ليرة من العراقيين ٥٠٠ مليون ليرة من السوريين أي ٨١٠ ملايين ليرة لبنانية. أي أن لبنان حصل على ٢.٣ مليار ليرة من الأموال العربية خلال هذه الفترة وهو يقدر حاليا بحوالي ٣ مليار ليرة. وتؤكد هذه الدراسة الفرنسية أن خطورة هذه المصارف في لبنان تنبع من أنها تسحب قسما مهما من القروض التي كان يمكن للاقتصاد اللبناني أن يستفيد منها، وذلك باستثمارها في الخارج. فهي تنقل إلى المصارف الأم ما يزيد عن نصف الأموال التي كان يمكن أن توظف في لبنان والشرق الأوسط وتصل هذه الأموال إلى ٣٩٨٠ مليون ليرة سنة ١٩٧٤ أي ما يوازي ٥٠- ٦٠% من الناتج المحلي. وهكذا يمكن إدراك دور لبنان في عملية النهب التي تتم سكوت.

هذا إلى جانب ظاهرة أخرى غير النهب وهي التوجيه والتحكم في البنية الاقتصادية للبنان. فقد ظهر أن هذه المصارف الأجنبية توجه قروضها نحو الخدمات وهي تهدف من ذلك إلى الحد من نمو القطاعات الإنتاجية وتمويل تجارة الاستيراد الواردة أساسا من الغرب. كما أن المصارف اللبنانية تساهم في هذا الدور حيث تنصرف وفق منهج المصارف الأجنبية وذلك لغياب مؤسسات مالية مؤهلة لتوجيه توظيف رؤوس الأموال.

ويضاف إلى ذلك دور آخر تقوم به المؤسسات الأجنبية من خلال لبنان وهو التجارة، فلبنان وسيط بين الدول الصناعية الكبرى التي يستورد منها وفي مقدمتها الولايات المتحدة التي كان لها ١٦.٢% من الواردات سنة ١٩٧٤ وتلها فرنسا ولها

١٤٨٪ ثم ألمانيا الغربية ١٣١٪ ثم بريطانيا ولها ١١٨٪ ونفس النسبة لإيطاليا. وفي نفس الوقت نجد أن لبنان يقوم بالتصدير الى العالم العربي وفي مقدمته المملكة العربية السعودية التي تحصل على ١٦٣٪ من صادرات لبنان ثم الكويت ونصيبها ٩٦٪ ثم سوريا ونصيبها ٧٤٪ ثم ليبيا ونصيبها ٦٤٪. وباختصار فإن العالم العربي يحصل على حوالى ٦٠٪ من صادرات لبنان ولعل مايجب الانتباه له وسط هذه الأرقام أن الشريحة العليا من الموارد من المسيحيين والمسلمين على حد التعيير الشائع لهم مصالح مالية أغلبها مع السعودية والكويت. هذا إلى جانب أنه خلال سنوات استقلال لبنان قامت سوقه المالية على استغلال تناقضات ونكبات الأمة العربية. فاحتلال الصهيونية لفلسطين نقل النشاط التجارى من حيفا إلى بيروت حتى لقد تضاعفت النشاط في ميناء بيروت ٢٨ مرة.

كما كانت نقطة جذب أمام تيار الاشتراكية في الدول العربية الكبرى وباختصار فإنه في الوقت الذى كان يتعاطف دور قطاع الخدمات في اقتصاد لبنان كان في نفس الوقت يتقلص دور الزراعة والصناعة. فقد هبطت نسبة دخل الزراعة في الدخل القومى الى ١٠٪ بعد أن كانت ١٥٪ وفي إطار الزراعة نفسها حدث انهيار تقريبا في معدلات إنتاج الزراعات الغذائية لحساب الزراعات التجارية «للتصدير» وهونفس ماحدث بالنسبة للصناعة التي اتجهت نحو الصناعات التحويلية كالملبوسات والبلاستيك والصناعات التجميعية مثل الشلاجات وغيرها. وبالتالي فإنه حتى النسب الصغيرة التي للزراعة والصناعة تحولت إلى خدمة الاقتصاد الوسيط أى تحت سيطرة علاقات الشريحة الاقتصادية التي تمثل الوساطة مع اقتصاديات الغرب. وهكذا أصبحت سيطرة هذه الشريحة بما لها من واقع القيادة الطائفية تمثل ظاهرة الجمود والتخلف في لبنان. فالعروف أن علاقات الانتاج الرأسمالى تتيح الفرصة للتطور والقضاء على العلاقات الاقطاعية والعشائرية والطائفية وجعلها في إطار محدود. أما في مجتمع يسوده الاقتصاد الوسيط فإن إمكانيات التطور الطبيعي غير متاحة. و يكفي توضيح أثر

هذا الاقتصاد على القوى العاملة، إن نسب عمال الزراعة التي كانت تمثل ٤٥% من القوى العاملة في الستينات أصبحت تمثل حوالي ١٨% في السبعينات بينما العمالة في الخدمات كانت ٣٤% من القوى العاملة فأصبحت ٥٧%. والنتيجة أن تقلص العمالة في قطاعات الإنتاج هو تعبير عن انهيار نصيب قطاع الإنتاج في الدخل القومي وبالتالي سيطرة رأس المال التجاري أى أنه تم استبدال توزيع وسائل الإنتاج بتوزيع الأرباح. وعلى هذه القاعدة توحدت الطوائف لتشكيل توازناتها في المستوى السياسى. فالرأسمالية الوسيطة ملازمة للكيان وبالتالي جزء من عملية التجزئة والفتيت. و يترتب على هذا استحالة وجود صراع طبقى يتبلور في إطار الاقتصاد الوسيط (١٦). فالمجتمع اللبناني يتجه في الظروف الحالية نحو مجتمع متعدد الفئات أكثر مما يتجه نحو مجتمع طبقى. فلا وجود لطبقة يسودها قدر مشترك من الوعي الواحد على صعيد الإنتاج. والقاعدة أنه لا وجود فعلى للطبقة دون وعى طبقى. فالوعى الطبقي جزء أساسى في حقيقة الطبقة ولذلك ففي لبنان طبقات متباعدة ومتداخلة أفقياً ورأسياً في نوع العمل والمصلحة والنظرة إلى المجتمع. وقد يكون من الأصح القول بأنه توجد فئات طبقية متمايزة لكنها غير متجهة إلى الإنقسام الحاد. وما يطرح في الساحة اللبنانية هو شعارات الإصلاح وليست دعوات الرفض الكامل للنظام الإقتصادى (١٧).

وكان مستحيلاً لاقتصاد دولة يمثل هذا الشكل المش أن يستمر بدون أزمات. وكانت بداية السبعينات هي قمة الأزمات التي واجهت لبنان. فالتحول في المنطقة كان يحمل علامات النهاية لدور لبنان كوسيط وبدأت بالتالى عمليات التقصّصات الحادة. ونجد أن لبنان فشلت في اقتطاع حصة أكبر من المال العربى. فقد كانت قيمة الودائع العربية في الجهاز المصرفى اللبناني ٣ مليارات دولار سنة ١٩٧٤ بينما كان دخل دول البترول في نفس العام يزيد عن ٥٠ مليار دولار اتجهت أغلبها إلى سوق المال العالمى. وكان واضحاً أن بيروت بدأت تفقد دورها كنقطة ترانزيت للأموال العربية. وقد لخصت دراسة اقتصادية الأثرمة في لبنان إلى أن خطط

التنمية تعثرت بسبب الإدارة العرجاء والسياسيين العاجزين^(١٨). والواقع أن هذا تبسيط للأمر. فالأمر أعمق من ذلك بكثير. فلبنان اللجنة التي يتغنى بها البعض ويفخرون أنه أعلى معدل دخل في العالم العربي حيث يبلغ ٩٤٤ دولار بينما هو في السعودية لا يتجاوز ٧١٤ دولار وهي أعلى نسبة دخل في العالم العربي. وإذا كان ذلك صحيحا إلا أن الأرقام هنا تحمل قدرا هائلا من التضليل. فتوزيع الدخل في داخل لبنان يختلف عن ذلك كثيرا. فنجد أن ٢٪ من سكان لبنان يحتكرون ثلثي الدخل القومي ويرتفع الرقم إلى ٤٪ فقط للذين يحصلون على نصف الدخل القومي بينما يحصل العمال في الزراعة والصناعة والحرف وهم حوالي ٥٠٪ من الشعب اللبناني على ١٥-٢٠٪ من الدخل القومي^(١٩).

ويزيد من بشاعة الصورة مدى التركيز في النشاط الذي يتجمع في العاصمة بيروت إلى حد السيطرة الكاملة على الاقتصاد وهو ما يعتبر من عيوب التركيب الاقتصادي لأي دولة. وهو ما يكاد يكون حكرا على بيروت وحدها. إذ أنني أشك في أن هناك دولة أخرى تمثل العاصمة مثل هذه المكانة في دولتها. فهي تضم ٧٥٪ من مجموع العاملين في القطاع الصناعي ومثل هذه النسبة - ٧٥٪ - من العاملين في قطاع الخدمات. وهو ما يعني أن بيروت تستقطب حوالي ٦٠٪ من العاملين في لبنان كله على اختلاف القطاعات. وكان من نتائج هذا التركيز الفريد للنشاط الاقتصادي في بيروت عدم قيام بديل لها في لبنان. وبالتالي انعدمت تقريبا أمام أي من الباحثين عن عمل في غير النشاط الزراعي الفرصة للتوجه إلى سواها^(٢٠).

وقد أطلقت هذه الدراسة على النظام اللبناني تعبير الرأسمالية المتوحشة.. فنقول إننا اخترنا في لبنان نظاما رأسماليا للإنتاج. إلى أن هذا النظام يشبه إلى حد بعيد النظام الذي سادت أوروبا في القرنين الثامن والتاسع عشر، أو ذلك النظام الذي اتبعته الولايات المتحدة قبل فترة الكساد الكبير سنة ١٩٣٠. وقد أطلق

بعض الكتاب الفرنسيين على النظام المذكور أسم الرأسمالية المتوحشة . وذلك نظرا لما تسعى إليه من مضاعفة لتصيب الفرد من الدخل القومي في أقصر فترة زمنية ممكنة على حساب ماتخلقه من مظاهر ضاره سواء على البيئة العاملة أو على الصحة أو حتى ماتخلقه من تحطيم متواصل في البيئة الاجتماعية .

فالتركيز الشديد للخدمات والانتاج والعماله في بيروت إلى جانب أنه يخل بالبنیان الاقتصادي فإنه يخلق حالة صالحة للثورة . فالجهاز الرسمي لا يستطيع توفير الخدمات الضرورية لمثل هذا الزحف البشرى وفي وقت قصير مما يجعل ظروف الحياة في العاصمة متفاوتة وتضاعف معدل الأسعار في خطوط جنوبية لا تتفق وأى منطق اقتصادى . وبالتالي يضع الحكومة في صورة العاجز عن العمل بينا الأزمات تتزايد حدتها .

ولعله الثباء أو غرور السلطة الذي دفع باغنياء لبنان الجدد إلى استعراض ثرواتهم وبذخ حياتهم على صفحات المجلات وكأنه نوع من التحدى اليومى للشعب اللبناني .

وقد ارتبط ذلك كله بالأزمة الاقتصادية في العالم الرأسمالى الذى ترتبط به اقتصاديات لبنان ارتباطا عضويا وثيقا مما جعلها ضحية تضخم بلا انقباض حتى أصبح ارتفاع الأسعار على حد توصيف الصحف اللبنانية بمعدلات جنوبية .

وبدأت معالم أزمة الاقتصاد اللبناني المختل البنیان أصلا تتزايد . والأزمات الاقتصادية إما أن تواجه بحلول جذرية أو أن تكون مفجر للغضب الجماهيرى وربما للثورة .

وقد لاحظت من إجابات القيادات اللبنانية أن كل قيادات الموارنة تنفى وجود أزمة اقتصادية . وكان رأى ير الجميل أن الطبقة الغنية يمكنها أن تدبر أمرها والطبقة الدنيا تعنى بها الدولة وبالتالي فالمشكلة تنحصر في الطبقة الوسطى : وفعلا قرر المكتب السياسى لحزب الكتائب في يناير سنة ١٩٧٥ عقد مؤتمر عام لإتخاذ

الطبقة الوسطى من الانبياء. وقد بحثت في كل كراسات جماعة الكسليك وكتب
الرهبان عن كلمة عن الأزمة الاقتصادية في لبنان فلم أجد. وفي المقابلات معهم
وعلى رأسهم شربل قسيس كان الإصرار على أن المشكلة هي الوجود الفلسطيني
وليست مشكلة اقتصاد يحنق. وكانت الكتائب وحدها التي ترى أن الأزمة مجرد
مسألة غلاء. وتفسر ذلك بأسباب خارجة عن نطاق لبنان وكأن لبنان مجرد
ضحية. فالكتائب ترى أن مصدر المشكلة هو أن لبنان بعد حرب تشرين وقبلها
بات مهددا بخسارة تفوقه أى بفقدان إحساس العرب بالحاجة إليه. فلم يعد لبنان
وحده بلد العلم والمعرفة. ولم يعد وحده مركزا عالميا للتجارة والاقتصاد والمال، ولم
يعد وحده خضرة الشرق وجماله. فقد بدأت الصحراء نفسها ترتدى ألوان
لبنان (٢١). وبغض النظر عن لغة التعالي وتصور أن لبنان كان يوما ينفرد وحده
دون العرب بهذه الصفات فإن التشخيص بعيد عن الواقعية أو الدراسة العلمية.

وفي مواجهة رأى الموارنة كان هناك إجماع على أن المشكلة اقتصادية وفي هذا
الجانبا يميز موقف الطوائف المسيحية غير المارونية التي ترى أن المشكلة اقتصادية
وسياسية. أما الحركة الوطنية اللبنانية فهي تراها صراعا طبقيًا يتخفى بأردية
الطائفية. وقد لاحظت أن هناك اتفاقا على أن هذا الصراع الطبقي لم يصل في حدته
إلى حد الاحتكام للقوة المسلحة وقد بنيت حسابات الحركة الوطنية على هذا الوهم
الخطأ.

وسوف أحاول أن أرسم صورة يوم واحد من حياة لبنان في فبراير ١٩٧٤ أى
قبل انفجار الأحداث بعام ومن خلال إحدى صحف لبنان ولا يمكن اتهامها
باليارية وهي جريدة النهار.

في الصفحة الثالثة من عدد يوم ٤ فبراير كان العنوان على الأعمدة الثمانية هو
«مهرجانات الاحتجاج على الغلاء تشمل المناطق، والسطر الثاني هو اتهام السلطة
بالتواطؤ مع المحتكرين وبعض القادة النقابيين بالتواطؤ مع السلطة». وفي مقدمة

للصفحة التي عرضت صوراً من إضرابات مدن لبنان جميعها تقول « التحرك الحزبي والنقابي لدعم إضراب السادس من شياط احتجاجاً على الغلاء والاحتكار، اتخذ طابع المهرجانات الخطابية وشمل معظم المناطق ورافقت في بعض الأماكن تظاهرات صاخبة ندد خلالها المتظاهرون بالسلطة المتواطئة مع المحتكرين » و ببعض القادة النقابيين « المتواطئين مع السلطة » وكان من أبرز المهرجانات مهرجان خطابي أقامه حزب البعث العربي الاشتراكي في طرابلس ، ومهرجان دعيت إليه الأحزاب والقوى التقدمية والوطنية في شكا . ومهرجان أقامه حزب المهينشاق والحزب الشيوعي في مجلة النهر ، ومؤتمر دعا إليه اتحاد النقابات في صيدا ، ومظاهرات قامت في صور . وفي صفحة جريدة النهار عرض لمؤتمرات جرت في خمسة مدن وكانت العناوين كلها حماسية وتدعوا إلى الإضراب رغم تخاذل موقف الاتحاد العام للعمال .. وكان من بين ما قيل فيها كلمة النائب الدكتور عبد المجيد الرافعي في مظاهرة ، طرابلس ، « كم تبدو النقمة والثورة مشروعة إزاء كل هذا خصوصاً عندما ترتهن لقمة الشعب بإدارة الاحتكار وتصبح هذه الإدارة المحرك لارتفاع الأسعار في جو تنعدم فيه الرقابة الحكومية » . وفي صيدا تحدث النائب السابق معروف سعد في المؤتمر النقابي فقال : « إن مطلبى هوزيade الأجور ، ورفع الحد الأدنى لا يهم إلا فئات قليلة من الخاضعين لقانون العمل بينما المطالب التي تمس الاحتكار ، كاستيراد المواد الأساسية من قبل الدولة وخفض الأسعار وتعديل قانون الإيجارات لم تحققها الدولة لأن السلطة نفسها هي سلطة المحتكرين أنفسهم .

وطبعاً إذا كانت هذه الصورة التي رسمتها صفحة في يوم واحد من جريدة النهار فلماذا أن نصور بقية الأيام . وكان أبرز معالمها أن الحركة الوطنية تمضي على طريق الحوار والضغط بالإضراب من أجل تحقيق قدر من المطالب الاقتصادية .

فخلال العامين السابقين على المذبحة خاضت قوى الحركة الوطنية اللبنانية

معارك مع موارنة الجانبين عن طريق الحوار. وكان شعار المرحلة «١٩٧٤/٧٣» هو «ندوات الفكر الملتزم» وهي ندوات تمت في نوادي القرى والمدن واشتركت فيها وفود عن أحزاب اليمين واليسار. وقد كان من الواضح خلال هذه التجربة أن قوى اليسار اللبناني تكتسح اليمين وخاصة في قلب المناطق التي يطلق عليها «قلاع حزب الكتائب» مما دفع قيادة الحزب إلى اتخاذ قرار بعدم المشاركة في ندوة يشترك فيها اليسار، أو على حد قولهم «الشيوعيين». وثابتت هذه التجربة أن أصحاب النظام اللبناني عاجزون عن الدفاع عنه عن طريق الحوار.

وفي الحركة النقيابية كانت قوى اليمين تتصور أنها تسيطر على الحركة النقابية بحكم التركيب العددي لما حيث تضمن هي نصف المقاعد ويبقى الصراع على النصف الآخر وبالتالي فهي تضمن الأغلبية وطرحتم شعار «وحدة الطبقة العاملة» ولكن التجربة الواقعية خيبت أمل اليمين حيث بدأت الاتحادات تضيق من يده الواحدة بعد الأخرى فعاد وسحب شعار الوحدة «وطرح شعار التقسيم ولكن الوقت كان في غير صالحه وقوى اليسار تنتشر في صفوف الحركة النقابية.

في الحركة الطلابية تكررت نفس الظاهرة ففي انتخابات اتحادات الطلبة أصيبت قوى اليمين بهزائم ساحقة لأول مرة في تاريخ لبنان. وفي مواقع مفاجأة مثل الجامعة الأمريكية. حتى كانت النتيجة النهائية أن اليسار ٧٠% من مقاعد اتحادات الطلبة في الجامعة وحتى في المدارس الثانوية بل وفي المناطق المسيحية.

حتى الانتخابات النيابية بدأت نفس الظاهرة تزحف إليها وهو ما اعتبره اليمين كارثة. وتبلورت المعركة في انتخابات الجنوب حيث كاد رجل النظام قطب تكتل الوسط «الأسعد فرنجية صائب سلام» وهو كامل الأسعد رئيس المجلس النيابي أن يفقد مقعده في مواجهة شاب شيعي أيضا وتدخلت قوى الأمن والجيش ومع ذلك فقد كان فوز الأسعد بفارق ألفين صوت فقط حيث نال حوال ١٣ ألف صوت.

وادرك اليمين بالقطع أن المعارك السياسية في غير صالحه وأن اليسار يسعى

إلى التغيير بالتطوير بينما النظام عاجز عن التطوير في إطار الشرعية لأن التطوير يعنى ضياع الامتيازات.

وانصافا : لابد من تسجيل ظاهرة أن اليمين المستير أدرك خطورة الموقف فاليمين في عزلة مما يجعله يحتكم إلى السلاح ، واليسار في نشوة الانتصارات مما يجعله يحتكم إلى الشارع اللبناني ، وبالتالي يفتح الأبواب لصراع من أجل التغيير قد لا يعترف أحد مداه. فطرح اليمين المستير فكرة تعديل قانون الانتخاب بهدف تحويل الصدام من الشارع إلى داخل البرلمان وبالتالي يتحول من طاقة غضب قد تهدم ما هو قائم إلى طاقة كلامية تمتص الغضب وتحقق قدرا من التطوير ولكن اليمين رفض حتى محاولة اليمين المستير لإنقاذه. واتجهت أنظاره نحو الجيش ليحسم الصراع.

والواقع أن الطائفة السياسية والبنان الاقتصادي المختل قد تركا بصماتها على كل أوجه الحياة في لبنان. وإن كان الجيش هو أكثر المؤسسات التي أصابها الخراب بسبب ذلك باعتبار أن إنشاء جيش مسألة لها مواصفات أهمها الانضباط والولاء لسلطة تمثل الوطن ووحدة هدف تجمع أفراد القوات المسلحة.

فالخلاف الأساسي حول هوية لبنان.. أهو دولة عربية أم رأس جسر للغرب في المنطقة العربية، أو بمعنى آخر عربية أم ذو وجه عربي وماترب على هذا الخلاف من خلاف حول معالجة القضايا الحيوية كان سببا في عدم بناء جيش حقيق فالوارثة على وجه خاص يعلقون أن لبنان يستمد قوته من ضعفه، أي أن ضعفه سوف يدفع الآخرين إلى عدم الاعتداء عليه. بينما كانت أغلبية الشعب اللبناني تريد إنشاء جيش قوى.

وأكبر عقبات إنشاء جيش قوى هي تركيبة الجيش الطائفية مما يحول دون وحدته بل وحتى النسب الطائفية لم تحترم. وفي سنة ١٩٧٢ كانت ٨٥% من رتب قادة الوحدات مسيحية بينما ترك للمسلمين ١٥% (٢٢). وقد تمت مناقشة المشكلة في البرلمان في يوليو ولكنها انتهت إلى تبادل الشتائم والتهامات وبقيت المشكلة.

ولم يقف أثر الطائفية عند حدود توزيع الرتب بل امتد إلى دور الجيش نفسه حيث خرج الجيش من أزمة ١٩٥٨ التي استعان فيها كميل شمعون بالأسطول السادس جيشاً طائفيًا. إذ دخل مجال العمل السياسي من باب الطائفية وكلاهما أثر السياسة والطائفية بالنسبة لأي جيش، إذ تحول الاحساس العام أن الجيش أصبح لفئة وليس للوطن. وكان الدليل أنه يستخدم لضرب بيروت- ١٩٧٣. بالطائرات بينما يخفى حين تهاجم إسرائيل لبنان (٢٣).

وقد عمق المشكلة انغماس الجيش في السياسة وخاصة في عهد فؤاد شهاب. وإتصافاً، فإن شهاب اعتمد على الجيش لأنه في الأصل ضابط ثم هو لم يصل الحكم بنزب. فكان عليه أن يعتمد على من يعرفهم وكلهم من الضباط. وفي الوقت الذي دخل فيه الجيش السياسة كان في الواقع جهازاً مستقلاً على عكس دول العالم كله فهو طبقاً لقوانين ١٩٥٥ استقل قائد الجيش تماماً عن السلطة التنفيذية وفي غياب قانون للتجنيد الإجباري أصبح الجيش لعبة في يد السلطة. وكان الاعتماد عليه في بداية عهد سليمان فرنجية- ١٩٧٠- لتنفيذ «مخطط» حسب تعبير فؤاد لحود ضرب الفلسطينيين تمرير الحل السلمي خطأ، لأن جيش لبنان ليس مثل جيش الأردن مما زاد أزمة الجيش حدة.

وكان أيضاً من بين نتائج إدخال الجيش إلى السياسة أن أصبحت مواقع القيادة فيه عرضه للتطهير والتبديل حسب التغييرات التي تقع في الهيكل السياسي للنظام وجرت بالفعل عمليات تطهير وإخراج للضباط، إلى جانب الاجازات التي اعطيت لعدد كبير من الضباط لتدريب ميلشيات الموارنة.

وقد أضيف لعوامل إضعاف الجيش اللبناني غير التركيب الطائفي وإدخاله مجال السياسة عامل آخر وهو التسليح. فإن طبيعة النظام الاقتصادية «الوسطاء» حولت مسألة التسليح من مهمة قومية إلى تجارة، وتجارة على الطريقة اللبنانية حيث الرشاوى تحت اسم العمولات والغش تحت دعوى الجهل. وقد زاد من بشاعة

الجرم في هذا المجال الافتقار الى الشعور بالولاء للوطن. وأشهر الأمثلة على ذلك صفقة صواريخ الكروقال وطائرات الميراج والتي بلغت ٢٠٠ مليون ليرة. ورغم دفع العمليات المائلة تمريرها فإن الصفقة ألغيت. وبرز رئيس الوزراء هذا القرار بأنه كان لتجنب خسائر كبيرة تلحق بخزانة لبنان وحتى بالدفاع عنه «أى حتى لا تأتى إسرائيل وتدمر هذا السلاح. والمفارقة تأتى من أن الصاروخ كروقال استبدل بمدافع ٢٠مم المصممة قبل الحرب العالمية الثانية ضد طائرات كانت سرعتها لا تتجاوز نصف سرعة الصوت ليستعمل اليوم في لبنان ضد طائرات سرعتها ضعف سرعة الصوت (٢٤) وهو ما يعنى أن الدولة بالفعل لا تريد تعزيز جيش لبنان. بل لقد وصل الأمر عند مناقشة ميزانية الدفاع ١٩٧٣/٧٢ أن وقف ير الجميل رئيس حزب الكتائب ليقول في البرلمان إن نصف أو ثلاثة أرباع الموازنة التي توضع هنا من أجل الدفاع لو وضعت للمياه، للكهرباء، للطرق التي نحن بحاجة إليها كان أفضل من أى شراء حديد لا يتفعا في شيء (٢٥). فالسلاح في نظر زعيم حزب الكتائب حديد لا تنفع منه إذا كان للجيش ولكنه أمر حيوى إذا كان لميلشيا الكتائب. ثم يقول ير الجنيل: إن قوة لبنان ليست بالجندي ولا بالجيش، بل قوتنا باحترامنا للمواثيق الدولية وبصدقاتنا. بل إن كل الجيوش العربية مع كل السلاح الذى تملكه لم تستطيع أن تصمد أمام إسرائيل. فى الوقت الذى يسخر فيه ير الجميل من جيش لبنان والجيش العربية كان يعرف أن هناك تقريرا أعدته لجنة عسكرية لقيادة الجيش عرف بالتقرير «٥٣٢» يتضح منه أن جيش لبنان لم يصد اعتداءات إسرائيل فى ١٩٧٢ بسبب تقصير من قيادته المارونية وبسبب دور الطائفة وعدم وجود وطن للجميع.

وفى تقرير آخر أعده العميد الركن كنعان المعاون العملاق لرئيس الأركان فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٧٥ وفى الصفحة السادسة منه يقول بالنص: «لقد أصيب الجيش بهزات عنيفة متتالية تركت آثارا بليغة فى معنوياته منها ما جرى تداركه ومنها مازالت آثاره تتفاعل حتى الآن ويمكن إيجاز هذه الهزات بما يأتى:

أ- محاكمات ضباط المكتب الثاني « المخابرات »

ب- محاكمات صفقات الأسلحة .

ورغم أنها اتخذت صيغة التطهير الذاق فإنها فتحت المجال أمام الكثيرين للخوض في أمور الجيش الداخلية والتيل من سمعته .

ج- حملات التشهير التي كانت تجدها مبررا في غارات العدو الاسرائيل .

د- حملات التشكيك والتشهير التي رافقت وتلت أحداث آيار « مايو » ١٩٧٣ .

هـ- حملات التشكيك والتهمج التي تلت أحداث صيدا سنة ١٩٧٥ .

و- حملات التجريح والتهمج على قائد الجيش السابق حتى استبداله .

ز- متابعة حملات التجريح بقية شل كل ماهو فاعل في ادارات الدولة من أجهزة ومؤسسات ، وتعطيل دورها وخاصة كل مايعطل دور الجيش

و يفصيف فؤاد لحود في كتابه إلى هذه العوامل عوامل أخرى منها شراء معدات وأسلحة غير ملائمة وقيادة الجيش وإدارته بصورة « اعتباطية » وطمس الحقائق تسترا برداء السرية وكرامة الجيش والتناقض في الأوامر باستخدام الجيش .

ويبدو أن هذه الحقائق كانت غائبة عن القيادة السياسية في لبنان والتي تصورت أن هذا الجيش ليست مهمته الدفاع عن لبنان ولكن المهمة الأساسية له هي الدفاع عن الموارنة ضد العدو الذي يختارونه وهو الفلسطينيين . والغريب أن دولة مثل لبنان تعتبر مركزا رئيسيا لكل أجهزة المخابرات في عالم تقيب عن قيادتها أبسط المعلومات عن كيان الدولة . ويبدو أن كون بيروت مركزا للجانوسية هو أيضا أحد أبعاد الأزمة .

فالواقع أن بيروت هي واحدة من مراكز المعلومات في العالم وهي المركز الرئيسي في العالم العربي ، وذلك بحكم طبيعة الدولة في لبنان ، والتفتت الحزافي للمكيان في لبنان واتناء الطبقة الحاكمة إلى النفوذ الأجنبي إلى حد يضل للولاء . وتحت شعار الحرية أصبح كل شيء مباح . فليس في لبنان سر وليس هناك أبواب

مغلقة. وأدق أسرار الدولة يمكن أن تحصل عليها من أى مقهى حتى بدون مقابل. فكل طرف يحرص على أن يقدم أدق أسرار الطرف الآخر دون إدراك أن كل الأطراف هم أبناء وطن واحد. وحكومات العالم العربى استفادت من بيروت كمركز معلومات ومخابرات كما استفادت كل دول العالم صاحبة المصالح في هذه المنطقة. وبقدر ما كانت كل الأطراف تحرص على استمرار هذا الوضع في لبنان بقدر ما كان الصراع على أشده بينها على الساحة اللبنانية. ولم يكن الصراع وتفاعل الاطراف العربية بعضها مع بعض بل ومثلا نجد أن دولتى ألمانيا وجدتا في ساحة لبنان ميدان صراع بينهما.

وبحكم المجتمع المفتوح أصبحت الكلمة في لبنان مسموعة في العالم كله إلى حد أن صحف في لبنان لا يكاد يصل التوزيع للواحدة منها الألف نسخة ومع ذلك فهي تجذب أكبر إذاعات المنطقة العربية تنقل عنها بدعوى أنها اتجاهات الصحف وأصبحت الحرب بالكلمة جزءا أصيلا في حياة لبنان تعيش عليه وتميش به. وساعد على ذلك كله عدم وجود جهاز أمن بالمعنى الحقيقى والموجود شرطة لا تملك سلطة وبالتالي لا تخيف أحدا. ويكفى تعبيراً عن إحساس الشرطة بعمجزها أن عسكري المرور في بيروت حين يجد سيارة تقف في مكان ممنوع لا يعطيها مخالفة كما يحدث في كل دول العالم ولكنه ينحنى مثل الأطفال في بلدنا ليفرغ الهواء من عجلات السيارة ويمضى فرحاً بأنه عاقب صاحب السيارة دون أن يدري أنه يمر حقيقة عن فلسفة الشرطة التي لا تملك من أمر نفسها شيئا...!

وهكذا تتبلور أزمة لبنان في ظاهرتين: القوى المستفيدة من التقسيم الطائفي تجمع الثروة والسلطة والسيادة الطائفية وأكثر هذه القوى تنظيماً هي حزب الكتائب والجبايع الفقراء هم مركز نشاط الحركة الوطنية اللبنانية.. وكانت إحدى الأفكار التي برزت نتيجة أن الوضع الاقتصادي والطائفي والإعلامي هو مناخ مثالي لاكتساح اليسار للشارع اللبناني هي ضرورة خروج قوة تحاول أن تسرق من الحركة الوطنية على رأى السينمائيين «الكادر» أى تبتلع الصورة فيختفي غيرها. وكانت

حركة المحرومين التي يقودها الإمام موسى الصدر هي المرشحة لهذا الدور. وأعتقد أن ذلك يستدعي الوقوف قليلا أمام قوتين... الكتائب.. وحركة المحرومين وعلاقتها بالأحداث.

فالكثائب هي التي أطلقت رصاصات البداية للأحداث بعد أن كان الوطنيون الأحرار هم الذين أطلقوا إشارة البداية لانتفاضة سنة ١٩٥٨ وفي مكتب بشير الجميل ابن بير الجميل وقائد قوات الجبهة وهولم يصل إلى سن الثلاثين حاولت أن أحصل على الصورة التنظيمية للحزب ولعل «منفضة» السجائر التي على المائدة كانت تذكرني دائما بطبيعة الحزب وعقيدته. فهي عبارة عن طبق من الفضة يحمل على أطرافه ثلاث بنادق من الفضة أيضا يلتقي سلاحها الأبيض معا لتمثل نقطة تحمل منها المنفضة. والغريب هي هواية قيادات الجبهة بالعنف مثلا يقيم سليمان فرنجية مدفع نحاس صغير على المكتب!

فحزب الكتائب ولد تنظيلا عسكريا حتى من الاسم العائد إلى كتيبة وأساس التنظيم هو المجموعة الصغرى التي تصاعدت إلى وحدات ثم إلى سرية فكتيبة، لتمثل ميلشيا الحرب بعد أن فرض عليه بعد الاستقلال أن يعلن نفسه حزبا سياسيا. وليس تنظيلا عسكريا. والحزب يقسم لبنان إلى وحدات صغيرة يقيم في كل منها مسئول عسكري وآخر سياسي أو تربوي. وكانت إرادة الحزب تتجمع في شخص رئيسه إلى أن تقرر إقامة مجلس شورى للرئيس وذلك سنة ١٩٤٢ واستمر هذا الوضع عشرة أعوام حين جرى تعديل جديد فيه من دائرة القيادة من الفرد إلى مجموعة صغيرة من ١٨ عضوا أصبحت بعد ذلك ٢١ هي ما أطلق عليه المكتب السياسي. وهو صاحب سلطة القرار في الحزب فيما يتعلق بإقرار سياسة الحزب وتنظيماته ويقوم بالتعيين في جميع الوظائف، وهو يتألف من رئيس الحزب ونوابه والأمين العام. وكان في الماضي الرئيس هو الأمين العام. ووزراء الحزب ونوابه البرلمانيين ونوابه السابقين وخمسة أعضاء ينتخبهم مجلس الحزب المركزي لمدة سنتين. أي أن المكتب في الأغلبية الساحقة بالتعيين، أي ١٦ بالتعيين وخمسة

بالانتخاب غير المباشر، أى بالاختيار ونظرة على تشكيل المكتب السياسى توضح أنه يمثل طبقة واحدة من المجتمع اللبناني .

التوزيع المهنى فى المكتب السياسى ١٩٧٠ (٢٦)

النسبة	العدد	المهنة
%٤٧,٦	١٠	محامون
%١٩	٤	رجال أعمال
%١٤,٢٠	٣	صحافيون
%٤,٨	١	اقتصاديون
—	١	صيادلة
—	١	أطباء
—	١	حريون
%١٠٠	٢١	المجموع

والأهم هو دراسة سيطرة المكتب السياسى على اقتصاد لبنان . وفى ملاحق الكتاب جدولان : أحدهما عن الشركات التى يملكها أو يديرها أعضاء المكتب السياسى للحزب والآخر عن الشركات التى تشارك مؤسسات الحزب أو ترتبط بها بشكل من الأشكال .

فنجده أن ٤٢ شركة وبنك يديرها أو يملكها ١١ من أعضاء المكتب السياسى (٢٧) وبين هذه الشركات ٤ أمريكية وواحدة فرنسية ألمانية وأشهر هذه الشركات هى كازينو لبنان وهو شركة مساهمة خطوره أنه عن طريق إيرادات صالة القمار ودخل الكازينو تدفع العمولات إلى الوزراء والنواب وغيرهم دون سلطة رقابة أو دليل يسهل العثور عليه .

هذا إلى جانب ٦١ من أكبر شركات لبنان أصحابها أنصار الحزب ويدخلون شركاء في بعض الشركات التي يملكها قادة الحزب وأشهر مثال على ذلك شركات جورج أبو عضل الخمسة عشرة والذي يملك مجلة الأسبوع العربي التي تعتبر أحد أدوات التعبير عن سياسة حزب الكتائب (٢٨).

والظاهرة التي لا تقل أهمية عن تركيز الثروة والسلطة في يد نخبة محدودة بل في أن كواد الحزب من الشباب الذي يقل عمره عن ٢٥ سنة وهم معظم الذين كانوا يقاتلون حيث يسهل السيطرة عليهم بالإغراء والاثارة وخلق الهوس الطائفي. فنجد أن ١٥% من أعضاء الحزب في معدل الأعمار من ١٤ سنة حتى عشرين سنة وهم عصب المتقاتلين، وقد التفت بكثير منهم في بيوت بيروت وكل منهم يتحدث بفخر عن عدد الرصاصات التي أطلقها عبر الشوارع، وكان أحدهم وسنة ١٤ سنة يحكي كيف أنه غالطهم في سنة من أجل أن ينتقل من سلاح البندقية إلى المدفع مربع الطلقات. ويضاف لذلك أن ٢٦% من الأعضاء في فترة العمر ٢١-٢٥ أي أن ٤١% من أعضاء الحزب أقل من ٢٥ سنة عمرا بينما نصف أعضاء الحزب في عمر ٢٦-٤٠. أما الذين تجاوزوا سن الستين فهم ١% فقط أي أن النخبة الحاكمة للحزب تختار من نسبة ٨% هي الذين بين ٤٦ سنة حتى ٦٠ عاما.

والحقيقة التي يجب أن تكون في الذاكرة هي أن هناك علاقة وثيقة بين نمو عضوية الحزب وبين الأزمات (٢٩). فعندما يبدو أن النظام السياسي مهدد يتلقى الحزب مزيدا من الطلبات ومع انخفاض الأزمات وحلها تدريجيا ينسحب الأعضاء ببطء وبشكل غير رسمي من صفوف الحرب «أما الذين يبقون طويلا في الحزب فلا تتجاوز نسبتهم عن ١٤% مثلا حدث سنة ١٩٥٨ حين تدفقت أعداد هائلة بدخول الحزب ومعظمهم من العمال ولكن الموقف كشف مدى التناقض بينهم وبين الحزب وكانوا يمثلون مشكلة إلى أن جدد الحزب بطاقاته سنة ١٩٦٠ وتم خروجهم منه.

والحزب حسب كلام بشير الجميل معى يقدم حاليا بإصدار بطاقة جديدة بعد

إنهاء المذبحة ليعرف كوادره التي مازالت تدين له بالولاء بعد سنين قاد الحزب بهم الحرب الأهلية .

وشعار الحزب هو «الله، الوطن، العائلة» وطبقا لتفسير فيلسوف الحزب فإن الفرد هو الوحدة الأساسية بعد أن كانت في البداية هي العائلة . فهو فرد وعضو في مجتمع يؤلف أمة ودولة ذات سيادة «إن كون الشخص الإنساني غاية عقيدتنا المحورية فذلك يعني أن ما كنا به وما نرمن إليه إنما يهدفان في غايتها الأخيرة إلى خير الشخص كشخص . وإذا كنا نعمل على أن يقوم لبنان برسالة التي أوحى بها معطياته الخاصة، فلأن تلك الرسالة في مرماها القريب والبعيد تهدف إلى خدمة الشخص الإنساني . فالشخص هو أبدا غاية، وله الأولوية على كل ماعداه في الكون (٣٠) . والغريب أن المؤلف يقول «إنه إذا كانت الأولوية للشخص . وإذا كانت قيمة الشخص تأتي قبل المجتمع فلا يعني هذا أن الكتائب تنادي بالفردية أو تحط من قيمة المجتمع» . ولست أدري أى فلسفة هذه التي لا تريد حتى أن تعترف بحقيقتها فيقول مفكر الحزب هربا من مسألة الفردية: «إن إيمان الكتائب بالعائلة هو من القوة والعمق والأهمية بحيث تحتل العائلة المرتبة الثانية في المثلث العقائدي الكتائبي» .

وقد تبنت فلسفة الكتائب دعوى القومية اللبنانية وهي من خلق رهبان الجبل في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهي في الواقع القومية المارونية ولكن لأنهم يخلطون عمدا بين الموازنة واللبنانية فهم يطلقون عليها قومية لبنانية والمهدف هو خلق كيان لمواجهة القومية العربية . وهو ما يؤكد رئيس الحزب بقوله إننا نؤمن بوجود قومية لبنانية مساوية للقومية العربية . وأن ارتباطنا الأيديولوجي بالقومية اللبنانية هو مصدر صراعنا مع القومية العربية . إننا نؤمن أن العرق اللبناني مؤيد كغيره من الأعراق الموجودة في أوروبا (٣١) . أما نائب رئيس حزب الكتائب - جوزيف شادر - فيقول (٣٢): إن لكل دين عصره ويصبح على مر الزمن أكثر فأكثر روحانية ولذلك نبنا نحمد أن المسيحية في القرن العشرين أكثر روحانية مما كانت عليه في

القرن الثاني عشر - يوم في القرن الرابع عشر على الرغم من أن المسلمين اللبنانيين أقل تنصبا من المسلمين في أجزاء أخرى من العالم العربي بسبب اتصالهم بالمسيحيين فإنهم اليوم في القرن الثامن عشر هذا على الرغم من مظهرهم الذي يبدو به في القرن العشرين .

والحقائق التي يهمنى التركيز عليها بالنسبة لحزب الكتائب :

أولا : أن الأزمة الاقتصادية تمس الحزب في كيانه باعتباره حزب الطبقة الوسطى التي امتدت إليها الأزمة وهو صاحب الاحتكارات والشركات وأزمة الحكم تمس قيادة الحزب لأن التغيير سوف يكون على حسابها . ومن هنا كان حزب الكتائب صاحب مصلحة إن لم يكن صاحب المصلحة الأولى من قوى الصراع اللبناني في إشعال الحرب الأهلية :

ثانيا : أن الحزب يحكم بسيطرته على اقتصاد لبنان فهو على علاقات مفتوحة عن طريق الاقتصاد مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة و يرى أكثر من مصدر أن المسألة قديمة وأن فرنسا لها دور في تشجيع فكرة تأسيس الحزب وإمداد رجاله بمساعدات مالية كثيرة في سنوات الحزب الأولى . وأن سجلات المفوضية الأمر يكية في ذلك الوقت ذكرت بعض التفصيلات عن هذه المساعدات بأن بعض كبار المسؤولين في الحزب كانوا يتلقون راتبا شهريا من الحكومة الفرنسية أيام الإنتداب هذا إلى جانب الإتصالات الثقافية والسياسية (٣٣) . كما أن له علاقات مع العرب وخاصة دول البترول الآسيوية وقد لفت نظري أن صحيفة لبنانية هي صحيفة الجمهورية المعروفة ببيوها السعودية تكاد تتصور أن وجهة نظر الموارنة هي وجه نظر لبنان . ففي صفحة تعليقات الصحف نجد أن الصحف (٣٤) التي اختارتها هي في أغلبها صحف الكتائب

بوجه خاص والموارنة بوجه عام، ~~التي لم تستطعت~~ افتتاحية جريدة العمل المتحدثة باسم الكتائب ربع الصفحة بالضبط وهي تركز حول المجهوم على الفلسطينيين تحت عنوان « القضية : هي الوجود الفلسطيني . وبقية الصحف الأخرى هي البيرق والإصرار وصحيفة بدورينت - ليجور الفرنسية اللغة .

ثالثا : أن حزب الكتائب هو الحزب اللبناني الوحيد الذي يكاد يحتكر أصوات اليهود اللبنانيين في الانتخابات وخاصة انتخابه في بيروت . وهو ما يفتح له قنوات سريعة الإتصال مع إسرائيل .

رابعا : أن الحزب حين يتم الاحتكار للسلح هو أكثر أحزاب لبنان قدرة على جمع السلاح والمسلحين . فهو يملك الثروة وحوالي نصف الأعضاء من الشباب الذي يتلىء رأسه بالموس الطائفي والاستعلاء العنصري .

خامسا : أن نظرتة للعرب تحمل الكثير من الاحتقار . يكفي أن نائب رئيس الحزب يقول إنهم يعيشون في القرن الثامن عشر مع أن مظهرهم يبدو وكأنهم في القرن العشرين .

أما القوى الكامنة التي تستحق المرور على تكوينها فهي حركة « المحرومين » وقد توجهت إلى مقر رئيس الحركة الإمام موسى الصدر بالحازمية حيث يقع في داخل القلعة المارونية وتحت تصورات الحرب الأهلية طوال ١٩ شهرا رجوت صديقا مارونيا أن يضمنني إلى هناك ويكون في انتظاري لأنني سوف أسأل عن مسلم داخل قلعة الموارنة . واقتربنا من منطقة المبنى ولم أجد أحدا أسأله سوى راهبة كانت تسير وأنا أتوقع في نفسي أن لا تعرف المقر الرئيسي لمجلس الشيعية ولكنها بلطف شديد أوصلتنا حتى مدخل المبنى الأنيق وكان لبنان لم يكن بها حرب وعلى مرأى البصر منه منازل المحرومين ، وقد دمرتها مدفعية الموارنة من حول مقر الإمام الصدر . وكانت المفاجأة الأخرى عنه المدخل هي أن الرجل الجالس

في استعلامات مقر المجلس الشيعي الأعلى لا يعرف العربية فهو إيراني وكان كل ما أردته وحصلت عليه هو كل مطبوعات حركة المحرّمين لأن- الإمام جاء متأخرا ساعة لعذر وفاة أحد أصدقائه وتعذر لقائنا مرة أخرى وأكتفيت بأن جمعت كل تصريحاته . وهو الرجل الذي عاش عمره في إيران وعاد ليحتل معقد رئاسة المجلس الشيعي سنة ١٩٦٩ وأثار حوله حملة أكثرها يتركز حول مدى علاقته بالنظام الإيراني الامبراطوري وهو الذي يقود أكبر طائفة عددا في لبنان وهم يمثلون أفقر مواطني لبنان ، والذين يمثلون ما يعرف بحزام الفقر حول بيروت وفي كتاب عضو حزب الوطنيين الأحرار- شمعون- يقول (٣٥) إن أكثر النازحين نحو العاصمة كانوا من الشيعة وكان المسيحيون ينظرون إلى هذا الترويج الإسلامي الشيعي بعين الرضى باعتبار أن الشيعة هم حلفاؤهم الطبيعيون نظرا للعلاقات التي تربط الجهتين بامبراطورية إيران .

وإذا كان يلفت النظر توصيف ماروني للزحف الشيعي والتحالف الطبيعي مع الموارنة بحلقة اتصال هي إيران . فإن دور الإمام خلال الأثرة كان حقيقة دور في حاجة إلى تبرير . فهو الذي أعلن دعوة الشيعة إلى الإضراب العام نتيجة عدم اهتمام الحكومة بحل مشاكلهم «وقال : إن أهالي الجنوب رفضوا الإسعافات وبعد أن نفذ الصبر عزمنا لاعن ارتجال ولا عن رغبة في التخريب والغرضي ، عزمنا أنا وأخواني وعزمنا أنتم- مخاطبا جميع الشيعة- وعزم كل لبناني على أن تبدأ بالخطوات السلبية . هذا الثلاثاء إضراب عام . فإذا لم تنجح في تنفيذ المطالب فأنا أمامكم ، أمام المظاهرات يوم الثلاثاء المقبل . فإذا لم تنفذ المطالب في الأسبوع المقبل فإننا نحن الذين بنينا قصور بيروت ، سنحتلها ونقيم فيها . فأبناء الجنوب بيوتهم القصور وليست خيام الصليب الأحمر ، ولا يعتب علينا أحد إذا أخذنا القصور الفارغة» (٣٦) ، وبدأ سلسلة من المظاهرة من مدينة إلى أخرى لتنتهي وفق الخطة بالزحف على بيروت .

ثم أصبح شعاره الذى يردده فى كل مكان هو « السلاح زينة الرجال » وفى الأسبوع الأول من إبريل سنة ١٩٧٥ أى قبل البداية الرسمية لسباق لبنان المحموم مع الموت أنتخب الإمام موسى الصدر للمرة الثانية رئيساً للمجلس الشيعى الأعلى وعُدل له القانون الداخلى للمجلس بحيث يستمر رئيساً مدى الحياة وجرى التعديل وحول المقر أكثر من ٢٠ ألف شيعى بينهم آلاف المسلحين يطلقون النار وأعضاء المجلس فى الداخل يناقشون مسألة التعديل وانتهت المناقشة بفوز الإمام الصدر.

وبحكم أن حركة المحرومين التى يقودها الإمام الصدر حديثة عهد وليست حزبا فإتسا لانجد إلاماتشركة بعد الأحداث وحده الدليل المحايد لتحديد موقع الإمام الصدر فى حركة الصراع.

فنشرة الحركة (٣٧) ترى أن اليسار اللبناني هو الذى « أثار الفرائز الطائفية بعد نشر المعلومات ذات الطابع الطائفي والغريب أن القادة والأحزاب التى تدعى التقدمية والعلمانية كانت تمارس هذا الأسلوب بشكل مكشوف » وتمضى النشرة فى عرض دور حركة المحرومين التى تقول عنها إن حركة المحرومين هى واحدة من هؤلاء اللبؤات. وغفوا للمصريين الذين لا يستعملون هذا الوصف ولكننى أنقله حرفيا من نفس عدد النشرة. وقفت قبل المحنة وطوال أشهرها ولياليها موقف الأمم الحقيقية والموقف فى :

١- فى مايو سنة ١٩٧٤ وصلت حركة المحرومين فى مهرجان صور وبعد .. مهرجان بعليبك إلى قة التصعيد الجماهيرى . وقررت الحركة إقامة المهرجان الأخير فى بيروت يليه الاعتصام فى المسجد تمهيدا لإسقاط الحكومة. وهى طبعاً حكومة سنية أرادت البكتائب إسقاطها. وكانت الحركة تدرس إمكانية تصدى السلطة لها وتعالج مضاعفاتها . فإذا بها تطلع على تقرير (٣٨) دقيق يكشف عن وجود حركة تسلح واسع النطاق لدى بعض الطوائف اللبنانية . كما يؤكد وجود تعبئة طائفية معادية ، وتبين أن التصعيد سيؤدى الى كارثة وطنية واننا سنجد امامنا

يوم الاعتصام لبنانيين مسلحين ، لا القوى الحكومية .. وهنا يسيطر الشعور بالمسؤولية الوطنية على قيادة الحركة فتجاوزت المزايدات والمجد السياسي وتحملت الاتهامات والطفنات فحولت النضال إلى مد جسور جديدة إلى سائر الطوائف اللبنانية بواسطة المثقفين وأسست الأمانة العامة للفكر الملتزم في خدمة المحرومين . أى أن حركة المحرومين التي كان شعارها السلاح زينة الرجال بعد تعبئة الجماهير وأثارتها طوال ثلاثة أعوام ودعتها إلى احتلال القصور في بيروت عرفت بتقرير سرى أن هناك طوائف في لبنان مسلحة وهذا السر الخطير كانت تنشره صحف لبنان صباح مساء ويبقى السؤال معلقا لماذا قامت حركة المحرومين بقيادة الإمام الصدر بهذا الدور التيجي ثم عادت إلى مد الجسور بعد قوات الأوان حتى قبيل عن الإمام إته المقاتل وقت السلام والمسلم وقت الحرب .

وكانت حركة المحرومين من أعلى الأصوات التي عارضت مقاطعة حزب الكتائب نتيجة مذبة عين الرمانة . وكان منطق الحركة أن عزل الكتائب يعتبر انحرافا تكسيكيا يجعل الجماهير متعاطفة مع الكتائب . وكان موقف إمام الشيعة أحد أسباب عدم النجاح في فرض العزلة على الكتائب إلا في عدم اشتراكها في الوزارة التي تشكلت بعد المذبة وهي وزارة رشيد كرامي .

وقت راجعت كل نسخ نشرات صوت المحرومين بحثا عن كلمة نقد في حزب الكتائب أو حزب الوطنيين الأحرار فلم أعر على تعبير صريح واحد ولكنني وجدت في البيانات اتهاما للرجل الذي قدم حياته ثمنا وهو كمال جنبلاط فتهمه أنه حسب وصفها « ومن يقف وراء جنبلاط في داخل لبنان وخارجه » وراء مؤامرة بدت واضجة على الهيئات والقيادات الإسلامية . وقد خططت ومولت بدقة متناهية تمهيدا للاستيلاء على السلطة في المناطق ذات الأكثرية الإسلامية بعد أن تم تمزيق وحدة لبنان وشعبه وأرضه بالاشتراك مع القوى اليمينية الائمالية الموثورة . ثم تستمر نشرة صوت المحرومين فتقول : إن

المؤامرة أخذت في الاعتبار وضع المقاومة ومعتها وعملت على استغلالها . فأوقعت بينها وبين خواتم الحقيقين . وهي تحاول قطع الجسور بين المقاومة وبين معظم الفئات اللبنانية لتصبح أسيرة أهواء ونزوات السيد جنبلاط .. وتنتهي إلى أن حركة المحرومين تلفت نظر الطائفة الدرزية الكرعة لما عرف عنها من التمسك الشديد في احترام القيم والتقاليد والمقامات الروحية إلا أنه يقع على عاتقها دون سواها وضع حد لهذا الإنسان - جنبلاط - الذي أصبح مضرب المثل في الإساءة إلى كل هذه القيم والتقاليد والمقامات الروحية (٢٩) وهو ما لم يصدر من أي قيادة مارونية في لبنان ضد كمال جنبلاط في أي لحظة من لحظات القتال ومافكر أحد في حزب الكتائب أو الاحراز لدعوة الدروز لوضع حد - لجنبلاط ، أما ما يتعلق بالمؤامرة للاستيلاء على السلطة في المناطق الإسلامية فهو رغم أنه كان وليا جديدا إلا أنني سمعته بعد ذلك من سليمان فرنجية . والمحقق التي يجب الوقوف عندها مع حركة المحرومين :

- ١- أن الإمام موسى الصدر تراه الطائفة المارونية حليفا .
- ٢- أن قيادة الإمام لحركة المحرومين كانت إحدى القوى في تهينة المناخ بلبنان للصدام .
- ٣- أن حركة المحرومين أرادت أن تنافس اليسار على قيادة المحرومين باعتبارها قيادة مقبولة ولن تثير شكوك أصحاب الاحتكارات . إذ ساعة الصدام سوف تحتكم إلى المنطق وإعادة الجسور ولا يصبح السلاح زينة بل يختص .

وفي اعتقادي أن صورة البعد اللبناني للأزمة تكون قد اكتملت بذلك وهو ما يفتح الطريق نحو الخروج إلى دائرة الأوسع وهي البعد العربي .

هوامش الفصل الثاني

- (١) Kouty, Anuer, The crisis in The Lebanese System Washington 1976, p. 1
- (٢) جريدة النهار في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٦٨ .
- (٣) صحف لبنان في ٥ أغسطس سنة ١٩٧٠
- (٤) مروان ناصر- فلسفة الميثاق الوطني اللبناني- شئون فلسطينية عدد ٥٩ لسنة ١٩٧٦ .
- (٥) من حصاد الأيام- في القضية اللبنانية ٧٤ / ١٩٧٦ . منشورات دار العمل ص ١٣ .
- (٦) القضية اللبنانية- جامعة الكسليك كتيب رقم ١٨ ص ١٢ .
- (٧) يوسف جوهر- تاريخ لبنان العام ص ٢١١ .
- (٨) بشارة الخوري- حقائق لبنانية- المجلد الأول- ص ١٩٩ .
- (٩) الدكتور جورج ديب- الميثاق الوطني اللبناني . شئون فلسطينية رقم ٥١/٥٠ ص ٢٩ .
- (١٠) الدكتور ناصيف نصار- لمؤتمرات بيروت سنة ١٩٧٥ دار الطليعة ص ١٠٥ .
- (١١) من حصاد الأيام ، في القضية اللبنانية ، ٧٤ / ٧٦ . ص ١١ .
- (١٢) عضو الجلسة الثانية للجنة الإصلاح السياسي التابعة لهيئة الحوار الوطني .
- (١٣) طلال شاهين- المفجر الرئيسي للصراع في لبنان شئون فلسطينية رقم ٥٥ في ١٩٧٦ .
- (١٤) خالد جابر- السلطة والتوازن في لبنان . شئون فلسطينية رقم ٥٠ في ١٩٧٥ .
- (١٥) الدكتور هشام البساط- مركز بيروت المالي . ملحق عن المصارف الحوادث . يوليو سنة ١٩٧٧
- (١٦) خالد بن جابر- مرجع سابق .
- (١٧) الدكتور ناصيف نصار- مرجع سابق ص ١٥٩ .
- (١٨) جريدة النهار الملحق الإنمائي - ١٢ مايو سنة ١٩٧٤ .
- (١٩) Kouty, Enurt, p. 13-17
- (٢٠) د. رياض طبارة « هيمنة بيروت وفرص التنمية . جريدة الأنوار في ١١ يونيو ١٩٧٧ وهي عن دراسات للكاتب بعنوان « السكان والتنمية » .
- (٢١) من حصاد الأيام . في القضية اللبنانية ٧٤ / ١٩٧٦ ص ١٨ .
- (٢٢) فؤاد لحود- مأساة جيش لبنان ص ٨٤- ٩١ .
- (٢٣) كلمة رشيد الصلح رئيس وزراء لبنان السابق في جلسة البرلمان ١٦ أبريل ١٩٧٤ .

- (٢٤) فؤاد لحود . مأساة جيش لبنان ص ٦٢ .
- (٢٥) عفاشير جلسات المجالس النيابي ٧٢-٧٣ / ٢ ص ١٣٦٤ .
- (٢٦) راشد حميد . الكتائب . ملحق فلسطينية رقم ٤٦ نقلا عن رسالة دكتوراه في جامعة نيويورك .
- (٢٧) ملحق الشركات العائد لحزب الكتائب (رقم ٣) .
- (٢٨) ملحق الشركات الصديقة لحزب الكتائب (رقم ٤) .
- (٢٩) راشد حميد . الكتائب . مجلة شئون فلسطينية رقم ٤٦ .
- (٣٠) أمين ناجي « فلسفة العقيدة الكتائبية » منشورات الكتائب . بيروت ١٩٦٦ ص ٣٤ .
- (٣١) The Dsily Star. 2 March 1969
- (٣٢) راشد حميد . مرجع سابق .
- (٣٣) د . أنيس صايغ . لبنان الطائفي . بيروت ١٩٥٥ ص ١٥١ .
- (٣٤) الجمهورية - بيروت : ص ٤ في ١٥ / ٦ / ١٩٧٠ .
- (٣٥) فؤاد لحود . مأساة جيش لبنان ص ٣٢ .
- (٣٦) نص خطاب موسى الصدر في الأتوار في ٢٧ مايو سنة ١٩٧٠ .
- (٣٧) صوت المحرومين . نشرة داخلية . العدد ٣ في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٧٦ .
- (٣٨) الأصل في اللغة العربية أن تكون تفضلع ولكنها جاءت هكذا في النشرة .
- (٣٩) صوت المحرومين . عدد السابق الإشارة إلى من النشرة . ص ٢٨ .

الفصل الثالث

البعد العربي

إذا كان عام ١٩٧٣ هو عام الحرب العربية الاسرائيلية فإن عام ١٩٧٤ هو عام بداية الحرب العربية أو حرب الاستنزاف العربية بمعنى أدق . وهي كانت أنسب مناخ لتحقيق أمل طال السعى من أجل تحقيقه وهو ضرب آخر قلاع الثورة الفلسطينية وتصفية اليسار اللبناني أو بمعنى أشمل لقيام المذبحة الكبرى على أرض لبنان . وليس مهما في اعتقادي تحديد المسؤل عن حرب الاستنزاف العربية بقدر أهمية تحديد معالم هذه الحرب . فلنا أمام ساحة قضاء تاريخية ولكننا أمام مهزلة مرضية تحتاج إلى توصيف . فما إن انتهت حرب أكتوبر حتى انفرط العقد العربي وتحول الأخوان على الجبهة إلى أعداء في الساحة السياسية . وامتدت السنة للهب في الحرب الإعلامية من دول المواجهة إلى عمق العالم العربي .

ففي ١٨ يناير سنة ١٩٧٤ تم توقيع اتفاقية الفصل بين القوات على الساحة

المصرية (الكيلو ١٠١) وإلى أن تم توقيع اتفاق الفصل بين القوات على الجبهة السورية في آخر مايو سنة ١٩٧٤ كانت بذور الخلاف وحلات الشك قد قفزت إلى الميدان. وتحول رقاء الحرب بالأمس إلى خصوم السياسة اليوم. وكان الواضح من حملات الحرب الإعلامية أن هناك دعوى بأن سوريا تتعرض لضغط كبير لتوقيع الاتفاق. وقد اشتركت في الاتصالات مع الولايات المتحدة مصر والسعودية. وقد كانت التعليقات أن «صوت طرقة» البيان السوري تحت الضغط قد أصبحت مسموعة في كل عاصمة عربية. وحضر جروميكو إلى دمشق والتقى بكيسنجر. والمهم في ذلك كله أنه أصبح واضحا أن هناك تيارين أحدهما يمضي بسرعة نحو التسوية بينما الآخر يتعثر ويحكم وحدة الهدف ووحدة العدد فقد وقع الشقاق بينهما لأن الذي تعثر ليس ممتعا ولكنه فقط كان يريد التيار الآخر أن يقف معه. ولم يقف الأمر عند حد ذلك فإن اتفاق سيناء- والذي كان مفروضا أن يوقع في مارس سنة ١٩٧٥ ولكن الاتصالات فشلت في آخر لحظة ليوقع في سبتمبر- قد زاد من فجوة الخلاف، إذ كان واضحا استحالة الوصول إلى اتفاق جديد على الجبهة السورية، كما أن بنود اتفاق سيناء قد أثارت أكبر جدل شهدته الأمة العربية خاصة وأن الاتفاق ينص في مقدمته أنه اتفاق بين مصر وإسرائيل بينما كل الإعلام المصري كان ينفي ذلك يؤكد أنه اتفاق مع الولايات المتحدة ثم المادة الأولى التي تنص على أن النزاع بينهما وفي الشرق الأوسط لا يتم حله بالقوة المسلحة وإنما بالوسائل السلمية. وتعطى المادة الثانية تعهدا من الطرفين بعدم استخدام القوة أو التهديد أو الحصار العسكري في مواجهة الطرف الآخر. والمادة السابعة التي تقرّر السماح بمرور الشحنات غير العسكرية المتجهة إلى إسرائيل ومنها بالمرور في قناة السويس^(١). وهو ما اعتبرته سوريا ومنظمة التحرير إنهاء لحالة الحزب بين مصر وإسرائيل عمليا وخاصة وأن الاتفاق غير محدد المدة بل إن مادته التاسعة والأخيرة تقرّر أنه سوف يبقى ساريا حتى يحل مكانه اتفاقية جديدة. ثم أضيف إلى ذلك إجراء عملي بفتح قناة السويس في يونيو سنة ١٩٧٥ واعتبرته سوريا ومنظمة

التحرير عقبة عملية أخرى وأثار جدلا حادا بين مؤيد باعتبارها مصدر دخل لمصر ودليل على حسن النيات ومعارض يرى أنه ضمن شروط فرضت على مصر أو على الأقل هي عقبة في طريق أى إمكانية جديدة للحرب .

وليس موضوعنا هو تقييم الاتفاق أو فتح القتال بل الموضوع أصلا هو مجرد تشخيص الحالة التي كان العالم العربى عليها . فقد أثار الاتفاق ضجة هائلة في عدد من العواصم العربية تركزت حول هذه البنود ثم انتقلت إلى ما قبل عن وجود بروتوكولات سرية وتطورت حملات النقد الى حد تبادل الاتهامات وظل موضوع البنود السرية مجالا خصبا للتأويل والتفسير في ظل إنكار مصرى مطلق إلى أن أعلنه كيمسنجر أمام الكونجرس (١) وظهر أنه ليس هناك بروتوكولات ولكن وثيقتين واحدة لإسرائيل والثانية لمصر الأولى تحت عنوان «تعهدات أمريكية لإسرائيل» والثانية تعهدات أمريكية لمصر .

وقد وصلت حدة الموقف بين مصر من جانب وسوريا ومنظمة التحرير من جانب آخر إلى درجة تجاوز حدود الخصومة السياسية إلى ما يشبه المقاطعة في ظل حرب إعلامية ساخنة سقطت خلالها أجهزة الإعلام المصرية في أخطاء استراتيجية زادت من حدة الاتهامات . فهي بدلا من أن تنفى الاتهامات الموجهة إلى مصر إذا بها تثير قضايا أعمق وأخطر حتى أكدت موقف الطرف الآخر بل وأوصلته إلى حد القناعة بما يقول . وأصبح طابع التعامل بين حلفاء الأمم هو العvisية الشديدة التي تصل إلى التطرف في الخصومة والاتهامات والافتقاد إلى الأرضية الصالحة لأى حوار مفيد ، بل إن أى كلمة نصح عاقلة في هذا المناخ كانت تعرض صاحبها للاتهامات بالشيوعية أو العمالة . والحقيقة التي غابت في هذا المناخ هي أنه ليس في قدرة دولة عربية وحدها أن تخوض حربا في مواجهة إسرائيل . وبالتالي فالخلاف بين دول المواجهة هو في النهاية على حساب مستقبل الصدام الحتمى بين العرب وإسرائيل وفي صالحها حتى في مرحلة العمل السياسى . لأن أى دولة وحدها تحتاج في العمل السياسى إلى قوة مؤثرة . فإن دخلت وخلفها حقيقة عدم القدرة على

الاحتكام للسلاح وحدها وهى مختلفة مع غيرها فهو أمر يؤثر على موقفها بلا شك . وهو ما يعنى باختصار أن الضرورة الاستراتيجية هى دائما وحده جبهة دول المواجهة .

وكان الموقف الفلسطينى راجعا إلى الخوف من المستقبل أو بمعنى آخر ما قد يترقب على الاتفاق . وكان النطق المطروح أمام القيادة الفلسطينية هو أن المادة الثامنة من اتفاق سيناء تقرر أن الخطوة التالية سوف تكون اتفاق سلام نهائى . أى أن الخطوة الدبلوماسية سوف تكون هى الإعداد لمؤتمر جنيف لوضع هذا الاتفاق النهائى ولكن وثيقة الوعود الأمريكية لإسرائيل تنص صراحة على «أن الولايات المتحدة ستواصل التقيد بسياستها الحالية تجاه منظمة التحرير، أى أنها لن تعترف بمنظمة التحرير أو تتفاوض معها مادامت منظمة التحرير لا تعترف بحق إسرائيل فى الوجود . ولا تقبل قراراتى مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ وستجرى حكومة الولايات المتحدة مشاورات كاملة وتسعى لتوفيق موقفها واستراتيجيتها فى هذا الموضوع فى مؤتمر جنيف مع حكومة إسرائيل . ثم تلتزم الولايات المتحدة لإسرائيل بعدم اشراك أى منظمة أو دولة فى المؤتمر إلا بموافقة جميع المشتركين الأصليين أى بموافقة إسرائيل .» وسوف تبذل الولايات المتحدة كل الجهود لتضمن إجراء المفاوضات الأساسية فى المؤتمر على أساس ثنائى كما أنها سوف تعارض وتقترب عند الضرورة ضد كل مبادرة فى مجلس الأمن لإجراء تعديل لبنود القرار ٢٤٢ (٢) .

و يصبح على منظمة التحرير أن تقبل العمل وفق الالتزامات الأمريكية لإسرائيل وهى التزامات لا تترك للمنظمة شيئا تستطيع المناورة أو حتى الحركة فى إطاره بل تفرض عليها إن أرادت أن تتنازل عن كل شيء مقابل وعد بدعوتها إلى مؤتمر جنيف . وإذا عقد المؤتمر فإن الالتزام الأمريكى لإسرائيل أن يكون الاتفاق الأساسى اتفاقا ثنائيا ، وبالتالي يكون مؤتمر جنيف مجرد حفل دبلوماسى . أى أن تتنازل المنظمة عن أهدافها لمجرد الحصول على بطاقة دعوة فى

مدخل دبلوماسى وكان رد الفعل الطبيعى وهو رفض الاشتراك فى مؤتمر جنيف ورفض تعديل قانون المنظمة .

ويعتقد بعض المؤمنين بحتمة نجاح جهود السلام بأن الموقف الفلسطينى المعارض يشكل العقبة الرئيسية وربما الوحيدة التى تحول دون انعقاد مؤتمر جنيف لدراسة تفاصيل الحل . ولذلك تغدو قضية « تدجين » المقاومة الفلسطينية وإدخالها ضمن إطار المفاوضات من أهم القضايا التى يجب إنجازها خلال مرحلة التحضير لمؤتمر جنيف (٣) .

وترجة ذلك لبنانيا تعنى أن موقف المقاومة المعارض هو العقبة فى سبيل مؤتمر جنيف . وهو المؤتمر الذى يمثل أمل الموارنة فى التخلص من الوجود الفلسطينى إلى « الوطن المنتظر » له . وبالتالى فلا بد من عقد المؤتمر ولذلك لا بد من « كسر شوكة » المقاومة على حد التعبير الشائع أو تدجينها . وباعتبار أن أى صدام فى لبنان سوف يؤدى ليس فقط إلى إهلاك المقاومة وتجريدتها من معظم أسلحتها وإنما أيضا إلى التضحية بعشرات الآلاف من الفلسطينيين العزل من السلاح . وفى غياب الأرض والوطن يعتبر العنصر الفلسطينى أغلى أرصدة ماتملكه المقاومة (٤) . وهو ماتدركه القيادات المارونية جيدا .

وشعر الفلسطينيون أكثر من غيرهم بمقدمات الخطر . فقد كان لا بد من وجودهم لإعطاء الشرعية لأى اتفاق نهائى . ولكن المهم هو كيفية هذا التواجد . فالأردن بتأييد عربى يرى أنه هو طرف المباحثات للتسوية وبعدها يأتى الدور الفلسطينى . ثم إن معالجة القضية كلها تأتى من منطلق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الذى ينظر إلى الفلسطينيين من زاوية أنهم لاجئون . وهو ماترفضه . ومعها كل الحق - منظمة التحرير . ومن هنا برز دور منظمة التحرير فى عرقلة اتفاق محتمل هو

بالتأكيد اتفاق ضد أهداف الثورة وآمال الشعب الفلسطيني. وكان رد الفعل العربي مناقضا لكل ما هو معلن من بيانات ووعود بدلا من دعم المقاومة. وكان محوره الأساسى فكرة البدائل وهى:

•• تغيير القيادة الفلسطينية بقيادة أكثر ليونة. وبدأت بالفعل عمليات «جس النبض» وجرت منافسة بين اسمين أحدهما يمثل الجناح السعوى فى فتح والآخر هو رجل سوربا فى منظمة التحرير. ولكن حجم التفريط فى الأهداف المطلوب الموافقة عليه حال دون أن يوجد البديل دون أن يسقط فور اختياره أو فرضه على المنظمة أمام قواعده وجماهير الشعب الفلسطينى. ثم إن العملية كلها مالم يتم «طبخها» داخل إطار المنظمة فسوف لا يتحقق لها النجاح. ووصل الأمر إلى حد الاتجاه نحو أمل أن تنجح إسرائيل فيما فشلت فيه بعض القوى العربية وهو إيجاد قيادة فلسطينية من داخل الأرض المحتلة تكون بديلا عن منظمة التحرير ولكن ذلك أيضا فشل ولو حتى الآن ١٩

•• البديل الثانى هو الضغط على منظمة التحرير لتصبح فى حجم يفرض عليها قبول التفريط أو على حد القول أن يقبل القتل توريث القاتل. وأصبح شعار هذا البديل هو «تحجيم» المقاومة أى تحديد حجمها أو «تقزيم» - من قزم - دورها على الساحة العربية بوجه عام وعلى الساحة الفلسطينية على وجه خاص. وهى تعبيرات سادت الساحة العربية. ولم يكن تحقيق هذا البديل ممكنا بالوسائل السياسية أو المالية خاصة وأن الثورة الفلسطينية كانت تكتسب دورا عالميا وتأييدا دوليا فى كل المجالات وفى مقدمتها الأمم المتحدة وخير عملت مثلا على إدانة الصهيونية بالعنصرية فى الجمعية العامة اعتبرت الدبلوماسية العربية هذا العمل نوعا من «الطيش» وتخريب جهود السلام. وإن كانت قد عادت الى تأييده اضطرارا أمام التأيد العالمى الذى حصلت عليه دبلوماسية الثورة الفلسطينية والتى أصبحت عضوا فى كثير من الوكالات المتخصصة.

•• وكان البديل الأخير هو تصفية الثورة والنظر إلى الفلسطينيين من منطلق إنساني بأنهم لاجئون. وهو في الواقع كان أصعب البدائل والواقع العربي كان يشير إلى أن الفلسطينيين في العالم العربي هم لاجئون بالفعل ولكنهم في لبنان وحدها «ثورة» وكوادر مسلحة فهي آخر مائتي للفلسطينيين من مواقع في العالم العربي.

والتمت الخطوط.. تيار عربي مع تيار لبناني داخلي مع تيار دولي أو بمعنى أدق أمر يكي عند نقطة واحدة وهي إمكانية تحقيق إن لم يكن البدائل الثلاثة من خلال الساحة اللبنانية، فعلى الأقل يمكن تحقيق بديلين وهما الأول والثاني ومنها يمكن الوصول بالصبر واستمرار التصفية إلى البديل الثالث والأخير.

وهكذا كانت صورة العالم وخاصة في الدول ذات الفاعلية والتأثير في العالم العربي أن الحكومات تقف في جانب الثورة الفلسطينية تقف في جانب آخر. ربما كان ما ينفذ من بشاعة الصورة حالة التمزق التي عليها صفوف الثورة الفلسطينية حيث كان لكل طرف عربي تنظيم فلسطيني يمكنه أن يلعب من خلاله. وللإحسان فقد كانت هذه التنظيمات تتمتع بقدر من استقلالية الحركة عن الدولة لمصدر باستثناء تنظيم الصاعقة، وسياسة التوازنات التي وقعت القيادة الفلسطينية سريسة لها وإن كان أحيانا يبدو أنه لم يكن أمامها بديل عنها إلا بالالتزام بالثورة كل ماتعنيه من نتائج ومضاعب.

وكان طبيعيا أن يتقدم موازنة لبنان لتحقيق أمل الجميع، وخاصة وأن مناخا مثل هذا القدر من التوافق قد لا يتكرر مرة أخرى لسنوات عديدة.

وقبل الانتقال إلى هذا الدور في إطار الوجود الفلسطيني بلبنان لابد من إلقاء نظرة على خريطة العالم العربي تكون أكثر شمولاً وأبعد مدى من دائرة القضية الفلسطينية والمواقف منها لتحديد صورة واقعية للحالة التي وصلت إليها دول المنطقة في عام المذبة الكبرى لبنان.

وهكذا جاء عام ١٩٧٥ وصورة العالم العربي :

١ - حرب إعلامية وحشود عسكرية بين العراق وسوريا بسبب الخلاف على توزيع مياه نهر الفرات ، وأخذت حملات الإعلام بينهما تتبادل الاتهامات بالعمالة مرة وبالاستسلام مرة وبالتخاذل الثوري مرات والعراق كانت هي العمق الاستراتيجي لسوريا خلال الحرب .

٢ - الحرب الإعلامية بين مصر وليبيا والتي وصلت إلى درجة تبادل الشتائم
الاذاعات وليبيا كانت هي العمق الاستراتيجي لمصر طوال أيام الحرب .

٣ - الخلافات بين مصر وسوريا حول تكتيك التحرك نحو التسوية السياسية وقد ذكرت « النشرة الإعلامية الأسبوعية » لمكتب وزير الإعلام المصري إن هذه الخلافات الرئيسية الثلاث تقلل من قدرة العمل العربي على الحركة .

وقد ارتبط ذلك بتحريك الأردن ضد قرار مؤتمر القمة العربي بالرباط الخاص باعتبار منظمة التحرير هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، والتي ارتكزت الأردن خلالها على التهديد بعدم الاشتراك في جهود السلام وبالتحديد في مؤتمر جنيف . وذكرت وكالات الأنباء - في ٩ مايو سنة ١٩٧٥ - أن الرئيس الأمريكي فورد اقنع الملك حسين بالاشتراك في مؤتمر جنيف لأسباب تتعلق بالقانون الدولي (*) . وبالتالي أصبح هناك تناقض علني بين استمرار دور الأردن في التسوية وبين الموقف الفلسطيني من التسوية .

وزاد على ذلك كله حادث اغتيال الملك فيصل في ٢٥ مارس سنة ١٩٧٥ ورغم أن الأمير القاتل أعدم واختفت تفاصيل الجريمة إلا أن مايرتد عنها هو أن هذا الشاب قد جرى له غسل منح في الولايات المتحدة والافلام الامريكية تحكي عن الكثير من الجرائم التي تمت بهذه الطريقة . والذي يهنا في موضوعنا هو أن اغتيال

فيمصل كان يعنى بالنسبة لقضية العرب الأول وهى فلسطين وفاة أقوى من يطالب بالقدس عربية، وحديثه مع كيسنجر شاهد له على ذلك.

وكان من أكثر ماثير الدهشة فى أحداث هذا العام هو بروز «الوفاق الخليجى» بين السعودية والعراق وإيران- الشام أو «الترويك» المؤثرة فى المنطقة ذلك فى أعقاب التوقيع النهائى فى ١٣ يونيو سنة ١٩٧٥ على اتفاق العراق وإيران بشأن الحدود بينها. وهو الاتفاق الذى وضع يعد وساطة سعودية ومصرية فى مؤتمر الأوبك بالجزائر وبتأييد جزائرى فى مارس من نفس العام. ورغم بروز هذا الوفاق الثلاثى فإن الاستقرار لم يتحقق فى المنطقة بسبب أزمة الحدود بين العراق والكويت ومشكلة الحدود بين قطر والبحرين ومشكلة الثروة فى ظفار حيث تقف قوات إيرانية أردنية بریطانية مع السلطان قابوس بينا قوات جبهة تحرير ظفار لا تمجد الدعم سوى من اليمن الجنوبية.

وفى الشمال الأقربى كان التوتر قائما بين ليبيا وتونس حول وحدة لم تنش بين البلدين لأيام وصراع طال بين الجزائر والمغرب.

وكانت هذه الصراعات جميعها تتجسد على الساحة اللبنانية بشكل واضح وملحوس باعتبار أن وجهات النظر المتعارضة بين العرب لا ترى متكاملة فى مواجهة بعضها إلا على الساحة اللبنانية حتى إن سليمان فرنجية قال لى: إن العرب حاربوا بعضهم على ساحة لبنان.

وقد ترتب على ذلك عدة ظواهر، أولها عودة سياسة المحاور. ففى مواجهة محور القاهرة الرياض سعت سوريا لإقامة محور دمشق- عمان- بيروت- الثورة الفلسطينية. وقد حاول كل محور كسر تحالفات المحور الآخر. وأخذ ذلك طابع الشد والجذب بين العواصم العربية واستعملت فيه كل أنواع الأسلحة من ضغط إعلامية إلى تأخير فى سداد المساعدات المالية.

والمهم أن الثورة الفلسطينية بمنطلقاتها الأساسية قد أصبحت تقف وحدها على الساحة العربية فهي تعد الدعم والتأييد من طرف حول موقف محدد أو في إطار خط واحد بينما لا تجد الدعم والتأييد العربي حول منطلقات الثورة الكاملة والتي كانت قبل حرب أكتوبر موضوع تأييد عربي كامل .

وكان المعنى المباشر للتطور الذي وقع على الساحة العربية أن تناقضا في المصالح قد برز على السطح لأول مرة منذ قيام الثورة الفلسطينية بين الثورة والحكم « العربي » وأصبحت هناك فتاعة لدى بعض الحكام إن استمرار « ثورية » الثورة الفلسطينية هو عقبة في سبيل تحقيق التسوية المطروحة ، إلى درجة برزت نغيمات مشبوهة تدعو إلى الإقليمية ورفض الثورة الفلسطينية باعتبارها عبء لا دخل لهم به أو على الأقل يكفى ما تقدم من أجلها . وفي نفس الوقت كان لابد من عملية اجتواء أو حصار للقوى القادرة على دعم النضال الفلسطيني . وقد استوعبت كل الطاقات العربية في أزمنة شغلت الحكومات بالأمن الذاتي أو لأجلام الغد .

وشعر الفلسطينيون بقرب إحكام « المصيدة » فقاموا بحملة إعلامية ضخمة والواقع يشهد لهم بهذه الوهبة والقدرة على الضراخ . وكانت صحافة لبنان بل الساحة اللبنانية هي السلاح الوحيد الذي في أيديهم . وقد أصدرت اللجنة التنفيذية لمنطقة التحزير بياناً في ٢٢ يونيو من نفس العام يكشف فيه موقف عناصر فلسطينية مدعومة من عواصم عربية تسعى لشق الساحة الفلسطينية وخلق بديل عن منظمته التحرير أو على الأقل قيادتها التي ترفض المشاركة في مؤتمر جنيف على أساس قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

وفي مواجهة ذلك قادت حكومات عربية كثيرة حملة صليبية ضد ما أسمته « الخطر الشيوعي » وأصبح كل تيار يرى خلاف ماتراه هذه الحكومات سواء في مجال التسوية أساساً أو على الساحة الداخلية هو شيوعي لابد من تطهيره

وتصفيته ، والمهم أن المقصود لم يكن أعضاء الأحزاب الشيوعية بل إن المقصود الحقيقي كان المعارضة للتيار السائد في المنطقة . وقد عقد في لبنان في ١٢ مارس مؤتمر تضامناً شعوب الشرق الأوسط تحت شعار «مكافحة الشيوعية في المنطقة» ورأسه كميل شمعون واشتركت فيه رابطة العالم الإسلامي في مكة .

ونحن نأخذ السبق لخط السائد في عواصم عربية مع مصالح شرعية الوارثة « المسيحية والإسلامية » اللبنانية . فقد كانت الساحة اللبنانية هي التجنيد الواقعي للمعركة من أجل القضية أولاً وتصفية المعارضة التي كان تيارها سائداً حتى لسنوات قليلة . فالوجود الفلسطيني مركزاً في الساحة اللبنانية هو العامل الحاسم في إمرار هذا التجنيد بل والمبالغة في خطر التيار الآخر .

وقد كانت الإجابات للقيادات اللبنانية توضح أن الجبهة اللبنانية (شمعون الجميل - شربل قيس - فرنجية) ترى أن الوجود الفلسطيني هو المشكلة وأنه لاجل لأزمة لبنان دون خروج الفلسطينيين من لبنان . وهو ما لا يشاركهم في هذا الرأي أحد سواء من المسيحيين غير الوارثة أو المسلمين من غير المتحالفين مع الوارثة . بل لقد قال لي شمعون : إننا لن نتوقف حتى نطردهم من لبنان .

ولا بد لفهم منطق الجبهة اللبنانية إن جاز تسميته بمنطق باعتباره أقرب إلى المصالح منه إلى المنطق أن ندرس مسألة الوجود الفلسطيني على الساحة اللبنانية في ظل البعد العربي للأزمة . وقد مر هذا الوجود بمرحلتين الأولى هي مرحلة ما قبل الثورة حيث كان يعيش الفلسطينيون في غيابة محكومة بالجديد والنار وهو ما يعلم البعض بإمكانية عودته ومرحلة ما بعد الثورة وقد عرض كمال جنبلاط الموقف في تحديد دقيق (٧) « بأن الشعب الفلسطيني يعيش في لبنان في ظل واسب تذكره بما كان عليه قبل الثورة في التحيات وممارسات السلطة اللبنانية والمكتب الثاني -

التجارب. بوجه خاص قبل أن تحرره الثورة من سوء المعاملة التي كان الوجود الفلسطيني راضخا لها. إن الشعب الفلسطيني لا يزال يخشى العودة إلى السابق ولا يطمئن للحكم اللبناني بوصف هذا الحكم لا يمثل اتجاهها وطنيا بالمعنى الصحيح للكلمة. ذلك لأن رواسب الانتمالية لا تزال فيه، في الحكم والإدارة والجيش. وهو يؤكد سوف يختلف لوأطمأن الفلسطينيون إلى أن الحكم في لبنان حكم وطني.»

«وفي مواجهة الحشية الفلسطينية هناك خوف ماروني لأسباب تاريخية متعددة ولتصورات نفسية عميقة أصبحت لديهم. مسلمات بالخوف من المحيط العربي الواسع خاصة وأن الحركة الوطنية في أوساط المسيحيين لم تأخذ الفرصة لتقوى. وزاد من درجة الخوف سوء تصرف الجانب المسلم أو انقياده هو أيضا إلى لون الصنميات الطائفية. هذا بالإضافة إلى عنصر آخر يجعل الخوف الماروني مستعرا وهو الخوف من التيارات الفكرية، فالثورة الفلسطينية أخذت تجرف اللبنانيين، مسيحيين ومسلمين، في تياراتها. ذلك أن من يعيش الثورة لابد أن يتأثر بها خاصة في ظل أوضاع لبنان.»

ومضى كمال جنبلاط في تشخيصه فيقول «هناك عنصر آخر غير الخوف المتبادل هو دور النظام السياسي. فنظام لبنان متحجر لا يريد أن يتطور على أي صعيد فالكل - فلسطينيون ولبنانيون يشعر أن هذا النظام هو عدوهم، عدو التطور، عدو التقدم، عدو الفئات التي تنمى من الاحتكار، أكانت وسطى أو محدودة الدخل أو صغيرة، كما هو عدو وتطور المفهوم الوطني للبلد. هذا المفهوم المتمثل في عيون اللبنانيين من اتحاد الطوائف أو هذا التعايش الكاذب الذي يتفرج من آن إلى آخر في ثورات دامية، إلى انتصهار هذه الطوائف ضمن شعب لبناني حقيقي وبمفهوم للوطن لا مفهوم للملجأ»

هذا إلى جانب التبدلات الديموجرافية التي طرأت على التوازن الداخلي بين

المسلمين والمسيحيين حتى أصبح المسلمون حوالي ٦٥% والمهم أن الموازنة أصبحت من حيث العدد ثالث طاقة لبنانية بعد الشيعة ثم السنة. وأصبح الأرثوذكس بدورهم يتسلقون سلم النسل لكي يصبحوا تقريبا في موازاة الموازنة. والمعروف أن للموازنة الغلبة في السلطة.

وأضاف أمين المحافظ رئيس وزارة لبنان السابق إلى تحليل كمال جنبلاط بعدا تاريخيا، بأن كثيرا من اللبنانيين سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين يحددون على الثورة الفلسطينية ضمنا أو علنا لأنها قد تهدد التركيبة الاجتماعية الاقتصادية الموجودة في لبنان. وعلينا أن نذكر أن جزءا من الثروات في لبنان في بداية هذا القرن كانت من أثمان الأراضي التي باعها اللبنانيون لليهود في فلسطين. وقد تساوى في هذا المسيحي والمسلم. إذن فهذه المدخرات التي كانت بداية قيام المؤسسات التجارية ونمو قطاع الخدمات والتجارة التي يفخر بها لبنان. وإذا لم يرافق الوضع اللبناني تنمية شاملة فإن الخوف سوف يبقى والحرب سوف تستمر على الثورة الفلسطينية من كلا الطرفين، المسلم والمسيحي.

ومؤكد أن الوجود الفلسطيني في لبنان كان عامل تغيير في مجتمع لا يريد قاداته له أن يتغير فهو عنصر دفع لعوامل التحديث في البنيان اللبناني. إذ أن في مجرد وجودها على أرض لبنان حتى دون تدخل منها أو تحرك كان فتحا لمجالات واسعة أمام التنظيمات الجماهيرية للحركة التي أخذت أحيانا أشكال انتفاضات طبقية. وواضح أن الوجود الفلسطيني الثوري هو حماية لنضال الحركة الوطنية اللبنانية مهما بالغت قيادة الثورة في حيادها من الصراع في لبنان. وقد كان ذلك سببا لإثارة أصحاب المصلحة في استمرار الجمود ضد الوجود الفلسطيني على أرض لبنان. فالكثائب على وجه الخصوص ترى أن لبنان فقد توازنه التقليدي لصالح اليسار بسبب الوجود الفلسطيني. ولذلك يتمسكون بالتوازن التقليدي وعندما يعود لبنان إلى هذا التوازن يمكن الوصول إلى حل وسط أو عودة شعار لبنان «لا غالب ولا مغلوب» أي تساهل من هنا وتساهل من هناك وتنتهي المشكلة، ولكن الأثرمة

هى أن الطرف الآخر ترك الرأى للمقاومة. وهكذا تصبح المشكلة هى أن وجود المقاومة على أرض لبنان يمنع اتفاق الأطراف اللبنانية على حد تصور الكتائب» .

وبواضح أن هذا الرأى الكتائبي لا يجد القبول من كل أطراف الصراع في لبنان فهناك رأى للاقتصاديين ملخصه هو «أنه لو لم يكن هناك مشكلة فلسطينية ووجود فلسطينى على أرض لبنان، وكانت العوامل والظروف المتراكمة منذ عهد الاستقلال قائمة بدون حلول جذرية حتى لكان الصدام قد وقع . ليس بالضرورة بين الكتائب وفريق آخر، بل بين فريقين لبنانيين وما كان كل فريق بحاجة إلى التفتيش عن غطاء لصدامهما . ففي لبنان أكثر من غطاء» (٨) .

والواقع أن المسألة لها بعد آخر غير مسألة التوازن التقليدى وهو بعد اقتصادى لا يمكن إغفاله . فلبنان هو في كلمات سوق المال العربى ، ورقة سياحية في قلب العالم العربى «كباريه» في حجم دولة للترفيه عن المنطقة ، مركز معلومات وتجسس . هذا اللبناى بهذه المواصفات يتعارض استمرار وجوده بوجود ثورة مسلحة على أرضه لأن بمجرد وجودها هى ضد كل مقومات نشاطه في المال والسياحة والترفيه والتجسس . ولعل قليلا من العرب واللبنانيين من يعرف أن رشاوى وعمولات سادة لبنان تدفع عادة من حصيلة «كازينو لبنان» الشهير وهو ما سبق شرحه . فهو وزارة المالية الحقيقية في تسيير الأمور . وهى ليست مصادفة أن يكون الكازينو في هذا الموقع بل هو في الواقع تعبير حى عن حقيقة لبنان .. لبنان السلطة ومن الظلم للبنان تصور أن هذه المصلحة في التخلص من المقاومة هى مصلحة لبنانية اقتصادية بحته بل هى أيضا مصلحة عربية أو بمعنى أدق مصلحة لأصحاب رؤس الأموال العرب في لبنان .

فالغريب أن لبنان «الماروفى» الذى يرفض الالتئاء إلى العرب يعيش على العرب . فهو يريد أن يقوم بدور «التاجر اليهودى» في قصص شكسبير حيث يستغل دماء المنطقة دون أن ينتمى إليها ويكتفى بأن يقال إن لبنان ذو وجه عربى»

وطبعاً له وجوه أخرى متعددة. فالقوى الإنسانية المنتجة في الاقتصاد اللبناني هي قوى عاملة عربية أغلبيتها من الفلسطينيين والسوريين حيث يبلغ عدد العمال السوريين حوالى ربع مليون. ثم إن قسماً من اللبنانيين يعمل في العالم العربى وعلى وجه خاص دول البترول وهم أحد موارد ميزانية لبنان، حيث يبلغ عددهم حوالى ١٤٠ ألف لبنانى يمثلون ٢٠% من القوى العاملة في دول البترول (١).

ونظرة على اقتصاد لبنان توضح أن عائد لبنان من أجور اللبنانيين في دول البترول حوالى ٢٥٠ مليون دولار. وينفع العالم العربى وخاصة دول الخليج بما فيها العراق والسعودية حوالى ٤٠٠ مليون دولار أجور شحن ونقل ورسوم ترانزيت. ونجد أن ٨٠% من الاستثمارات السنوية في المشاريع السياحية والعقارات هي أموال عربية من دول البترول. ويضاف إلى ذلك بالنسبة للسوق المال «المصارف» أن حوالى من ٨٥% إلى ٩٠% من الودائع - غير المقيمين - في مصارف لبنان والتي تبلغ ٥٠ مليار دولار هي ودائع عربية (١٠). وهناك تقديرات تشير إلى أن معدل النمو اللبناني وهو ٨% كان يمكن أن يهبط إلى النصف لولا الأموال العربية (١١). وهكذا تبدو العلاقات بين موارد لبنان الذين يسيطرون على اقتصادياته وبين دول البترول العربية وعلى وجه خاص دول الخليج بالمعنى الواسع لها. ونؤكد أن أصحاب هذه الأموال يشتركون في المصلحة بل وفي الرأى مع أغنياء لبنان - الموارنة - في النظرة إلى الاستقرار في لبنان أو بمعنى آخر لبنان بدون ثورة. بل وإن موارد لبنان رفعوا أمام هذه الدول العربية شعار أن الخطر على أموالهم يأتي من الشيوعية والحقد. وأن الذين يرفعون شعارات الثورة هم جميعاً شيوعيون ينشدون الحقد وفي نفس الوقت يقولون إن الكتائب أقوى من الحقد (١٢).

فإذا أضفنا إلى ذلك التناقض الطيمى بين الثورة والحكم لاكتملت الصورة. فالواقع أن الثورة الفلسطينية المسلحة رغم أنها لا تعمل إلا من أجل التحرير وبالتالي فالنظرية الاجتماعية تأتي بعد مسألة التحرير رغم ذلك فإن مجرد وجود

ثورة مسلحة هو خطر على كل عوامل الاستقرار للحكومات في المنطقة وخاصة في ظل الأزمة العربية الحالية والثورة بطبيعتها «معدية» وتثير شهية الجماهير في المناطق المحيطة بها. وقد لخص شفيق الحوت هذه المعادلة بقوله «حتى الرئيس حافظ الأسد عندما طرح مشروع الوحدة الفلسطينية السورية اشترط علينا أن لا نحول سوريا إلى ثورة. وألا نتحول نحن إلى دولة». فهناك خلاف في المواقع السياسية والنضالية والنظرية بين الثورة والنظام (١٣).

وهكذا التقت الأبعاد إلى حد يقرب من التطابق بين البعد اللبناني والبعد العربي تجاه الثورة الفلسطينية. وقد كان هناك اتجاهاً على صعيد الجبهة اللبنانية لاستغلال هذا التطابق.

اتجاه يدعو إلى ربط المشروع الاتعزالي بالوضع العربي انطلاقاً من ملاحظته أن عزلة لبنان الكلية عن العالم العربي لن تحمي من الأزمة الوطنية والاجتماعية والسياسية التي عصفت وتعصف به. وأن الانتهاء إلى العروبة الرسمية هو خير سبيل لمواجهة هذه الأزمة «والاستواء» عليها. مما يفرض بالتالي تصحيح المعادلة التاريخية التي حكمت علاقات لبنان بالعالم العربي قبل هذه الحروب وهي «أقصى الانفتاح الاقتصادي على العرب وأقصى العزلة السياسية عنهم» للانتقال من ثم إلى معادلة جديدة قوامها الخروج من العزلة السياسية والانحياز إلى محصلة الوضع العربي الرسمي مع الاعتراف بمركز ممتاز لسوريا في هذا الإطار. وعلى قاعدة هذا التعريب الرسمي يكتب المشروع الاتعزالي آفاقاً متعددة:

**** تأمين ديمومة الكيان اللبناني وديمومة نظامه السياسي الطائفي شبه الاقطاعي بتوازناته التقليدية من خلال تجديد التسوية المسيحية الإسلامية في ظل الرعاية العربية.**

**** أحكام السيطرة على الوجود الفلسطيني تحت سقف الخطة العربية**

الرسمية حبال القضية الفلسطينية والمسائل المتصلة بالصراع العربي
الصهيوني.

*** تحميد الصراع اللبناني الإسرائيلي من خلال إقفال الحدود بقوة ردع
عربية في وجه العمل الفدائي .

والاتجاه الآخر يدعو إلى الإستعانة الطرفية المؤقتة بأدوات القوة العربية من
أجل الوصول إلى سلخ لبنان عن العالم العربي في نهاية المطاف واثاق المشروع
الانعزالي في هذا الاتجاه أبعد مدى من الاتجاه الأول فهو يسعى إلى :

*** تحويل لبنان كيانا ونظاما إلى وطن ماروني غير عربي .

*** تبديد حاسم للوجود الفلسطيني في لبنان .

*** إنهاء التناقض اللبناني الإسرائيلي من أساسه .

وكانت الكتاب في البداية تمثل الاتجاه الأول بينا الأحرار شمعون يمثلون
الاتجاه الثاني ولكن الأحداث خلطت المواقع وأصبح هناك فريق يؤيد هذا
الاتجاه .. وفريق يؤيد الاتجاه الثاني على صعيد الموارنة بوجه عام . وقد عبر بشير
الجميل قائد قوات الانعزاليين عن هذه الاتجاهات بقوله (١٤) : إن لبنان يجب أن
يكون بلدا لبنانيا دون أن يمتزج بالعالم العربي . فلدينا حضارتنا وثقافتنا وعلاقتنا
المميزة مع الغرب . والتحرير الكامل للبنان لا يستلزم طرد الفلسطينيين من لبنان .
وهذا لن يرضى حراس الأرز - لأنه من الصعب إبادة ٤٠٠ ألف فلسطيني أو -
الإلقاء بهم في البحر . ولكن يتعين عليهم اختيار العودة إلى الخيمات و بذلك يصرح
لهم بالبقاء في لبنان .

وبأختصار فإن غياب وجود استراتيجية عربية واحدة جعل المعالجة للموقف
معالجات . وأصبح المنظور الذاتي هو الغالب على السياسات العربية ولم تعد هناك

رؤية شمولية أو مستقبلية حتى ولو لأثر هذه الصراعات على ما يترده العرب سواء كان سلاماً بأي ثمن أو حرباً لا مفر منها.

ونعود مرة أخرى إلى ضرورة وضع القضية في إطارها الكامل. فليس كافياً النظر إليها من بعد لبناني ولا الخروج من لبنان إلى بعد عربي. أوسع بل يجب أن تستكمل الصورة بالبعد الدولي.

هوامش الفصل الثالث

- (١) نص المعاهدة في الأهرام. القاهرة ٢ سبتمبر سنة ١٩٧٥.
- (٢) Quandt, Intetnation at Affains. Oxford, Puly 1977. p 10
- (٣) نص وثيقة الوعود الأمريكية لإسرائيل في ملاحق كتاب حدى فؤاد «الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل». بيروت ١٩٧٧ ص ٤٢٧ - ٤٣٠.
- (٤) د. محمد ربيع مؤتمرخنيف واحتمالات السلام. مركز الدراسات السياسية. القاهرة ص ٦٦.
- (٥) د. محمد ربيع. المركز السابق. ص ٦٨.
- (٦) العدد ٤٦ من ١٦ / ٤ - ٢٢ / ٤. ١٩٧٥.
- (٧) النشرة الإعلامية الأسبوعية. وزارة الإعلام المصرية. العدد ٤٩.
- (٨) ندوة مستقبل العلاقات الفلسطينية اللبنانية شئون فلسطينية. العدد ٤٧ في يوليو ١٩٧٥.
- (٩) الأسواق العربية العدد رقم ٣ في مايو سنة ١٩٧٥.
- (١٠) فرحان صالح. الثورة الفلسطينية وتطور المسألة الوطنية في لبنان بيروت. ١٩٧٥ ص ٥٢.
- (١١) مروان امكندر. الدور الاقتصادي اللبناني في العالم العربي. النهار. بيروت في ٧ مايو ١٩٧٥.
- (١٢) محمد كشك. الأزمة اللبنانية والوجود الفلسطيني. بيروت ١٩٧٥ ص ٧.
- (١٣) افتتاحية صحفية حزب الكتائب العمل «أقوى من الحقد» في ٢٤ سبتمبر ١٩٧٤.
- (١٤) مجلة شئون فلسطينية- ٤٧.
- (١٥) مجلة لوتوقيل اوبزرفاتور الفرنسية ٦ ديسمبر ١٩٧٦.

الفصل الرابع

البعث الدولي

كانت الطائفية وما زالت - هي سلاح القوى الأجنبية للبعث بمصير هذه المنطقة والسيطرة على ثرواتها وتوجيه أقدارها ، وقد أراد فتية حراس الأرض تذكرة العالم العربي بأنهم يمثلون شيئاً آخر لا ينتمي إلى هذه المنطقة فكانوا يرقصون بجوار أكرام جثث ضحاياهم على أنغام جيتار قديم وعلى صدورهم صلبان خشبية ضخمة رمزاً لفرسان الغزوة الأوربية للمنطقة «حرب التجار» والتي عرفت «بالغزوة الصليبية» . وقد التقط التليفزيون الفرنسى لهم فيلماً بهذه الصور أثارت الرأي العام الأوربي ضدهم . والمهم أنه رغم مرور السنين وتغير المشاكل ، وتبدل القوى ، فما زالت الطائفية تمثل عنصر الإغراء للبعث في المنطقة . ولبنان أكثرها صلاحية حيث هناك من يتصور أنه من سلالة غزاة الحملة الصليبية والتي لم يكن لها علاقة بالمسيحية إلا رمزاً .

وكان الإطار العام للمنطقة محوره في لبنان الصراع اللبناني والذي يفرض دعاة الجمود ضرورة التغير أو الانفجار. وفي المنطقة توجه نحو الوصول إلى تسوية سياسية للمشكلة مع إسرائيل. ولا يقف عقبة في سبيل ذلك سوى صلابة الموقف الفلسطيني وجرية الصحافة اللبنانية. وارتبط ذلك بتيارات دولية تسعى إلى ترتيب أوضاع المنطقة حسب مصالحها، وتمثل القوى الفلسطينية حجر الأساس لكل القيادات المتعارضة سواء بالعداء منها والرغبة في تصفيها أو بالوقوف معها والإصرار على دعمها.

وكانت الظاهرة الأساسية للعلاقات الدولية بالمنطقة العربية هي تقارب عربي أمريكي وانحسار للوجود السوفيتي في الدول العربية. وبحكم أنها الدولتان العملاقتان في عالم اليوم فإن علاقاتهما بالمنطقة تمثل الخط الأساسي في إدارة الصراع. ومادون ذلك فهو تفاصيل... .. وهناك ما يقرب من الإجماع بين المهتمين بشئون المنطقة على أن نقطة البداية للتغير في المنطقة هي قناة سائفة بضرورة إعادة ترتيب المنطقة لمرحلة ما بعد جمال عبد الناصر على حسب تعبير مجلة الشؤون الدولية البريطانية^(١). وإعادة الترتيب ليست عملية سهلة خاصة وأنها لا تتناول كراسي ولكنها تمس قوى سياسية. وبالتالي فالأمر لا يخلو بل وضروريًا له من استعمال السكين...!

فالمنطقة تشهد انتهاء موجة انحسار الوجود الأمريكي أو على الأقل أزمة الوجود الأمريكي في المنطقة والتي بدأت ١٩٥٥ وانتهت مع نهاية سنة ١٩٧٣ لتبدأ موجة انحسار الوجود السوفيتي.

ولعل أكثر ما بلغت النظر في هذه الظاهرة أن التبدل ليس وليد تغير في جوهر سياسة الدولتين، ولكن وليد تغير في السياسة العربية تجاه كل منها. وليس موضوعنا هو تحديد الأسباب أو توزيع المسؤوليات بل هو يقف عند حدود توصيف الواقع دون زيادة أو نقصان باعتبار هذا الواقع هو الأرضية التي جرت عليها مأساة لبنان.

وخوفا من الضياع في العموميات والسقوط ضحية المعلومات غير الموثقة فإننى رأيت دراسة هذا التغير من واقع البيانات الرسمية والمصادر الموثوق فيها .

ف نجد أن البيان المشترك الذى صدر عن زيارة نيكسون للقاهرة (٢) . قد رسم حدود التغير . وملاحظة شكلية أعتقد أنها ضرورية قبل عرض ما جاء فى البيان وهى أن زيارة نيكسون لأربعة عواصم عربية وإسرائيل لم يصدر عنها سوى بيانان أحدهما من القاهرة والآخر من إسرائيل ، وبالتالي فاختيار البيان المشترك الصادر عن زيارة القاهرة هو اختيار يفرضه واقع أنه التعبير الوحيد الذى صدر من الجانب العربى عن العلاقات مع الولايات المتحدة . وجاء فى هذا البيان أن العلاقات بين مصر والولايات المتحدة قد تحولت فى العام الماضى - والمقصود فترة الشهرين الأخيرين منذ نهاية حرب أكتوبر - من «التباعد» إلى «علاقة عمل بناءة» وأن الدولتين قد عقدتا العزم على الانطلاق من هذا بالتحرك هذا العام نحو تحقيق علاقة «صداقة وتعاون واسع» . وبذلك تكون العلاقات بين البلدين قد قفزت عبر ثلاثة مراحل خلال ثمانية أشهر فقط «من التباعد - وهو تعبير دبلوماسى عن مرحلة الخصومة والعداء - إلى العمل البناء بعودة العلاقات بين البلدين فى ٧ نوفمبر إلى الصداقة والتعاون . وقد أربكت هذه السرعة فى التغير الدبلوماسية الأمريكية التى لم تستطيع أن تلاحق التغير بمثله . فالسياسة الأمريكية مثل سياسة أى دولة كبرى مسألة استراتيجية يتغير فيها التكتيك ولكنها تبقى فى الجوهر مالم يحدث تغير درامى يفرض إعادة النظر فى الخطوط الاستراتيجية لهذه السياسة .

ونظرة على السياسة الأمريكية فى المنطقة تؤكد أن الخطوط الاستراتيجية بقيت على حالها لدرجة حرص الرئيس الأمريكى نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر على أن يسجلا فى البيان المشترك مع مصر وفى مقدمته أن دعم العلاقات بين واشنطن والقاهرة «لن يكون موجها ضد أى دولة بالمنطقة أو شعوبا أو ضد أى دولة أخرى» . وهونص غريب على بيان يصدر عن مباحثات بين مصر والولايات المتحدة بعد كل مظاهر الترحيب الخيالية التى استقبل بها نيكسون فى القاهرة .

فليس المقصود بالتحذير طبعاً أن دعم العلاقات بينها سيكون ضد أى دولة عربية أو شعب عربى . وبالتالى فهو نص أرادته به الولايات المتحدة أن تخاطب به إسرائيل مؤكده لها أن موقعها فى السياسة الأمريكية فى المنطقة هو الأصل .. ودليل ذلك صفقات السلاح الهائلة فى الكمية والنوع بل والتوقيت الذى تعلن فيه كل صفقة قبل يوم وصول كيسنجر للقاهرة أو بعد زيارة نيكسون للمنطقة مباشرة .

فتجد أن الولايات المتحدة قدمت لإسرائيل سنة ١٩٧٤ أى العام التالى للحرب أسلحة تصل إلى ٣١ ألف مليون دولار وقيل إن ذلك لإقناعها بقبول الانسحاب . وفى يناير ١٩٧٥ أعلن رسمياً عن بيع ٢٠٠ صاروخ لاتس لإسرائيل وهو الصاروخ الذى يمكن أن يحمل «رؤوس ذرية» ومداه ٧٠ ميلاً . وقد ارتبط ذلك كله بتسريب كميات من اليورانيوم إلى إسرائيل . فقد نشرت صحيفة الواشنطن بوست (٣) أن مصنع للوقود الذرى فى ولاية بنسلفانيا الأثر بكية فقد حوالى ١٢٠ كيلوجراماً من اليورانيوم وهو ما يكفى لصنع ٢٠ قنبلة ذرية خلال السنوات الماضية . وأن لجنة أمن خاصة كلفت بدراسة الأمر وأن جزءاً منها وصل إلى إسرائيل . إنست أدري إن ما كان يمكن تصديق ضياع يورانيوم وكأننا نتحدث عن ضياع دولار.. مثلاً أوجنيه... ١١ والمعروف أن اليورانيوم يخضع لرقابة دقيقة فى إنتاجه ونقله وتصنيعه .. والمسألة ليست بهذا التسبب .. وكانت مجلة تايم الأمريكية فى شهر سابق مباشرة (٤) نشرت قصة بوليسية عن ضياع ٢٠٠ طن من اليورانيوم أثناء شحنهم من زائير إلى دولة أوربية وأن المخابرات الأمريكية لم تستطع معرفة السارق . وأكدت المجلة أن الكمية لم تسرق ولكن إسرائيل اشتريتها عن طريق حكومة ألمانيا الغربية وأن موبوتو كان يعرف ذلك وحصل على عمولة ضخمة مقابلها . والمهم فى ذلك كله هو موعد إذاعة هذه الأخبار وعلاقته بالولايات المتحدة .. فحكم موبوتو مرتبط بالولايات المتحدة وشركات اليورانيوم أغلب أسهمها أمريكية . وإذاعة الخبر فى وقت ترتبط به الولايات المتحدة بتحسين

سياستها تجاه العرب أو على الأقل أن تقف على الحياد بينهم وبين إسرائيل .

والواضح أن السياسة الأمريكية تهدف إلى حسم مسألة توازن القوى في المنطقة لصالح إسرائيل لسنوات طويلة . وفي نفس الوقت تحافظ على ما كسبه من علاقات بالعواصم العربية وأنه يرتبط بذلك بأبعاد السوفيت عن المنطقة . ويكفي تصوير هذه الحقيقة ما جاء في كتاب شيهان ومعروف أن مصدره كان كينسجر نفسه من أن كينسجر حين كان ينظر إلى خريطة الشرق الأوسط لم يكن يرى عليها إسرائيل أو مصر وسوريا والأردن بل كان يرى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (٥) . وبالتالي فإن استراتيجية الولايات المتحدة لم تتغير والمعروف أن خطوطها الأساسية هي ضرب الثورة العربية أو على الأقل استيعابها وتفرغها من مضمونها ومحاضرة الوجود السوفيتي والعمل على تصفيته في المنطقة مع ضمان استمرار ارتباط الشرق الأوسط بالولايات المتحدة . بحيث تضمن استمرار الحصول على البترول وحماية وتوسيع دائرة الاستثمارات الأمريكية . وهو ما يستدعي ضرورة دعم وتأييد الحكومات الصديقة والعمل على جذب حكومات أخرى إلى دائرة الصداقة الأمريكية . ويرتبط ذلك كله بشرط بقاء إسرائيل في مكانها فوق الجميع بالنسبة للسياسة الأمريكية . وقد جاء في دراسة لمجلة أمريكية (٦) أن البعض ينسى أن للولايات المتحدة مصالح في أمن إسرائيل . فإسرائيل طبقاً لهذه الدراسة تساعد على دعم المصالح الأمريكية وذلك من خلال :

١- إن الوجود الإسرائيلي في المنطقة يساعد على استمرار وجود النظم المؤيدة للغرب في العالم العربي باعتبار أن الصراع في المنطقة يبق صراعاً بين إسرائيل والعرب . وهو ما يطمئني على الصراع بين التقدميين والمحافظين . بل إن الصراع مع إسرائيل يتيح للنظم العربية المحافظة التعبير عن هويتها علناً ، وأحياناً بشجاعة بجوار حركة الوحدة العربية دون خوف من الصدام معها . فهناك علاقة تبادلية حين يشتد الصراع مع إسرائيل يخففت الصراع العربي الداخلي والعكس صحيح . كما أن الصراع مع

إسرائيل يخفت الصراع العربي الداخلي والعكس صحيح . كما أن الصراع مع
تعتمد ماليا على مساعدات الدول العربية المحافظة .
بأن وجود إسرائيل وعلى هذا المستوى من القدرة العسكرية يدعم من القوة
العسكرية للغرب في الشرق الأوسط خاصة وأن للمنطقة قيمة استراتيجية كبيرة
في الصراع العالمي .
بأن اعتماد إسرائيل على الدعم الأمريكي يزيد من حاجة العرب إلى العمل على
إرضاء الولايات المتحدة طمعا في ضفتها على إسرائيل .

وهذه المصلحة الأمريكية هي التي تدعو إلى ضرورة إنقاذ إسرائيل من نفسها ،
خاصة وأن الوقت مناسب تماما لذلك . فيجب أن نجعل إسرائيل تفهم أن استمرار
الموقف الحالي يعتبر أكثر خطرا من التنازلات اللازمة من أجل السلام (٧) . وهو
نفس المعنى الذي أكدته قول كيسنجر بأن أكثر ما كان يضايقه هو أن قادة إسرائيل
لا يفهمون حقيقة تكتيك ودوافع واشنطن التي تبني حماية إسرائيل حتى من
نفسها (٨) .

وكان تكتيك كيسنجر على حد تعبيره في كتاب شيهان هو عدم معالجة
الأزمات وهي باردة بل لابد أن تصل إلى درجة من السخونة فالسخونة تجعل
مقومات الموقف لحظتها هي الفصيل وليست العوامل التاريخية والجميع القديمة .
فالحظة الحالية تصبح أهم من كل تراكمات آلاف السنين (٩) .

وكان العامل الآخر غير السخونة اللازمة لتدخل أمريكي هو حقيقة أن أي
تسوية نهائية بدون منظمة التحرير لا يمكن أن تستقر أو تتحقق . وحتى تقبل
المنظمة بالدخول في المفاوضات فقد كان لابد أن تتعرض لبعض الضربات التي
تلحقها ضرورة السباحة مع التيار الذي تتبناه الدول العربية المعتدلة (١٠) . وبعدها
يمكن للولايات المتحدة أن تعمل على إحضار إسرائيل إلى مائدة المباحثات وبالتالي
يصبح الطريق مفتوحا لإنهاء التناقض العربي الصهيوني . وأكثر ما يساعد على
الإسراع بإنهاء هذا التناقض هو إبراز التناقض الداخلي العربي إلى الطح فيتصارع

العرب بينهم وبين أنفسهم ويصبح الصدام مع إسرائيل عبئاً لا تقوى عليه أى دولة. وينشغل العرب بمناقشة قضية الحدود الآمنة وهى أغرب ما طرح على الساحة. فالحدود أساساً هى الحدود الدولية وليس هناك ما يعرف بالحدود الآمنة وليس لها أى أصول تاريخية ولا سوابق قانونية والأخطر أن التعبير من كثرة ترديده يصبح أمراً مقبولاً ثم تصبح خطوته التالية هو أن يكون التنازل دائماً على حساب الأراضى العربية وحساب سياسة التوسع الإسرائيلى. وغزابة التعبير تتضح أكثر من دراسة خطوط الحدود الآمنة التى تتصورها إسرائيل لنفسها فتظهر دائماً بأنها عبارة عن أفضل المواقع لشن هجوم حرقى على الأراضى العربية.

فالسباسة الأمريكية تبدو من خلال ذلك كله أنها مازالت تهدف إلى السيطرة على مصادر الثروة واحتواء الثورة. وكلاهما ضرورى للآخر. فلا يمكن ضمان استمرار السيطرة على الثروة وخاصة الطاقة دون احتواء أو إجهاض كل معالم الثورة فى المنطقة.

والولايات المتحدة تعود هذه المرة ومعها خبرة مرحلة الانحسار السابقة لوجودها. وهى لا تريد بالتأكيد أن يتكرر لها ماسبق أن حدث. ولذلك فهى مصممة على استخدام كل الأوراق التى فى يدها لضمان استمرار الوجود الأمريكى لدى طويل فى المنطقة العربية ومن ضمن هذه الأوراق المسألة الطائفية.

وقد يبدو للبعض غريباً أن الولايات المتحدة دون غيرها يمكن أن تلعب بورقة الأديان ولكن الواقع يقول إن نقطة بداية دخول الولايات المتحدة إلى المنطقة العربية فى منتصف القرن الماضى كانت ببعثة تبشيرية اتخذت القدس مقراً لها انتقلت إلى بيروت. ومن ثمار هذه البعثة الموجودة حتى الآن الجامعة الأمريكية وبالتالى فالطائفية ليست بعيدة عن الاهتمام الأمريكى القديم والحديث. ولاهى غريبة عنها^(١)، وبذلك تتحدد معالم الطرق التى تسلكها السياسة الأمريكية فى المنطقة.

وقد كان واضحاً أن إيقاع العمل الأمريكي لترتيب أوضاع المنطقة من جديد دون المساس بنموذج السياسة الأمريكية هو إيقاع سريع بل يكاد يسابق الزمن. ويتميز بأنه يسير في خطين متوازيين^(١٢) الأول هو تسوية الصراع العربي الأمريكي والآخر تسوية الصراع العربي الإسرائيلي. وتقوم الدبلوماسية الأمريكية بالربط بينهما. فبتقدير ما يتحقق على طريق التسوية الأولى من تقدم، يتحقق تقدم آخر على طريق التسوية الثانية وإن كان ليس بالضرورة أن يكون بنفس الحجم ومعنى آخر فقابل خطوات على طريق التراجع السياسي والاجتماعي على طريق منجزات الثورة العربية خطوة على طريق التراجع العسكري الإسرائيلي عن الأراضي العربية والتي أطلق عليها البعض «قطعة من السلام مقابل قطعة من الأرض». والأصل في وجهة نظر واشنطن هي التسوية الأمريكية العربية أما التسوية الثانية فهي جزء من الأصل.

وقد قامت الولايات المتحدة على ضوء ذلك بإعادة صياغة أسلوب عملها في المنطقة بهدف ضبط عوامل التفجير في الموقف مع تطوير واحتواء الموقف العربي. وفي هذا الإطار تم تغيير سفراء الولايات المتحدة في المنطقة في سنة ١٩٧٣ تغير معظم السفراء في المنطقة إلى جانب إعادة فتح السفارات المغلقة. وكانت أبرز السمات الغالبة على اختيار السفراء الجدد صفتين: الأولى أنهم شخصيات بارزة من قيادة جهاز المخابرات الأمريكية والثانية هي أنهم خبراء في السياسة السعودية أو الخليج بوجه عام. ومثال للفريق الأول ريتشارد هيلمز مدير المخابرات المركزية السابق والسفير في إيران حتى سنة ١٩٧٦. وهو أحد كبار الخبراء في الانقلابات وأشهر إنجازاته انقلاب شيلي وجورج جودلي أحد مؤسسي جهاز المخابرات الأمريكية والسفير في لبنان وهو أحد الخبراء في الأزمات الطائفية ومن أشهر إنجازاته محاولة انفصال كاناتاجا عن الكونغو وانقلاب لاوس وكمبوديا. والمثال للنوع الثاني من السفراء ريتشارد مورفي السفير في سوريا والذي عمل لسنوات طويلة في السعودية ويعد أحد المتخصصين في سياسة شبه الجزيرة العربية

وهيرمان ايلتز السفير بالقاهرة والذي نقل من السعودية مباشرة للقاهرة وله أيضا خبرة وتاريخ في المنطقة .

وقد قام هذا الجهاز الدبلوماسي بالعمل كفريق عمل واحد لوضع السياسة الأمريكية على الواقع العربي . وكانت بداية تحركهم مؤتمر عقد بدعوة من السفير الأمريكي في إيران- هيلمز مدير المخابرات السابق- وحضره كل سفراء الولايات المتحدة في المنطقة ومساعدتهم وعقد المؤتمر في طهران في ٢٣ ابريل سنة ١٩٧٣ . وقد ذكرت وكالة رويتر في خبر نشرته جريدة الأهرام أن المؤتمر حضره حوالي ٣٠ دبلوماسيا أمريكيا وحضر افتتاحه جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط . وأن جدول أعمال المؤتمر شمل الموضوعات التالية : مشاكل المصالح الأمريكية في المنطقة ، النزاع العربي الإسرائيلي ، عمليات المقاومة الفلسطينية ، السياسة السوفيتية في الخليج العربي . وإذا كانت قرارات المؤتمر سرية بالطبع فإن جدول الأعمال يكفي وحده للاستدلال على خطورة المؤتمر وقراراته ودراسة الأحداث التي تلت المؤتمر يمكن أن تكون مؤشرا لما انتهى إليه هذا المؤتمر من قرارات .

وكان أول إنجاز بعد المؤتمر هو انقلاب قبرص في منتصف يونيو ١٩٧٤ والانقلاب يهدف العرب قبل أن تكون قبرص بذاتها هي الهدف . وقد عايش أحدائه من خلال أنقره ثم أثينا فور غزو الجزيرة وذلك بحكم عملي الصحفي وكبانت الصورة كما رأيته يومها هي أنه أنقلاب يفتح الباب للصدام الطائفي في المنطقة بين المسلمين والمسيحيين وبالتالي فهو «بروفه» يمكن التوسع فيها بخاصة وأن عناصر الحركة في الانقلاب محكومة بعلاقات وثيقة بالولايات المتحدة وأعني تركيا واليونان .

وهو انقلاب لتقسيم ثالث جزر البحر الأبيض بعد سبيل وسردينيا وأكثرهم أهمية استراتيجية في الصراع العربي الاسرائيلي . و يكفي أن قفل مجالها الجوى

بسبب الانقلاب قد شل حركة الاتصال بين الدول العربية وخاصة دول
المواجهة، كما أنها تبعد ٦٠ ميلا فقط عن الشاطئ السوري تزيد إلى ١٤٠ ميلا
بالنسبة لشاطئ لبنان ثم ١٦٠ ميلا بالنسبة لإسرائيل. وتبعد ٢٤٠ ميلا عن
مدخل قناة السويس عند بورسعيد. وطبقا للخريطة الاستراتيجية العسكرية
للولايات المتحدة في البحر الأبيض نجد أن هناك قاعدة أمريكية في «روتا»
بأسبانيا وأخرى في سيجونيلا في سبيل. وقد ظهر من العمليات العسكرية خلال
حرب أكتوبر أن هذه القواعد بعيدة إلى حد ما عن التأثير في أرض المعركة بالسرعة
اللازمة والفاعلية المطلوبة. إذ كان مستحيلا ومكاريوس رئيس لقبرص
استخدام القاعدة البريطانية في قبرص التي كان يجري تصفيها كنقطة تموين في
عملية الجسر الجوي الأمريكي لإمداد إسرائيل بالسلاح ولم تجد الحكومة
الأمريكية سوى ميناء سودا بجزيرة كريت. وقد كان السماح باستخدامه هو
السبب الرئيسي وراء الدعم الأمريكي للحكم العسكري. في ذلك الوقت.
باليونان رغم احتجاجات حلفاء أمريكا في حلف الأطلسي على ذلك ولم يكن
أمام الولايات المتحدة سوى تجاهل هذه الاحتجاجات حيث لم يكن هناك موقع
آخر مناسب يمكن منه تسهيل عملية الجسر الجوي لإمداد إسرائيل بالعتاد السريع
والمستمر. فل يكن من موقع آخر شوى مالطة وقبرص. ومالطة يحكمها اتفاق يمنع
الاتحاد السوفيتي من الحصول على تسهيلات بحرية في الجزيرة مقابل ألا تستخدم
الحكومة الأمريكية قواعد الجزيرة البحرية أو الجوية وبالفعل فإن الولايات
المتحدة ركزت سفن أسطولها السادس جنوب جزيرة كريت لمواجهة الغواصات
السوفيتية على وجه خاص والوجود السوفيتي في البحر الأبيض على وجه عام ولولا
سماع اليونان للأسطول السادس باستخدام ميناء سودا بكريت لما أمكن
للولايات المتحدة الاحتفاظ في ذلك الوقت بصفة دائمة بمحاملتين للطائرات في البحر
الأبيض، إذ لا بد لها من ميناء قريب لتقديم التسهيلات للسفن الحربية. وكانت

الحكومة الأمريكية تطمع في استخدام قبرص حيث إن موقعها لمركز الأحداث في الشرق الأوسط أقرب كما أن ظروفها أكثر ملاءمة حيث يحكمها صراع طائفي بين المسلمين الأتراك والمسيحيين اليونانيين . وتركيا واليونان أعضاء في الأحلاف العسكرية الأمريكية .

وكان الولايات المتحدة قد تعهدت في البيان المشترك الذي صدر عقب زيارة الرئيس الأمريكي نيكسون لإسرائيل بأن الحكومة الأمريكية سوف تقدم المساعدات والدعم العسكري لإسرائيل « وفق خطة مرسومة للمدى الطويل » .. وهو ما تأكد في وثيقة الوعود الأمريكية لإسرائيل المرتبطة باتفاق سيناء . وصحيح أن الحكومات الأمريكية المتعاقبة قدمت لإسرائيل كل ما أرادت بل وأكثر مما طلبت إلا أن الأمر الجديد في حكومة نيكسون - كيسنجر هو أن الدعم سوف يتم وفق خطة للمدى الطويل أى أن الحكومة الأمريكية لابد أن تضمن طرق إمداد ودعم إسرائيل لسنوات طويلة بحيث تكون الطرق مفتوحة بأمان واستمرار . وفشل الانقلاب في قبرص في تصفية مكاريوس جسدياً . ولذلك ظهرت البدائل في الخطة . فقام سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكية بالسفر إلى لندن فانقره وأثينا ذلك لمنع عودة مكاريوس وتقسيم الجزيرة بين تركيا واليونان وبعد ساعات من مغادرة سيسكو لأنقره تحرك الجيش التركي لغزو قبرص .. وكان التصور هو إعطاء الغزو التركي صفة التمرد على الولايات المتحدة وذلك في ضوء الخلافات للصطنعة بين البلدين وإدعاء أن الغزو التركي يهدف إلى إعادة الأوضاع الشرعية إلى الجزيرة . ولم يكن طرح هذا التصور من باب الإدعاء ولكنه كان يهدف إلى منع أى مقاومة للغزو التركي وخذاع أنصار مكاريوس . وكان المتفق عليه بين تركيا وسيكون أن تحتل تركيا المناطق الإسلامية فقط في الجزيرة حتى الخط الأخضر دون تجاوز ذلك بأى شكل من الأشكال وفي نفس الوقت اتفق سيسكو في أثينا على نقطتين : الأولى خاصة بأسلوب معالجة اليونان للغزو التركي ، فكان عليها قبول الغزو

والتصرف على أساس رفض ذلك حتى ولو بتحريك قواتها على حدود تركيا وأنها سوف تقوم بغزو تركيا، ولكن الغباء التركي أفسد الأمر حيث لم تحرك أى قوات لمواجهة الحشد اليونانى وبالتالى فضحت عدم جديته . وكانت النقطة الثانية فى اتفاق سيسكوبائينا هى تغيير الحكم العسكرى وقام سيسكوبنفسه باختيار كونستانتين كارمانيليس الذى كان فى باريس ليقود اليونان من جديد . وكان الحكم العسكرى فى أثينا مصدر خلاف مستمرين أمريكا وأوروبا الغربية التى ترفض الديكتاتورية ثورية العسكرية لأسلوب للحكم . وهكذا تحقق للسياسة الأمريكية هدفان ضمن إطار تسوية الصراع العربى الأمريكى الإسرائيلى بأن حصلت على قبرص المقسمة بين حليفها ثم فتحت الطريق فى المنطقة للصراعات الطائفية .

وقد ارتبط التحرك الأمريكى فى المنطقة سواء كان التقارب مع العرب أو إعادة ترتيب المنطقة بانحسار الوجود السوفيتى فى المنطقة . والمعروف أنه كان فى مواجهة الوجود الأمريكى بالمنطقة المصالح السوفيتية والتى تتلخص (١٣) فى دعم حركة التحرر الوطنى العربية وزيادة قوتها ومساعدتها على الصمود أمام الغزو الأمريكى . وتحرير الثروات العربية من قبضة الاحتكارات الرأسمالية العالمية . وتحرير الأرض العربية من كل أشكال السيطرة، لأن نجاح حركة التحرر الوطنى العربية فى تحقيق هذه الأهداف سيكون بالضرورة على حساب مصالح الولايات المتحدة ومواقفها فى الشرق الأوسط وسيؤدى بالتالى إلى إضعاف القوة الأمريكية بشكل عام وفى الشرق الأوسط على وجه التحديد . وينطلق السوفيت فى تحديد مصالحهم بالمنطقة من منطلق أن كل خسارة تتعرض لها الولايات المتحدة، وكل تقلص لنفوذها يشكل كسبا غير مباشر لموسكو، ويؤثر على موازين القوى السوفيتية-الأمريكية لاعز طريق الحصول على مكاسب تضاف إلى كفة السوفيت بل عن طريق اقتطاع جزء من وزن القوة الاقتصادية والعسكرية الموجودة فى الكفة الأمريكية وانتقال هذا الجزء إلى أصحابه الشرعيين . وكلما تزايد وزن الأجزاء

المقتطعة من القوة الأمريكية والمعادة إلى أصحابها العرب كلما زاد اختلال موازين القوى بين العملاقين لصالح موسكو.

وهكذا كان الإستقطاب ضرورة فرضتها طبيعة الصراع في المنطقة. ويتربط على ذلك أنه في حالة أي توجه نحو الولايات المتحدة فهو إنهاء للإستقطاب المزدوج واتجاه نحو استقطاب من جانب واحد وهو ما يفقد أطراف الصراع المحليين القدرة على المناورة والمضغط.

وكانت سنة ١٩٧٢ نقطة بداية انحسار الوجود السوفيتي في المنطقة حين أنهت مصر مهمة الخبراء السوفيت - ٨ يوليو - وترحيلهم، وقبلها وقع الصدام مع السودان بسبب محاولة الانقلاب - يوليو ١٩٧١ - وتعرضت سوريا لضغوط هائلة لاتخاذ نفس الخطوة ووصل إلى حد - حسب وصف مجلة الشؤون الدولية البريطانية - إلى أن قامت الصحف في مصر ولبنان وسوريا بتثير الشك في نوايا الاتحاد السوفيتي لمساعدة أصدقائه في العالم العربي لمواجهة العدوان الإسرائيلي وبدأت حملة إشاعات منظمة من خلال أجهزة الإعلام تبعث معلومات عن أن سوريا فرضت قيودا على المستشارين السوفيت وأن سوريا على وشك طردهم.. وأن هناك اتفاقا سعوديا أمريكيا على أن تقوم السعودية بطرد السوفيت من الدول العربية على أن تقوم الولايات المتحدة في المقابل بإخراج إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة. وفي هذا الإطار فإن السعودية عرضت مساعدات مالية هائلة على الأسد إذا قام بطرد الخبراء السوفيت من سوريا. والملاحظ أن الاتحاد السوفيتي مقتنع أن وراء هذه الحملة تقف الولايات المتحدة (١٤).

وما أعرفه من المصادر اللبنانية أن اليسار اللبناني والشيوعيين اللبنانيين على وجه خاص لعبوا دورا حقيقيا في منع سوريا من اتخاذ قرار بهذا الشكل وكانت وسيلتهم الوحيدة في مواجهة إغراء المال هي الإقناع وعنطق بحوره هو المصالح الذاتية لسوريا نفسها. وأمكن إقناعها بخطأ هذه الخطوة. وهو ما لم تغفره الدول العربية

التي كانت تضغط على سوريا لطرد السوفيت منها. وقد حاسبت هذه الدول اليسار اللبناني على ذلك في سلوكها خلال أحداث الأزمة اللبنانية.

والعراق كانت تخضع لعملية استقطاب إلى الخليج عن طريق حل مشاكلها مع الأكراد وتسوية مشكلة الحدود مع إيران وعمل خطط أنابيب لنقل البترول العراقي عن طريق تركيا. صحيح أن العراق لم تقطع الخيوط مع السوفيت ولكنها على الأقل أدخلت العلاقات معهم في ثلاجة.

وكان انحسار الوجود السوفيتي بدون مقابل إلى درجة أن كيسنجر تعجب حسب رواية شيان في كتابه لأن مصر لم تطالب بشيء مقابل تحقيق خطوة كان يتناها كيسنجر وهي طرد الخبراء السوفيت (١٥).

وليس معنى ذلك أن الاتحاد السوفيتي قد خرج تماما من المنطقة، وإلا كانت المبالغة غير عملية ولا علمية. إذ لا بد أن نتذكر أنه في النهاية إحدى الدولتين العملاقين وتواجهه ليس بالضرورة من خلال علاقات طيبة له بالعواصم العربية بل هو موجود بحكم دوره وثقله في الصراع العالمي.

وموقف الاتحاد السوفيتي من أزمة الشرق الأوسط هو (١٦) العمل على تجميد التناقض العربي الصهيوني مرحليا على قاعدة استعادة نوع من التوازن بين العرب وإسرائيل بعكس المشروع الأمريكي الذي يريد إنهاء التناقض على قاعدة من تفوق إسرائيل على المنطقة. والأساس الذي يركز إليه الموقف السوفيتي هو تصور نوع من التوازن يقوم على ترجمة دقيقة للتوازن الدولي العام بين المعسكرين منقولاً إلى منطقة الشرق الأوسط.

ويلتزم الاتحاد السوفيتي في تصوره للتسوية بالتزامين أساسيين هما الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي العربية المحتلة سنة ١٩٦٧. وتمكين الشعب الفلسطيني من إقامة دولته الوطنية المستقلة. وهما بالضبط المطالبان اللذان يؤدي تحقيقهما معا إلى تجميد مرحلي للتناقض العربي الصهيوني.

أما مسألة ضمانات الأمن فإن الاتحاد السوفيتي يرى الالتزام بمبدأ الضمانات الأفقية المتبادلة والتكافة . فإذا كانت هذه الضمانات ستتحقق طابع الالتزام الدولى فإن على مجلس الأمن والدولتين العملاقتين ضمان أمن كل من العرب وإسرائيل معا على السواء وبصورة متوازنة . وإذا كانت هذه الضمانات ستتحقق شكل إجراءات محلية على الأرض وعلى امتداد الحدود العربية الإسرائيلية فإن التصور السوفيتي يتمك بمبدأ التكافؤ كما يقول تقرير اللجنة المركزية لمنظمة العمل الشيوعى اللبنانى . فكل منطقة منزوعة السلاح . من هنا يجب أن تقابلها وبالمدى نفسه منزوعة السلاح من هناك . وكل وجود لقوات دولية على هذا الجانب من الحدود يجب أن يقابله وجود مماثل على الجانب الآخر .

وآخر نقاط التطور السوفيتي كما جاء فى التقرير هي المسألة الإجرائية المتعلقة باشتراط حضور الفلسطينيين كطرف مستقل كامل الحقوق فى مؤتمر جنيف أو أى مفاوضات أخرى الأزمة . وهو حضور ينطوى مسبقا على تكرس حق الفلسطينيين فى تقرير مصير أرضهم المحتلة وتقرير مصيرهم كشعب عليها . وتكرس شرعية مطلبهم فى إقامة دولتهم المستقلة فوق أى جزء من فلسطين تم استعادته وهو طبعاً ما يتعارض تماماً مع الموقف الأمريكى ومع الموقف الإسرائيلى .

ويقول التقرير إن مشروع التسوية السوفيتي صحيح أنه لا يطابق فى النهاية مع المشروع الوطنى الفلسطينى والقومى العربى تجاه القضية الفلسطينية وهو الذى لا يرى من حل تاريخى أخير للتناقض العربى الصهيونى سوى تحرير كامل للأرض الفلسطينية وإقامة الدولة الديمقراطية العلمانية فوقها .

وصحيح أيضاً أن مشروع التسوية السوفيتي كمشروع مرحلى لحل أزمة الشرق الأوسط يختلف فى بعض اتجاهاته عن البرنامج الوطنى المرحلى لمنظمة

التحرير الذي يشكل العمود الفقري للبرنامج المرحلي العام لحركة التحرير الوطني العربية تجاه الصراع العربي الصهيوني في هذه المرحلة.

وإذا كان ذلك كله صحيحا فالصحيح أيضا أن التناقض الرئيسي يبقى مع المشروع الأمريكي بينما الخلاف مع المشروع السوفيتي سوف لا ينتج عنه أكثر من نوع من التعارض المحدود بين الموقف العربي والموقف السوفيتي . فهو يتطرق من الالتزام بأهم مطالب الحركة الوطنية وهو إذ ينتهي إلى القول بتجميد التناقض العربي الصهيوني مرحليا يبقى في يد الشعوب العربية العوامل التي تتيح لها إمكان تجديد المواجهة .

ويصل التقرير إلى أن المعضلة الحقيقية التي تواجه حركة التحرير الوطني العربية انطلاقا من مشروع التسوية السوفيتي ليست معضلة التعارض .. المحدود القائم بين برنامجها حيال قضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني في أفقه التاريخي والمرحلي وبين بعض بنود المشروع السوفيتي ، بل المعضلة الحقيقية تكمن في أن مشروع التسوية السوفيتي لا تتوافر له الآن القوى اللازمة لجعله مشروعا راهنا وقابلا للتنفيذ بالفعل في إطار ميزان القوى الحالي بالمنطقة .

و يبدو لذلك المشروع السوفيتي أنه أقرب إلى صيغة المشروع المبدئي الذي يعكس حرص الاتحاد السوفيتي على ترجيح المصالح الوطنية والقومية للشعوب العربية منه إلى صيغة المشروع الفعلي الذي يملك خطا راهنا من النجاح في مرحلة انحسار الوجود السوفيتي في المنطقة والتقارب في مقابلتها مع الولايات المتحدة .

إن العلاقة بين العملاقين في ظل الوفاق الدولي ليست علاقة أخلاقية تنهض على الإنسجام والاتفاق والخطط المشتركة دائما ولا هي علاقة يحكمها منطق الصفقة المقررة للنتائج نسلها ، بل هي في الأساس علاقة صراع يحاول كل من الطرفين تعديل موازينها لصالحه على الدوام . وفي ظلها نشبت معارك وحروب محلية في أكثر من منطقة من العالم . وفي هذه المعارك يحاول كل معسكر إصابة المعسكر الآخر

بالمهزلة وتحقيق أكبر من الانتصارات ليتاح له التأثير في التوازن الدولي وفي مضمون سياسة الوفاق. وبالتالي فالحقاق المهزلة بالولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا لم يكن أمرا ضد سياسة الوفاق، كما أن إلحاق المهزلة بالاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط ليس مجافيا في حد ذاته لسياسة الوفاق.. فنتائج سياسة الوفاق الدولي بالنسبة لأي منطقة في العالم تقررها قبل كل شيء حركة الصراع الداخلي وموازينها في هذه المنطقة فلا يكفي استعداد كل من العملاقين لتقديم الدعم إلى القوى الخليفة له منطقة الصراع حتى يترتب على ذلك تلقائيا توازن معين بينهما في هذه المنطقة يراعى فيه الوزن الفعلي لكل منهما، بل إن استعداد القوى الداخلية لتلقي الدعم وتوظيفه وقابليتها للاستفادة منه وضغطها من أجل زيادته هو العنصر المقرر أخيرا لوزن هذا العملاق أو ذاك في الصراع القائم في هذه المنطقة أو تلك.

وباختصار فإن الاتحاد السوفيتي لن يشكل مانعا للخطة الأمر يكية في المنطقة العربية إلا بقدر ما تسمح له موازين حركة الصراع الداخلي في المنطقة بأن يلقى بثقله ويمارس تأثيراته.

وهكذا كانت خريطة المنطقة مع بداية المذبحة هي تقارب أمريكي عربي وقدرة كبيرة على العمل والتأثير وإعادة ترتيب الأوضاع وإخسار الوجود السوفيتي وعدم قدرة على التأثير الفعال في مجرى الأحداث.

وكانت حملات الاعلام مركزة على أن أحد النقاط الباقية مفتوحة مع الاتحاد السوفيتي هي العلاقات الفلسطينية السوفيتية، وهو بدوره ماحل منظمة التحرير عينا آخر كان لا بد أن تحاسب عليه من تيار التقارب الأمريكي فهي ليست فقط تقف عقبة في سبيل عقد مؤتمر جنيف والوصول إلى التسوية بل وما زالت تترك القنوات بينها وبين الاتحاد السوفيتي مفتوحة على عكس التوجه العام للمنطقة. وبالتالي فهي متهمة بأنها تسير في خط الاتحاد السوفيتي أي ضد التيار كما جاء في مقال جورج بول الذي سبق الإشارة إليه.

وإنصافا فإن علاقة المقاومة بالاتحاد السوفيتي علاقة استراتيجية لا يمكن مطالبته بالتخلي عنها مقابل أوهاام يعرضها عليها الآخرون وخاصة بعد أن أصبح للمنظمة تمثيل رسمي في الاتحاد السوفيتي منذ يونيو سنة ١٩٧٤ .

هوامش الفصل الرابع

- (١) Quandt, International at Affairs . Oxford Puly 1977. p 10
- (٢) صدر في ١٤ يونيو ١٩٧٤ ونشر بالصحف المصرية في اليوم التالي .
- (٣) Washington Post. 25 June 1977
- (٤) Time. 23 May 1977
- (٥) Shehan. E The Arabs. Jstaellis and Kissinger. NEW Yark 1976. p 18
- (٦) Kumpf. H. Israel's Security 'Midstweam'. New York July 1977
- (٧) Pall.g. How to save Israel. F oreign Affairs : April 1977
- (٨) Shehan. E. Step. by. Step Paicy. Foreign Policy. March 1977
- (٩) شيان صد. ٤٠ المرجع السابق .
- (١٠) تقرير الإستراتيجية الأمريكية نشر في ١٤ حلقة بجريدة السياسة الكويتية ابتداء من ١٧ أغسطس سنة ١٩٧٧ .
- (١١) فزوجة المستشار بالسفارة الأمريكية بالقاهرة حاليا على سبيل المثال تقوم بدراسة عميقة من ١٠٠ أسرة في حي بولاق لتوضيح الفوارق بين المسلمين والمسيحيين ١١
- (١٢) مجلة شؤون فلسطينية . بيروت العدد ٥١ . نوفمبر ١٩٧٥ .
- (١٣) سلس حداد- الإستقطاب الدولي والصراع في المنطقة شؤون فلسطينية رقم ٥٥ في مارس ١٩٧٦ .
- (١٤) Quandt. Soviet Policy in Octobre War. International Affairs. Oxfaid. Puly 1977.
- (١٥) شيان المرجع السابق . صد٢٢ .
- (١٦) تقرير اللجنة المركزية لمنظمة العمل الشيوعي بلبنان . إبريل ١٩٧٧ . صد٣٣-٣٨ .

الفصل الخامس

الرحلة مع الموت

كانت إشارة البداية لبقاء اللبنانيين مع الموت هي إطلاق الرصاص على النائب السابق معروف سعد في ٢٦ فبراير سنة ١٩٧٥ والذي استشهد في ٦ مارس متأثراً بجراحه وقد يبدو غريباً لغير اللبناني أن يكون اغتيال شخص بداية مذبة تستمر ١٩ شهراً ويسقط فيها مايزيد عن الخمسين ألف قتيل ولكن الذين يعرفون لبنان جيداً بكل تركيباته وعقده يعرفون رد الفعل على أي حادث يل ويمكنهم قياسه بالتقريب . ولعل العرب لا يعرفون أو اختفت من ذاكرتهم أن مأساة سنة ١٩٥٨ والتي انتهت بدخول الأسطول السادس بجوار كميل شمعون بدأت باغتيال الصحفي نسيب المتني .

والمهم أن عناصر الحادثتين واحدة .. اغتيال شخص له دور .. وجود كميل شمعون .. العمل على رفع شعار الطائفة . وقد ذكر ريمون إده زعيم حزب الكتلة

الوطنية في رسالة له ردا على كميل شمعون جاء فيها « كان يجب عليكم أن تذكروا بين ماذكرتم أن اغتيال معروف سعد النائب السابق في ٢٦ فبراير فيما كان على رأس مظاهرة صيادى الأسماك للاحتجاج على شركة « بروتين » التي كنت تترأسها وهو الإغتيال الذي أطلق مصادمات سنة ١٩٧٥ والذي يذكر باغتيال الصحفي نسيب المتى الذي كان إشارة اندلاع أحداث سنة ١٩٥٨ فيما كنتم أنتم رئيسا للجمهورية » (١) والواقع أن الحادث يحدد كل عناصر الدراما .

فقد تشكلت شركة « بروتين » للصيد من رأسمالين لبنانيين ومن رأسمال عربي من إحدى دول الخليج العربي وقروض من إيران الشاه ، وتعاون تكنولوحي من شركات أجنبية وعلى وجه خاص بلجيكية . وقد اختار أصحاب رأس المال كميل شمعون رئيسا للشركة ومن خلاله حصلت الشركة على امتياز باحتكار الصيد على شواطئ لبنان وذلك من حكومة صائب سلام يمثل إحدى دول البترول العربية الكبرى في الحكم اللبناني وكان وقتها حليف كميل شمعون . وواضح أنها تحالفات لاعلاقة لها بدين أو طائفة . وقد شعر الصيادون في لبنان بخطر هذه الشركة عليهم فقامت مظاهراتهم على طول الساحل . وكان معروف سعد يقود مظاهرة صيادى صيدا . وذكر بلاغ رسمي للناطق العسكري أن المظاهرة غير مرخص لها وقامت بقطع طريق صيدا - بيروت . وقد توجهت قوة من الجيش بناء على تكليف رسمي - بأمر رشيد الصلح رئيس الوزراء بناء على طلب رئيس الأركان - وحدث صدام أصيب فيه معروف سعيد وأجد الجنود . وظهر مسلحون بعضهم مزود بقذائف آر. بي . جي ملثمين بكوفيات مزركشة على سطوح المنازل وأطلقوا النار على القوة .

وقد قامت المظاهرات في كل لبنان احتجاجا على الاعتداء على معروف سعد واجتمع مجلس الوزراء بعد يومين وقرر وقف محافظ الجنوب هنري الحود وبحث

مسألة إلغاء ترخيص شركة الصيد . وقد نفى مقر الشركة في بيروت في نفس اليوم . وفي اليوم الرابع اتصل رئيس الأركان برئيس الوزراء في منتصف الليل وطلب منه الموافقة على سحب الجيش من صيدا وإحلال قوات الأمن مكانه لأنه لا يستطيع الصمود في مواجهة الجماهير . والمنطق غريب فإذا كان الجيش لا يستطيع بمدرعاته فهل تستطيع قوات الأمن بينادقها ، ولماذا نزل الجيش أصلا بدون دراسة لقدرته على التأثير . وقال المتحدث باسم القوات المسلحة إن معروف سعد قتل برصاصة لا تستعملها القوات اللبنانية . وقد كلف أحد رجال النيابة بالتحقيق واستخرجت الرصاصة من جسد معروف سعد وطلب المحقق السفر إلى عاصمة أوروبية لعمل التحليل عليها وذلك لعدم الثقة في معامل الجيش . وقد أثبت التحليل العلمي في باريس أن الرصاصة لسلاح يستعمله رجال الجيش اللبناني وبالخرائط أمكن الوصول إلى اسم الجندي القاتل وضابط المخابرات الذي أعطاه الأمر ولكن الجيش رفض تسليم الجندي لمحاكمته . وفي نفس الوقت قامت مظاهرة في ضو من طلبة المدارس العسكرية بملايس مدنية وهي تهتف « لانريد فلسطينيين ولانريد مسلمين » . وفي بيروت قامت أحزاب الكتائب والأحرار والكتلة ، أي أحزاب الموارنة بتنظيم مظاهرة طلابية لتأييد الجيش . ومظاهرة أخرى سارت في زحلة من الطلبة أيضا لتأييد الجيش . مظاهرات في طرابلس وصيدا والبقاع وبيروت تهاجم الجيش . . . ورمعون إذه يقول « إن هناك يدا تحرك جميع الفئات كي تنقسم على بعضها » وكما لجنبلات يذيع بياننا (٢) باسم الأحزاب والقوى الوطنية يحدد فيه أهداف اغتيال معروف سعد وهي إرهاب الحركة الشعبية . وإرهاب الحركة الوطنية التي تقف مع المقاومة . التحضير لفتنة طائفية . جبر المقاومة إلى صراع داخلي لبناني . والبطريك خريش بطريك الموارنة أعلن بياننا ذكر فيه أن الكادحون يشعرون بوطأة الأحداث اقتصاديا ويطالب الشعب بالوقوف معا ، ورفض التفرات الطائفية . والرابطة المارونية تصدر بياننا في نفس

اليوم تدعوفيه إلى تجنب الخوض في المسائل التي تثير التمرات الطائفية وفي ٧ ابريل أصدر مجلس الوزراء قرارا بحسب مرسوم امتياز شركة برويتين والبحث في إنشاء «تعاونية» للصيادين .

هذه هي أحداث صيدا . وقد ذكرت كثيرا من تفاصيلها لأنها كما قلت تجسد كل دراما المأساة في سباق اللبنانيين مع الموت فهي تجمع بين الرأسمالية اللبنانية مع الرأسمالية العربية مع النفوذ الأوربي مع إيران الشاه ثم هي أشركت الجيش في دور يعد له وانقسم اللبنانيين بين مؤيد ومعارض له . وقد بلغت الأزمة إلى درجة تحليل وصاصة في باريس لعدم الثقة في أجهزة الدولة . ثم يرفض الجيش تسليم قاتل إلى العدالة و يتراجع مجلس الوزراء عن امتياز احتكاري منحه من قبل . وكان واضحا من أهمية حادث الاغتيال وسط الحادث الأكبر وهو الصراع الطبقي أنه قد جرت قبله بأيام في صور محاولة اغتيال شقيق النائب البيني كاظم الخليل ولكن المحاولة فشلت . وكان المقصود قتل واحد من البين وآخر من اليسار . ومعروف سعد يرتبط بجنبلات . والذي يستدعي الاهتمام أن محافظ صيدا وضابطا في مخابراتها هبا من أنصار كميل شمعون رئيس شركة الصيد الاحتكارية .

وإذا كانت أحداث صيدا قد عبرت عن الوجه اللبناني للصراع بمعنى أنها عبرت عن إحدى ظواهر الصراع الوطني والطبقي في لبنان فإن حادث عين الرمانة في ١٣ ابريل هو الذي أريد به تغيير وجه الأحداث وطرح الصدام الماروني الفلسطيني على السطح . وإخفاء الصراع اللبناني الطبقي في القاع . واستكمال عناصر سباق الموت . ففي هذا اليوم هاجمت جماعة من الكتائب سيارة « أتوبيس » تقل عددا من سكان نجيم تل الزعتر بعد انتهاء احتفالهم بذكرى مذبحه دير ياسين الذي دُمجت فيها عصابات بيجين الصهيونية الفلسطينية . ولم يكن هناك أي سبب للحادث . فما أن أقتربت السيارة مثل غيرها من مئات السيارات التي مرت قرب

احتفال ديفي كثنائى حتى هوجم بالرصاص . وقتل فيه ٢٦ وجرح ٢٩ آخرين وقد أعلنت الأحزاب والقوى الوطنية أن الكثنائى قامت بالحادث ضمن مخطط استعماري صهيوني . ووزير الإعلام - محمود عمار - فسر الحادث بأنه خلاف بين لبناني ينتمى إلى منظمة فدائية وبعض أبناء المنطقة . وتوتر الموقف أدى إلى الحادث . وقيادة المقاومة اعتبرت الحادث عملاً مدبراً يعلم قيادة الكثنائى لخلق الفتنة وضرب الإخوة الفلسطينيين واللبنانيين (٣) . وحاولت الكثنائى أن تسرب معلومات صحفية بأن حادث عين الرمانة بتدبير من حزب كميل شمعون والأردن . وبالرجوع إلى الأطراف جميعها وضع لى عدم الاهتمام بتحديد مسؤولية الحادث بعد أن تحولت المسألة إلى مذابح بلا حدود اشتركت فيها كل الأطراف ولم يعد مهما من أطلق إشارة البداية لسباق الموت . وقد وصل الاستتار إلى حد أن حزب الكثنائى سلم اثنين لاعلاقة لهما بالحادث لإرضاء السلطة . ومجرد تقديمهم اعترافاً بدور الكثنائى فى الحادث وفى ١٨ يوليو اعترف سعيد نعيم الأسمر (٤) بتفاصيل حادث عين الرمانة وأن الذين قاموا به من مسلحي حزب الكثنائى بقيادة جوزيف أبو عاصى وبناء على تكليف من الحزب . وكانت صحيفة حزب الكثنائى « العمل » قد نشرت فى افتتاحيتها فى ٢ مارس رد على أحداث صيدا وأن مسلسل الإرهاب يجب أن ينتهى بشكل أو آخر . كيف ؟ نخشى ألا يكون من سبيل لوقفه إلا بارهاب مماثل . ميدنيا ، الأمر مطلوب من الدولة . . من أجهزة الأمن . . ولكن لسوء الحظ دولتنا قاصرة على ذلك . . فاذا تعذر توحيد السلطة والمسئوليات يتتاب الناس شعور بالحاجة إلى إرهاب آخر مماثل بوصفه السبيل الأخير لوقف التدور للتححرر من عقدة الخوف . . « آخر الدواء الكى » كما يقال . . ! (٥)

واستكمالاً للأدوار فإن سليمان فرنجية رئيس الجمهورية دخل المستشفى لإجراء عملية جراحية « المرارة » قبل حادث عين الرمانة بيوم . وقد سمعت من أحد

رؤساء وزارات لبنان أن سلوك فرنجية مثل قادة العصابات الذي يثبت وجوده في مكان آخر ساعة ارتكاب الجريمة . وقيل إن قيادة الجيش اللبناني وعدت فرنجية أنه خلال فترة وجوده بالمستشفى وهي أسبوعان سوف يتم تصفية الوجود الفلسطيني واليسار اللبناني . وعلى ذلك تحدد موعد دخول فرنجية المستشفى قبل بداية العملية بيوم .

وقد انضمت جماعة الرهبان إلى أطراف الصراع وخرجت عن إطارها الديني للعمل السياسي وبالتالي فهي منذ هذه اللحظة سوف تعالج مواقفها في هذه الدراسة كإحدى القوى السياسية في جبهة لبنان . أما الكنيسة فوقها هو موقف البطريرك خرّيش . فقد اجتمع رؤساء الرهبانيات المارونية في ٢٧ أبريل وأصدروا بياناً يقول « أي وجه للصواب والانصاف ومنطق الحق في الحملة العشوائية المتفلفة الفوغائية الحاقدة التي تشنها عناصر مسؤولة وغير مسؤولة من الداخل والخارج على حزب الكتائب . فال مؤتمر يستنكرها بشدة ويصرح أنه يؤيد هذا الحزب ويسنده بقوة (١) » .

وقد لاحظت على إجابات قيادة الجبهة اللبنانية (شمعون الجميل - فرنجية - قسيس) أنه لم يكن ممكناً احتواء ردود فعل الحادث بين القيادات السياسية الإسلامية وقيادة الحركة الوطنية أكدت في الإجابات أن الحادث كان يمكن النجاح في عملية احتوائه لولا إصرار الذين قاموا به على التصعيد . فالواقع أن تحرك الجامعة العربية بوصول الأمين العام في اليوم التالي مباشرة للحادث مع أدوار عربية أخرى تجمعت في العمل على إعادة الحياة الطبيعية بعد أربعة أيام ولكن الحوادث عادت في نفس يوم تنفيذ وقف إطلاق النار وأعلنت الحكومة أن طرفاً ثالثاً قام بخرق وقف إطلاق النار وأعلن الأمين العام للجامعة العربية أن طرفاً ثالثاً هو المسؤول . وذكر كل من البطريرك خرّيش وبطريك الموارنة والإمام موسى

الصدر إمام الشيعة أن هناك أيدي خفية تعرقل عودة الحياة الطبيعية إلى لبنان، بينما يبير الجميل وحده الذي أعلن أن الاتفاق نفذ بنسبة ٩٠٪ والعشرة الباقية تقع على عاتق السلطة. وكميل شمعون يدعو إلى عدم زج القضية الفلسطينية في الصراعات السياسية الداخلية حرصا على الانتصارات التي حققتها في المحافل الدولية. والغريب أن أحدا لم يشأ تحديد هذا الطرف الثالث. ووسط نشاط سياسي مكثف من كل الأطراف اللبنانية والعربية ظهرت على أرض المعركة ظاهرتان. عمليات خطف واسعة وعمليات نفس واعتداء على الكنائس والمساجد وحرق بعضها.

وفي يوم ٦ مايو اجتمع فرنجية بالشيخ بيار الجميل الذي نقل إليه ملاحظات حزب الكتائب عن الحكومة القائمة وأن مطلب الكتائب هو تغيير الحكومة. ووعده فرنجية ألا تستمر الحكومة طويلا. وفي اليوم التالي عقد مجلس الوزراء اجتماعا برئاسة فرنجية. وقبل الاجتماع قال سليمان فرنجية لرئيس الوزراء إن الوزير مجيد أرسلان يريد الاستقالة وأنه قبلها والمعروف أن مجيد أرسلان هو رجل فرنجية الأول وكان رئيس الجمهورية قد ضغط قبل ذلك بيومين على الوزيرين الاشتراكيين لعدم الاستقالة. والتخبر تم في موقف فرنجية بعد اجتماعه ببيير الجميل، وبمجرد استقالة رجل فرنجية استقال وزير حزب الكتائب، والذي يؤكد أن التغير كان مفاجأة هو ماجرى داخل مقر رئاسة الوزارة. ونقلا عن أكثر من مصدر كان في الجلسة أن وزير حزب كميل شمعون عرفا بقرار الاستقالات وهم داخل القاعة فاتصلا تليفونيا بكميل شمعون الذي قال لهما: «أنا لا يمنى موقف وزير حزب الكتائب. المهم عندي هو فرنجية». وأمرهم بالتنسيق معه، وبعد دقائق من حديثهم مع فرنجية قدما استقالتها وهكذا أضيفت إلى الأحداث أزمة وزارية أو بمعنى أدق أصبحت لبنان بدون وزارة وسط هذه الأحداث الخطيرة. وحين وضع دور فرنجية بوجه رشيد الصلح رئيس الوزراء إلى مجلس النواب في منتصف شهر

مايو وأعلن بياناً باستقالة حكومته ذكر فيه أن حزب الكتائب يتحمل مسؤولية مجزرة عين الرمانة ومضاعفاتها . وأن الكتائب قامت بالعمل والتخصير لهذه الأحداث تجاه الفلسطينيين . وأن الكتائب تريد توسيع الصدام وتوريط الجيش اللبناني فيه ثم اتهم الكتائب بتصعيد الوضع حين أقترب من التهدئة عبر استقالة الوزراء وذلك لقطع الطريق على أى محاولة لبحث وإقرار مشروع قانون تنظيم الجيش ومشروع قانون التجنس . وحدد رشيد الصلح خمسة أسس لأى معالجة جذرية لأوضاع لبنان : تحقيق إصلاح سياسى ديمقراطى يحقق توزيعاً للاختصاصات والمسؤوليات . الالتزام بمقتضيات المعركة العربية فى مواجهة العدو الصهيونى وإقامة علاقات راسخة مع المقاومة على أساس التنسيق الكامل . تعديل قانون الجيش وإخضاعه للسلطة السياسية . إقرار قانون التجنس . معالجة الوضع المالى والاقتصادى والاجتماعى والسياسى العادلة الاجتماعية بخطى سريعة . وكانت جلسة مجلس النواب مذاعة بالتليفزيون وشاهد شعب لبنان ابن بير الجميل عضو المجلس يجرى وراء رئيس الوزراء ويعتدى عليه وردت الكتائب فى بيان نفت علاقاتها بالحادث وإن كانت قد اعترفت بأنها سلمت اثنين من عناصرها لاهلاقة لها بالحادث للتهدئة .

وهكذا فتحت الأبواب على مصراعها للسباق الرهيب مع الموت . ولا بد من تسجيل عدد من الملاحظات على حادث عين الرمانة باعتباره كان إشارة البداية الثانية بعد حادث صيدا .

فقد دخلت الكتائب الميدان وكانت قبل ذلك تقف بعيدة عن مثل هذه الأعمال المكشوفة وتحاول التصرف كحزب لبنانى كبير وتترك مثل هذه الأعمال لحزب الأحرار حزب كميل شمعون ، ولكنها هذه المرة دخلت بكل ثقلها وراء حزب الأحرار بعد صيدا لتقود هى بجرى الأحداث .

كما وضح من إشارة البداية للسباق مع الموت أن رئيس الجمهورية سليمان فرنجية ليس بعيدا عن تمرير الأحداث والأشراك في عمليات تصعيدها وهو بحكم موقعه كان ينتظر منه أن يكون رئيس لكل اللبنانيين وليس لفرق ضد آخر.

وتأكد منذ اللحظة الأولى أن البطريرك خر يش بطريرك الموارنة يقف ضد هذه المسألة وأن هناك تيارا يقف ضده يترجمه رئيس الرهبانيات شربل قيس والذي كان موجودا في إسرائيل في الفترة من ٥ حتى ١٣ أبريل أي أنه عاد بعد إشارة البداية بساعات. وقد وضح موقف البطريرك في بياناته الصريحة واجتماعاته مع مفتي لبنان ثم دعوته لاجتماع مطارنة الطوائف اللبنانية في ٢٦ أبريل والذي انتهى بدعوة للتعاطف الأخوي بين اللبنانيين من جانب وبين اللبنانيين والفلسطينيين من جانب آخر. ولكن الأحداث أوضحت أن الرجل بكل ما لمنصبه من جلال لم يستطع الوقوف أمام رئيس الرهبانيات.

وكانت ردود فعل الدول العربية بشكل عام هي الاكتفاء بإدانة حزب الكتائب دون عمل إيجابي غير ما قامت به الجامعة العربية. وكان مثل هذه المذبة التي كان يعرف بها مقدما كثير من الرؤساء والملوك العرب قبل بدايتها بأشهر لا تستحق غير الإدانة، وقد التفتت بشخصيات لبنانية أتيح لها أن تجتمع بأكثر من رئيس عربي وملك عربي وسمعت منه تحذيرا بالخطر في لبنان قبل إطلاق إشارة البداية للأحداث بأشهر. وفي الوقت الذي كان تحرك العرب في مواجهة المذبة بالبيانات كانت دول أوربية ترسل بالسلاح بكميات هائلة إلى الموارنة لدرجة أن رشيد كرامي رئيس وزراء لبنان السابق صرح في أول أبريل أن السلاح يأتي بصورة رسمية عن طريق الموانئ اللبنانية ويوزع بواسطة جهات رسمية. وفي ٢٤ من نفس الشهر كشف كمال جنبلاط عن صفقة أسلحة بلجيكية جديدة وصلت

الكتائب . وأن « مؤسسة وطنية » قامت بتسهيل حصول الكتائب على الأسلحة . وبالرجوع إلى المصادر اللبنانية قالت إن المؤسسة الوطنية التي أشار إليها كمال جنبلاط كانت هي الجيش اللبناني . كما تمت صفقة سلاح أمريكية عن طريق تاجر لبناني - سر كيس سوفاناليان - وأن السفارة الأمريكية دخلت وسيطا لإتمام الصفقة وبلغت قيمتها ١٦٠ ألف دولار .

وحقيقة أن اشارى البداية قد سبقها إعداد وتجهيز . والغربة في مأساة لبنان أن كثيرا من ترتيبات المذبحة قد جرت علنا وفي وضوح النهار . وبدأت وكأنها قد رلا خلاص منه أو حدث لا يريد أحد أن يمنعه .

ففي ٢٤ يناير سنة ١٩٧٥ بعث بير الجميل برسالة إلى الرئيس سليمان فرنجية نشرتها في اليوم التالي كل صحف لبنان وأهم ما فيها أن بير الجميل قال : « لكل شيء في الحياة حدود . وللإنسان خصوصا قدرة معينة على الاحتمال فتى استنفذها انفجر بهذا الشكل . ولعل مأساة الجنوب - جنوب لبنان - قد أوصلتنا إلى حدود هذه القدرة .. إن الوضع لم يعد من الممكن السكوت عليه . فالدولة دولتان والجيش جيشان والسلطة سلطتان » . وبعد أيام أربعة اجتمع بير الجميل وكميل شمعون مع سليمان فرنجية لإعلان وحدة موقف قيادات الموارنة تأييدا لبير الجميل والواضح في هذه الرسالة أن زعيم الكتائب يعلن على العالم العربي وعلى الشعب اللبناني أن الأمر لم يعد ممكنا السكوت عليه . وبالتالي فهمي كلمات ليس لها من معنى إلا أن العد التنازلى لبداية السباق اللبناني مع الموت قد بدأ . ومع ذلك فإن الجميع نظر للأمر وكأنه مجرد لعبة على السلطة في لبنان حتى بعد أن توجه بير الجميل إلى القصر الجمهورى وقدم رسالته الثانية في ٢٠ فبراير والتي سماها وثيقة عن الوضع الاجتماعى في لبنان . وأهم ما فيها نداء باجراء استفتاء شعبى حول كل القضايا يحسم الجدل ويضع حدا للفوضى . وجوهر الاقتراح وهو الاستفتاء على مسؤولية لبنان عن حدوده أى على وجود المقاومة في الجنوب .

وكان واضحا أن بير الجليل باسم الكتائب يقول للجمع في لبنان وفي العالم العربي إن الكتائب ، سوف تتحرك ثم إن قيادات الموارنة توافقه على تحركه وبقيت عملية شحن الجماهير وتعبئتها ضد المقاومة الفلسطينية وهي ما تقوم بها دعوى الرغبة في استفتاء الشعب .

وكانت الأزمة الاقتصادية في لبنان قد بلغت ذروتها ولخصتها مجلة فرنسية (٧) في أن حركة تمركز اقتصادي قد وصلت إلى درجة خلق احتكاكات في عدة قطاعات مثل التبغ والسكر ومنتجات الألبان وخلقت أيضا كارتلات تنقسم السوق وتمارس سياسة إخفاء السلع لدرجة الندرة وذلك لفرض السعر الذي تريده . وكان هذا هو العامل وراء زيادة معدل التضخم من ١٤ ٪ سنة ١٩٧٢ إلى ٢٥ ٪ سنة ١٩٧٣ ثم ١٨ ٪ ١٩٧٤ . وارتبط ذلك بظاهرتين الأولى هي التوسع في افتتاح الشركات الأجنبية فروعها وابتلاع المشروعات اللبنانية . والظاهرة الأخرى هي تدمير القطاع الزراعي وتزايد معدلات البطالة إلى درجة امتدت إلى خريجي الجامعات . هذا إلى جانب تزايد مصاعب الحياة لدرجة أن نصف عائلات لبنان حسب دراسات وزارة الإسكان وهي حوالي ١٧٨ ألف عائلة تعيش في مسكن من غرفة أو غرفتين دون تسهيلات وأن متوسط عدد افراد العائلة هو ستة .

وقد نتج عن الوضع الاقتصادي حركة شعبية واسعة شملت تقريبا كل قطاعات الشعب اللبناني وعلى وجه خاص الطبقة الوسطى التي يعتمد عليها حزب الكتائب لدرجة أن أصبح معدل الإضراب في لبنان يصل إلى إضراب على الأقل كل يومين أى حوالي ١٨٠ إضرابا في العام . وهو موقف يفرض التغيير في البنية الأساسية للمجتمع في صالح تيار الحركة الوطنية .

وقد لخص رمون اده الصورة الاقتصادية في كلمات موجزة وذلك خلال الجلسة الثانية لهيئة الحوار الوطني بأن قال إن الجماعات الفقيرة والمحرومة احتلت بيوت

الغرب لأنهم تركوا دون رعاية من الدولة .

كانت ظاهرة احتلال الفقراء لأجمل شقق بيروت المغلقة في الروشة قد
مألة عادية . فالآلاف الشقق مغلقة وآلاف الناس بلا مسكن .

وقد خرجت في وسط ذلك كله ظاهرة الإمام الصدر والتي سبق تقديم عرض
لها . والمهم أن إجماع المحرّمين قد ساعد في تهيئة المناخ وإعداد المسرح سواء بالارادة
أو بالبحث من دور بين الزعماء على حد وصف كميل شمعون لدوره . وساعد
الإمام الصدر على دوره ما يطلق عليه بحزام الفقر حول العاصمة وهو حزام لبناني
وليس فلسطيني كما يتصور البعض خطأ . والمعروف أن الإمام الصدر إمام المحرّمين
الذي قضى عمره في إيران عاد منها إلى لبنان سنة ١٩٦٩ وهي بداية الصدام مع
الموارنة والفلسطينيين وترجع فور عودته على قبة الشيعة بسرعة مذهلة . ! - كما أن
كامل الأسعد رئيس مجلس النواب - عن الشيعة - كان قد أصدر بياناً في ٢٢ فبراير
سنة ٧٥٠ باسم حزبه « الديمقراطية الاشتراكي » يطالب فيه بتجميد العمل
الفدائسي في لبنان طالما استمرت جهود السلام . والمعروف أن الأسعد - الشيعي -
قطب في تحالف محور فرنجية - سلام . وعلاقته بإحدى دول البترول العربية الكبرى
في لعبة السلطة لبنان معروفة للجميع . وفي نفس الوقت قامت الكتائب بصدامات
مخفية مع المقاومة في أكثر من موقع من باب الإعداد النفسي ونظمت يوماً لنصرة
الجيش ثم ادعت أن هناك محاولة لختطف ابن بيير الجميل (أمين) .

فإذا أضيف إلى ذلك أن الأحداث الضخمة والإعدادات الهائلة كان يتم في ظل
حكومة رشيد الصلح التي كان يحكمها توازنات بالغة الحساسية والدقة مع ضعف
رشيد الصلح نفسه داخل موازين القوى العامة في السلطة (٨) . كما أن العامل
الأخر الذي ساعد على تهيئة الظروف هو تردد الزعامات التقليدية - الإسلامية - في
التصدي للكتائب وتغليبهم الاعتبارات الذاتية للإطاحة بحكومة الصلح على أي

هدف آخر. ووصل الأمر إلى حد استخدام مذكرة الجميل نفسها للتشهير بشخص رشيد الصلح .

وهكذا كان المسرح معدا والأطراف كلها مستعدة انتظارا لإشارة البداية التي انطلقت من صيدا ثم عين الرمانة . وبعدها بدأت الحرب وسباق لبنان المحموم مع الموت والذي امتص ١٩ شهرا من عمر لبنان بل والعرب ودفع ثمنه من أمل العرب في غد أكثر إشراقا وفي مستقبل أكثر تقدما وفي استقلال أكثر قوة وأعمق جذورا ، وخرجنا من السباق والوجوه البيضاء « المليحة » أقرب إلى القروء المسوخة والهجمات المرفوعة بالإعزاز انحنت خجلا ونجريا . صدقوني أن هذه ليست كلمات إنشائية خالية من المعنى بل هي محاولة لتصوير الواقع دون رتوش . وهذا الواقع كان من الصعب إيجاد الضيغة المناسبة لعرضه في صفحات كتاب لأنه يحتاج إلى مجلدات . وأى محاولة استعراض للخطوط العامة سوف تفقده الحياة ليصبح مثل الحقيقة مخلوق مشوه كره . ووجدت أن الأسلم الالتجاء إلى أسلوبين أن أقدم دراسة لشكل وطبيعة الحرب الأهلية من حيث الأسلوب والمنهج ثم دراسة لها من حيث التطور السياسى والاجتماعى - أى أن ضرورة ضخامة الأحداث فرضت الأسلوب المركب لتصوير الواقع على الورق .

فقد مرت الحرب الأهلية من حيث الأسلوب بمرحلتين بدأت بمرحلة حرب المدينة وانتهت بحرب الجبل وإن بقيت حرب المدينة مستمرة وإن كان الطابع الحاسم في المرحلة الثانية هو حرب الجبل . وقد ظهر بوضوح أثر ثورة النشر التي كانت بيروت تزعمها في العالم العربى حيث مئات الكتب تتسابق على إصدارها دور النشر ، ويكفى نظره على قائمة مطبوعات أى دار نشر لتجد عشرات الكتب عن شكل الحرب وطبيعتها في المدينة .. في الجبل .. في الغابة . فاستراتيجية الصراع موجودة في الشارع وتعرضها الصحف والمجلات . وبالتالي كان التطبيق عن دراية

وليس عفوياً . وكان لابد من هذه السطور توضيحاً للحقيقة لأن البعض في العالم العربي تصور أن المسألة مجرد نوع من الفوضى وإطلاق النار .

وبدأت الحرب في المدينة بعمليات خطف عشوائية ثم ارتبط الخطف برصاص القناصة الذين تبعثروا على أسطح البنايات العالية التي تتحكم في مداخل الطرق ثم أقيمت المتاريس في كل مكان من أكياس الرمل والأسلاك الشائكة . وفيبدو هذا العمل نوعاً من الممجية أو فوضى القتال ولكنه في الواقع من أهم مراحل حروب المدن وعلى وجه خاص الحروب الأهلية . فالخطف العشوائي هو أفضل السبل لإثارة الخوف بأن يصبح كل فرد مهما كانت سلبته أو بعده عن المشاركة في الأحداث عرضة للخطف . ثم إن انتشار الخطف يخلق الشك بين الناس فلم يعد أحد يستطيع الثقة في غيره ، إلا في دائرة العائلة التي تتسع لتشمل الحي ثم الطائفة . وهكذا يرتبط أمن الإنسان بالعائلة والحي والطائفة . وتنغلق الدائرة عليها بالمتاريس وحزام القنص . فالقنص هو أسلوب اغلاق الطرق والمناطق . والقنص ليس مجرد محترف قاتل بالأجر ولكنه جزء من استراتيجية حرب المدن بتحويل الأحياء إلى جهات قتال . وما إن يتحقق ذلك حتى تجرى عملية تطهير الحي من العناصر المعادية سواء كانت من الطائفة الأخرى أو من نفس الطائفة ولكنها ترفض الحرب بأسلوب للتعبير عن الخلاف في الرأي أو حتى المصلحة . فالتطهير يشمل كل رافض لمنهج القتل . وبمجرد أن يتم التطهير يوضع نظام لحكم المنطقة بقوة السلاح باعتباره لغة الحرب الوحيدة .

والواقع كشف أن الكتائب كانت أكثر الفقاء دقة في التنظيم والتنفيذ بحكم تنظيم الحزب الفاشي وحجم السلاح والشباب المدربين على حمل السلاح والذي تم إعداده من قبل . كما أن الحركة الوطنية اللبنانية لم تكن في حاجة إلى هذا الأسلوب النازي . فهي بحكم طبيعتها بعيدة عن الانغلاق ووضوح ذلك في بيروت

الغربية التي كانت تحت سيطرة الحركة الوطنية حيث لم يتعرض التجمع المسيحي الأرثوذكسي في حى السريان أو المزرعة للخطر باستثناء بعض الحوادث الفردية التي أمكن السيطرة عليها بينما وصل الأمر في مواقع جبهة لبنان (الجميل - شمعون - فرنجية) إلى حد تصفية الموارنة المعارضين جسدياً أو تهجيرهم من بيوتهم إن كانوا ينتمون إلى عائلات لها اسم وتاريخ . وقد سمعت عشرات القصص والتقيت بشباب ماروني لا يستطيع دخول بيروت الشرقية خوفاً من انتقام الكتائب . وما إن تم التقسيم الجغرافي حتى بدأت حرب « الأحياء » وخلالها ظهرت أكثر عناصر لبنان تعلموا وأكثرهم مالا والذين يملكون السلطان وأكثرهم أناقة في صورة بالغة التخلف والمهملية . وانتشرت جرائم لا تحظر على ذهن البشري في بلد كان موارنته يدعون أنهم أكثر أبناء المنطقة حضارة وتقدماً . فإذا بالقتل الجماعي على الهوية يصبح أسلوباً للحرب ، فرق من المسلحين تدخل المواقع العمل وطبقاً لبيانات تحقيق الشخصية تجمع الخصوم في الحجرات وتطلق عليهم النيران وسط توسلات زملائهم الذين أنقذتهم هويتهم بحكم الانتماء إلى هوية القاتل . اغتصاب فتيات بعنق زجاجات أو باطراف علب الصفيح للأغذية المحفوظة . تقطيع أجزاء من الأجساد ووضعها في أماكن أخرى من الجسد . جمع الجثث في بنيان جبلي والرقص إلى جوارها تعبيراً عن الفخر بضخامة عدد ضحايا الرافضين . قائد السيارة الذي يطلق الرصاص لإفساح الطريق لسيارته باعتبار أن الرصاص له أسهل من الضغط على « كلاكس » السيارة . الوقوف في الطرقات وتجريد المارين من ملابسهم ليصبحوا عرايا وعن طريق « عملية الطهارة » يمكن تمييز هوية الشخص وبالتالي قتله . وليس معنى ذلك أن هذه الحوادث كانت وقفاً على الانعزاليين ولكنها طبعاً شملت الجميع إلا أن حجم وبشاعة ما ارتكبه جانب الانعزاليين لا يمكن أن يقارن . بغيره بأي حال والسجلات موجودة في شهادات مسجلة للكثيرين يمكن الرجوع إليها . وطبقاً للواقع التاريخي فإن اليمين عادة وعبر التاريخ هو أكثر شراسة من أي

حركة وطنية لأن الحركات الوطنية ليست في حاجة إلى العنف للتعبير عن نفسها إلا في حالة الدفاع عن النفس والحركات الوطنية نادرا ما تلجأ إلى أسلوب الاغتيال إلا إذا تسللت إلى صفوفها عناصر نازية الطبع بينما الاغتيال هو طابع الأحزاب اليمينية وأسلوبها .

ويكفي حادث ما يعرف في لبنان « بالسبت الأسود » وهو يوم السبت ٦ ديسمبر ١٩٧٥ حين عثر على جثث أربعة قتلى في القنار قيل إنهم من مرافق بير الجميل زعيم الكتائب فقامت ميلشيا الحزب بإطلاق مقاتليها باتجاه ساحة الشهداء وباب إدريس قلب بيروت . وخطف العشرات وقتل معظمهم فوراً والآخر أسر ثم قطع على أبواب مقار الحزب . وقام المقاتلون من الكتائب عند حاجز المدفأ وأخذوا يطلقون النار على جوع عمال الرقأ و يلقون بجثثهم في البحر ووصل عدد الضحايا في هذا اليوم ١١٠ قتيل غير ٣٠٠ غطوف ، أما الجثث التي أُلقيت في البحر فلا أحد يعرف لها عددا . ولنا أن نتصور هذه المستيريا التي تقودها الكتائب ونظرة الاستعلاء إلى الآخرين فأربعة من مرافق بير الجميل يساون في عرف الكتائب التي وجدت المال والسلاح من العرب أكثر من ٥٠٠ إنسان على الأقل . وكان بينهم على الأقل ٣٠ عاملا مضربيا وقد ظهر بعد ذلك أن الكتائب كانت قد خطفت عددا من المصريين وقامت بتفيلهم بالسخرة وتحت التعذيب وضرب السياط ولم يستطيع أحد التدخل لإقناذهم أملا في عدم تصفيتهم جسديا .

وقد يتصور البعض أن الحرب بما عرف عن بشاعتها هي بهذا الشكل ولكن الواقع أن سجل الحروب الأهلية يخلو من مثل هذا الجنون والانحطاط البشري وخاصة أنها ليست حوادث فردية بل جرائم جماعية . وقد حاول البعض تفسير هذه الظاهرة بالتحليل النفسي بأن « هذا الرعب والملع من العرق (المسلم ، الفلسطيني ، اليساري) القادم لضرب الغلبة المارونية - يقود إلى هستيريا خوف

جماعية تؤدي بدورها إلى عدوانية من أجل تأكيد الذات . فهي تعبير عن خلجات الحشجة في الجسم الفاشي الذي يتعرض للانقراض و يعيد إلى الذاكرة الاضطهاد العثماني (١) . وهو تفسير لا يفتقر ، خاصة وأن أي حديث عن اضطهاد عثماني . يمكن أن يتحدث عنه العرب مسلمين ومسيحيين أرثوذكس أكثر مما يتحدث عنه الموارنة الذين كانوا في حماية فرنسا . ولا كان خطر التيار الوطني المعاصر يمثل خطر الإبادة للموارنة . فاليسار العربي في لبنان لم يكن يملك غير الكلمة مكتوبة أو منطوقة للتعبير عن نفسه والكلمة لا تبذل .

وقد أخذت حرب مرحلة الأحياء طابع القصف العشوائي حيث شهدت مدن لبنان تبادل قصف بأسلحة لم يسبق أن استخدمت في أي حرب أهلية داخل المدن مثل الصواريخ والمهاون والمدفعية الثقيلة وهو حسب نفس الدراسة السابقة « يشير إلى واقع يترسخ يوميا . فإغلاق المناطق يقود إلى محاولة كل منطقة تدمير عدوها فالإصرار على القصف العشوائي من قبل الأطراف المقاتلة وتعميمه الانعزالي يقود إلى التقسيم . وتعميم الكراهية والخوف إلى درجة مرتفعة جدا . أي وضع حدود نفسية بعد الحدود الفعلية . فالقصف العشوائي رعب دائم : وتعبير عن تعميم رفض الآخرين . و إيصال التقسيم الفعلي والنهائي » وهو أيضا ليس التفسير الحقيقي ولعل السبب الذي تقدمه هذه الدراسة هو الأقرب إلى التصديق بأن هذا القصف تعبير عن العجز عن الجسم الفعلي حيث يقود إلى حسم وهمي باعتبار أن القصف هو جسم وهمي وانتصار وهمي . فقصف تجمع سكاني يخلق قناعة بقتل عدد كبير من الفريق المعادي لكن الفريق الآخر يستطيع بالقصف أيضا قتل الطرف الأول . فالعجز لا يرى سوى خسائر الخصم وينسى خسائره فهي انتصارات وهمية أو هي على حد تعبير البعض « حرب الجبناء » (١٠) .

وفي المرحلة الثانية من الحرب أصبح الطابع الغالب عليها أنها حرب جبال وإن

كانت لم تفقد استمرار حرب المدينة . وخلال هذه المرحلة دارت معارك حقيقية . وكان أهم مآظهم في هذه المرحلة أن مواقع قوات الانزالين تساقطت بسرعة بعضها بعد مقاومة وبعضها الآخر كانت القوات المشتركة - الفلسطينية اللبنانية - تجد الطرق مفتوحة بدون مقاومة . والمعارك الحقيقية التي أعطت الحرب شراستها وحددت معالم مسارها فكانت في الأساس بين القوات السورية في جانب الانزالين والقوات المشتركة في الجانب الآخر . وطبقا للمفاهيم العسكرية شهدت هذه المرحلة معارك حقيقية . فإذا كتب تاريخ الحروب في المنطقة فسوف تكون علامة على طريق النضال الوطني وإذا كان سلوك القوات المشتركة هو سلوك « المحارب » بكل ماله من قيم وأخلاقيات بدت بوضوح حين كان النصر معها فإن القوات الانتمالية حاولت تدبير بعض هزائنها بآبادة نخيم قل الزعت تحت حماية القوات السورية . وقبله أبادت نخيم « نخيه » وهو النخيم المعروف بأغلبته المسيحية وذلك بعد ملحمة صمود اذهلت جميع الاطراف . وهي موضوع سوف نعود إليه مرة أخرى على أي الأحوال .

نعود بعد ذلك إلى النظر إلى أحداث الحرب من منظور آخر غير منهجية الحرب وأسلوبها إلى منظور سياسي واجتماعي . وهي أيضا قد مرت بمراحل أربع .

في المرحلة الأولى التي بدأت بحادث عين الرمانة ، وخلالها كان طابع القتال هو الخطف والقتل على الهوية والقصف العشوائي . كانت محاولة جادة من الكتائب وحليفها حزب الأحرار (الجنيل - شمعون) في حصر الصراع بين الفلسطينيين من جانب والموازنة بادعاء الحديث باسم كل لبنان على الجانب الآخر . ويرفع راية الطائفية ليدو الصراع « إسلامي - مسيحي » مع أن الموازنة ليسوا كل المسيحيين في لبنان . ورغم كل محاولات الكتائب والأحرار فإن الجهد فشلت في إخفاء الصراع الاجتماعي باعتباره أحد المحاور الأساسية للصراع .

وقد كان أكثر ما لفت الأنظار أن أول المواقع التي تعرضت للنهب والحريق في بيروت كانت أغنى محلات بيروت والتي كان من المستحيل على أغلبية الشعب اللبناني التعامل معها . فشهدت بيروت عمليات نسف وحريق في عدد من المواقع كانت كلها تؤكد حقيقة الصراع الطبقي في الحرب اللبنانية ثم بدأت عملية النهب وفي بدايتها كانت عمليات لما منطق . فهي محاولة الجماهير للحصول على مخزون من الأغذية والملابس ثم تحولت بعد ذلك إلى نهب بلا حساب . وحتى هذه الحقيقة كان وراءها طابع لبنانيان الاقتصادي اللبناني وهو الاقتصاد الوسيط حيث المكاسب غير المشروعة هي الأساس بدون إنتاج . وكانت عمليات النهب هي مجرد مشاركة جماهيرية في هذه الثروات . فهي في إطار قيم ومفاهيم المجتمع اللبناني تصبح مسألة عادية إلى أن دخلت فيها عصابات حاولت الاستفادة من الفوضى . وجاء خبراء في السرقة من العالم كله لنهب المال . وكانت أكبر العمليات التي جندت لها العصابات المنظمة في العالم هي سرقة البنك البريطاني في بيروت حيث خزان استحال فتحها دون خبراء تم استدعاؤهم لهذا الأمر . وكان أول من بدأ عمليات النهب في الجانب الاتعزالي هم الكتائب وفي جانب الحركة الوطنية كانت الصاعقة - السورية - على وجه خاص .

وبينما كان ذلك يجري في الشارع كان العمل السياسي مكثفا في القمة . فقد أقنعت الكتائب رئيس الجمهورية بنسف الحكومة وبينما كانت محاولات تشكيل حكومة جديدة تجري إذا بقاء بيار الجميل وشمعون وفرنجية يسفر عن مفاجأة هي الأولى في تاريخ لبنان وهي تشكيل حكومة عسكرية . وتم ذلك في إطار تصعيد لعمليات الكتائب العسكرية بتركيز هجومها على نخبة تل الزعتر والدكاكوه وطالبت بتصفية النخبة ونقله إلى مكان آخر حتى تصبح بيروت الشرقية خالصة تحت قيادتها . وفي هذا المناخ شكلت الحكومة العسكرية برئاسة العميد أول متقاعد تور الدين الرفاعي . وكان أهم شخصياتها ، بل والرئيس الفعلي لها هو

العميد الركن موسى كنعان مساعد رئيس الأركان والذي تولى منصب وزير الإعلام . وهو الضابط الذي يطلق عليه في لبنان « الضابط الأمريكي في الجيش اللبناني » ولم يؤيد الوزارة العسكرية في كل لبنان سوى كميل شمعون وبيير الجميل بل إن شمعون وجه الدعوة لدعم الحكومة العسكرية ومساعدتها إلا أن معارضة قيادات الحركة الوطنية كانت حاسمة إلى جانب معارضة القيادات الإسلامية التقليدية وهي التي عقدت اجتماعات في مقر مفتى لبنان وانتهت بتوجيه نداء إلى رئيس الحكومة العسكرية للاستقالة حفظا لجيش لبنان من الانقسام ودفاعا عن المقاومة والتقاليد الديمقراطية في لبنان . ولم يقف اجتماع الحركة الوطنية والقيادات الإسلامية عند حد رفض الحكومة العسكرية بل انتقل إلى اختيار رئيس للحكومة وهو رشيد كرامي . وبعد ثلاثة أيام فقط من تشكيل الحكومة العسكرية اضطرت في اليوم الرابع إلى الاستقالة واضطر فرنجية إلى تكليف رشيد كرامي بتشكيل الحكومة . وكانت أول مشاكلها هي مواجهة الإجماع على عدم اشتراك الكتائب في الحكم . وانتهت المشكلة باقتراح كرامي باستبعاد الكتائب وعدم دخول كمال جنبلاط . وهكذا انتهت هذه الجولة بهزيمة الكتائب وعدم تحقيق أى من أهدافها فلا هي استطاعت إخفاء حقيقة الصراع لاقتصادي والاجتماعي ولا هي جعلت الصراع طائفيًا . وكان موقف منظمة التحرير مركزا في عدم السماح للكتائب بتصعيد الأزمة والعمل بسرعة على تهدئة الموقف وفي نفس الوقت محاولة عزل الكتائب ، وذلك بنشاط واسع بين كل فئات المجتمع اللبناني لوضع موقف الكتائب وأمام الجميع بوضوح . وكان من بين العوامل التي ساعدت على هزيمة الكتائب في هذه الجولة هي بروز تيار مسيحي معارض يقوده في الجانب الديني بطريرك الأرثوذكس الياس الرابع والمطران حنا وفي الجانب السياسي رمون إده وهنرى فرعون . وهكذا خرجت القوى الوطنية أكثر تلاحما مع الثورة الفلسطينية واستطاعت أن تحقق نصرا عمدا بفرض شيخ

رئيس الحكومة وإن كان جنبلاط قد استبعد من حكومته فهو تعبير عن حجم الخطوات التي أمكن تحقيقها في مواجهة التراجع الكتائبي . كما أن جنبلاط كان زعيم الحركة الوطنية بلا منازع . وقام ببلورة موقفها في ٢٤ يونيو في خطة من ١٤ نقطة وصفها بأنها قادرة على تحقيق المصالحة بين الأطراف المتنازعة . كما خرج ياسر عرفات ببيان في اليوم التالي يؤكد بوضوح موقف الثورة الفلسطينية من أنها ليست فئة في الصراع اللبناني . وهي لا تريد أن تكون فئة أوطانفة في الأزمة لأن استقرار لبنان هو استقرار للثورة . وحدد العلاقات اللبنانية الفلسطينية على أساس إحترام الثورة لسيادة لبنان ، وأقرار لبنان بحق الثورة في التواجد على أرضه ضمن الاتفاقات .

وأمام إدراك الجميل وشمعون لاستحالة تحقيق كسب في مثل هذا المناخ أعلن كل منها تأييده لبيان عرفات الذي استقبل بترحيب من كل أطراف المجتمع اللبناني ووجدتها الكتائب فرصة لمحاولة الخروج من العزلة وفي نفس الوقت أملا في كسر التحالف بين الحركة الوطنية اللبنانية والثورة الفلسطينية . فأعلن بيير الجميل أن بيان عرفات عاقل و يصلح أن يكون ميثاقا . وأعلن جوزيف شادر منظر حزب الكتائب أنه بيان ممتاز ورضين . واتجهت حملة الإعلام الكتائبية إلى أن المشكلة في الأساس ليست مع الثورة الفلسطينية ولكنها مع اليسار الدولي . وكانت الكتائب تحاول تحييد قيادة الثورة الفلسطينية وفي نفس الوقت كانت تعيد تنظيم مواقعها وتدرّب كوادرها واستيراد المزيد من السلاح واستدعاء عدد من المدربين المرتزقة . وكان كل تكتيك الكتائب هو كسب الوقت إذ كانت قيادتها تراهن على اجتماعات صدام منظر بين مصر ومنظمة التحرير مع قرب توقيع اتفاقية سيناء . وانتظارا لهذا اليوم استمرت المناوشات والصدامات وخلّاهما نجحت الكتائب في إدخال قوى جديدة في الحرب إلى جانبها مع الأحرار وهي قوى تجمع زحله وجيش زغرته الذي يقوده طوني فرنجية ابن سليمان فرنجية . وكانت النتيجة أن رقعة

الاشتباكات قد اتسعت لتغطي نحو نصف مساحة لبنان وبدأت معالم تقسيم فعلي تتم بشكل واضح وهي مطلق عليها « قبرصة » لبنان . إذ بدأت نتيجة عمليات التطهير للمواقع التي يتم السيطرة عليها بدأت هجرة متبادلة . تيار إسلامي يتجه إلى مواقع الغلبة فيها للمسلمين وتيار مسيحي يتجه إلى مواقع الغلبة فيها للمسيحيين وإن كانت قد بقيت مناطق أخرى بعيدة عن احتمالات الصدام والتعايش فيها لا يوجد الخطر وما أن وقع الحدث الذي كانت تنتظره جبهة لبنان وهو الخلاف المصري الفلسطيني بمجرد توقيع اتفاقية سيناء في أول سبتمبر حتى بدأت من جديد تصعيد عملياتها ومحاولة شد الثورة الفلسطينية إلى دائرة الصراع ، وفي نفس الوقت طرح شعارات التقسيم أو قبرصة لبنان كما كان الكل يطلق عليها . وقد ظهر أثر ذلك كله في هيئة الحوار التي عقدت أول إجتماعاتها في ٢٥ سبتمبر ولكن الكتاب بعد أيام وبالتحديد في آخر سبتمبر نسفت المحاولة الجادة للخروج من الأزمة بالقيام بمذبحة جديدة في عين الرمانة أيضا . وكان عين الرمانة هي دائما نقطة الإنطلاق للكتائب لكل مرحلة جديدة في استمرار إشعال الحرب إذ بدأت المرحلة الثانية بامتداد القتال في الشمال وفي البقاع وكان هدف الجبهة الانعزالية هو (١١) استنزاف قوى الثورة الفلسطينية ، خاصة وأنها الدعامة الأساسية للحركة الوطنية في لبنان وفي نفس الوقت محاولة إثارة الفرقة بين التنظيمات الفلسطينية بطرح شعارات الفدائي المنضبط والفدائي غير المنضبط . وقد قال لي أحد رؤساء وزارات لبنان . إن حصرا قد تم لحوادث الفلسطينيين في لبنان وحوادث اللبنانيين في خلال أشهر ستة فوجد أن حوادث اللبنانيين أضعاف ما ارتكبه الفلسطينيون . فهي ظاهرة طبيعية في كل مجتمع والفدائيون ليسوا ملائكة فهم منا » كما كان أمل الجبهة الانعزالية هو استغلال طبيعة الاختلاف بين قيادة الحركة الوطنية والقيادات التقليدية الإسلامية وفي نفس الوقت تصعيد عمليات قصف مواقع القوى الوطنية في الأحياء المكتظة بالسكان أملا في إثارتهم ضد العناصر المسلحة وإلى جانب ذلك

كله تصعيد أعمال العنف الإجرامى من حرق إلى قتل ونهب وخاصة في الحى التجارى ببيروت .

وعندت الكتائب في مواجهة ذلك كله على تمر يك عقدة الخوف عند المسيحيين . وهى المهمة التى تولت جماعة الكليسيك تعميقها بكراسات لاثمّل التوقيع لتكون بصيغة منشورات الكل يعرف مصدرها ولكن لأحد يتحدث عنها . وكذلك العمل على احتواء وتطويق القوى المسيحية التى ترفض منهج المقاتلين وذلك ١٠١ بإسكاتهم بالإرهاب أو قبول الحياد أو الخروج من مواقعهم .

وإنصافا لأغلبية الشعب اللبناني فلا بد من ذكر عدد من الحقائق عن هذه المرحلة :

- ١ - أن المسيحيين بشكل عام كانوا غير مؤيدين لضرب مناطق المسلمين والعكس صحيح . وقد كشف كمال جنبلاط هذه الحقيقة في الجلسة الرابعة لهيئة الحوار الوطني فقال إن أهل الاشرفية والدكوانه لا يريدون مقاتلة المسلمين ، ولكن البعض يجلب مسلحين لمقاتلة المسلمين من احيائهم (١٢) .
- ٢ - أن حوادث المذابح تكشف عن حقيقة أن الجوهر ليس الدين . ولكنه سياسة فقد ذكر ريمون اده في الجلسة الثانية للجنة الإصلاح السياسى التابعة لهيئة الحوار أن الكتائب قامت بقتل فلسطينى مسيحى مارونى . وقدم الاسماء والوقائع ، وبعد ذلك قادت الكتائب بأكثر من عملية ذبح ضد المسيحيين والفلسطينيين وبينهم عدد من الموارنة .

وقد عبر عن هذه الحقيقة ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في اجتماعه مع سليمان فرنجية رئيس الجمهورية فقال « إننا فوجئنا بهذا التعصب الموجود في هذا البلد . فليس عندنا في فلسطين مسيحى ومسلم . ونحن لسنا مع المسلمين ضد المسيحيين ولا مع المسيحيين ضد المسلمين (١٣) .

٣- أن كلمات البطريرك خريش بطريك الموارنة جاسمة فهو يقول « أنا بطرك . أنا لست رئيس حزب أو ميليشيا » (١٤) ، وهو ما يعني باختصار أن دور شربل قسيس بجماعته هو دور بعيد عن دور- الكنيسة ولا تتحمل هي مسؤولياته .

٤- أن لبنان غير متدين . وقد زرت لبنان أكثر من مرة فلم أرى مسيحي يذهب إلى كنيسة ولا مسلماً يذهب إلى جامع . فهو شعب يعيش الحياة ويتذوق متع الدنيا والدين بالنسبة له مجرد اسم . ويكفي أن أقول إن مسألة زواج المسيحية من المسلم في لبنان مسألة عادية للغاية وأيضاً مسألة زواج المسلمة من المسيحي حتى رغم رأى الشرع هي مسألة عادية . ويكفي أن كثيراً من القيادات الإسلامية في لبنان تزوجت بناتهم من مسيحيين دون أن تقوم الدنيا أو تقع كارثة ، بل ولا حتى كلمة اعتراض . فالزواج يتم في قبرص ثم يسجل في لبنان والقانون يعترف به في لبنان طبعاً .

وهذه الحقائق تعرفها الكتاب جيداً ولذلك جندت كل إمكانياتها حتى يبدو العكس ، فعلاً كان الطابع المميز لهذه المرحلة من الحرب هو طغيان اللون الطائفي على كل أشكال الصراع الأخرى دون أن ينجني صور الصراع الأخرى وزعم أن القوى الانعزالية كانت تصر على إبقاء الطابع الفلسطيني اللبناني مستمراً إلا أن جوهر سلوكها كان يعكس حقيقة الأزمة اللبنانية فقيام قوات الجبهة بإبادة مخيم خبيبة ثم نسف منطقة المسلخ والكرنيتا كان تعبيراً حقيقياً عن صراع الأغنياء والفقراء فهذه المناطق هي من أملاك رهبانيات شربل قسيس . وقد ارتفعت قيمتها بحكم حركة العمران حتى أصبح ثمن المتر من الأرض خمسين ضعفاً في خلال عشرة أعوام فقط .

فالمسألة في الأساس اقتصادية قبل أن تكون أي شيء آخر . وقد ردت القوات

المشتركة اللبنانية - الفلسطينية بدخول قلاع حزب الأحرار في الدامور والسعديات وحوصر كميل شمعون وتم إنقاذه بطائرة هليكوبتر سمحت لها القوات المشتركة بأخذه وكانت حياته ملك إرادة الحركة الوطنية .

وهكذا رغم كل ما فعلته الجبهة اللبنانية بقيادة الكتائب فإنها لم تستطع أن تحقق انتصارا سواء على الساحة العسكرية أو في المجال السياسي . ففي المجال العسكري رغم المساعدات والمرزقة والسلاح فإنها لم تستطع إجراء تغيير في توازن القوى لصالحها . فقد ظهر أن الوزن القتالي لقوى الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية أكبر من تقديرات خبراء الكتائب الأجانب وفي المجال السياسي أيضا رغم أن الكتائب حشدت الشارع الماروني بوجه خاص والمسيحي بوجه عام في الحركة إلا أن قرب انتخابات رئاسية الجمهورية جعلت كثير من القيادات تنصرف وفق حساباتها لخوض انتخابات الرئاسة . كما أن دور بطريرك الكنيسة الكاثوليكية وطريرك الكنيسة الأرثوذكسية أفقد الكتائب كثير من القدرة على فرض إرادتها على الجميع . حتى الموقف العرقي المتناقض الذي كان أمل الانعزالين في الاستفادة منه كبرا ظهر أن حجم التناقضات وتشعبها مع عدم وجود خط سياسي واحد مما يجعل الاعتماد على ذلك والاستفادة منه أمرا محدودا وغير مضمون .

وهكذا انتهت المرحلة الثانية من القتال بهزيمة مخططات جبهة لبنان مرة أخرى . ولم تستطع أن تفعل شيئا سوى القتل والتدمير . وهو يحسب في النهاية عليها وليس لها باعتبار أن دعائمها في الأساس هي الطبقة التي خربت مصالحها ودمرت شركاتها .

وبدأت المرحلة الثالثة مع بداية العام الجديد - ١٩٧٦ - وهي المرحلة التي عرفت بحرب الثكنات حيث كانت مظاهر الانحلال والتفكك قد امتدت إلى كل أجهزة الدولة حتى وصلت إلى الجيش . وكانت كل آمال جبهة لبنان قد انعقدت

على إنزال الجيش اللبناني لحسم الصراع لصالحها أو على الأقل لمنع هزيمتها واستخدمت في ذلك التهديد بالتقسيم أو التدويل ، خاصة وأن محاولات الإصلاح السياسي أقرزت مشروعا عرف «بالوثيقة الدستورية» في الوقت الذي كانت قد تبلورت فيه ظاهرة أحمـد الخطيب على رأس جيش لبنان العربي وأصبحت جاذبة لعناصر كثيرة من جيش لبنان . وكانت النتيجة أن أخذت ثكنات الجيش تسقط الواحدة وراء الأخرى بانضمام ضباطها وجنودها إلى جيش لبنان العربي . وبعد أن كانت ظاهرة أحمـد الخطيب تعالج على أنها عصيان لضابط مع عدد من الجنود أصبحت خطأ سياسيا له دور وتأثير على مجرى الأحداث وأصبحت لبنان بدون جيش يسمى حقيقى .. وتوج ذلك كله بسلسلة من انقلابات بدأت بانقلاب العميد عزيز الاحـدب في ١١ مارس . وضاع أمل جبهة لبنان في أن ينقذ مصيرها عن طريق أى قوة داخل إطار القوى اللبنانية . واستمرت ظاهرة انكسار قوات الجبهة وكانت قوات حزب الأحرار قد انهارت مواقعها . وفرت قوات حراس الأرض وتبعثرت ولم يبق سوى مواقع الكتائب التي أصبحت تواجه احتمال نفس المصير . وخاصة بعد هزائمها في بيروت بسقوط أكبر مراكز الجبهة اللبنانية وهي فندقا هيلتون والهوليداي . ولم يبق سوى مـقر قيادة الكتائب .

وأصبحت لغة الجبهة اللبنانية هي قبول الإصلاح السياسي وتعديل صيغة الحكم في لبنان وبدأت تناقش إمكانية تطبيق الوثيقة الدستورية لولا التناقضات العربية التي لعبت دورا خطيرا في هذا الوقت باعتبار أن سوريا كانت صاحبة الدور الأول في الوصول إلى صيغة هذه الوثيقة . وهو دور لم يكن مقبولا في عواصم عربية أن يعطى الفضل فيه إلى سوريا . وفجلا سقطت الوثيقة بدورها في بئر الصراع والتناقضات .

ومع شهر إبريل بدأت المرحلة الرابعة والأخيرة حيث انقلب توازن القوى

ونخط الصراع بدون منطق . إذ الجانب المنتصر سياسيا وعسكريا فقد معظم مآلديه من مكاسب والجانب الذي انكسرت قواه على الساحة أصبح صوته أعلى وقدرته على المساومة أكبر . وكانت القوة التي غيرت الموقف هي دخول الجيش السوري تحت دعوى منع الانتقام وإن كان في مسيرته والخط الذي اخترقه والمعارك التي خاضها أكد حقيقة دوره في أنه دخل لدعم قوى جبهة لبنان والقضاء على كل ما كسبته القوات المشتركة (الفلسطينية اللبنانية) على الساحة حتى تعود قاعدة لاغالب ولا مغلوب وإن كانت حقيقة مافعله القوات السورية هو أن جعلت القوات المشتركة « مغلوبة » مع أنها لم تهزم في المعارك مع الجبهة . ودخلت القوات المشتركة في معارك بالجبل سوف تبقى في سجل المعارك في المنطقة ملحمة صراع وصمود . وذروتها معركة بعمدون التي أوقفت الغزو السوري للبنان أمام القوات المشتركة . وفي ظل الزحف السوري انتعشت قوى الجبهة وقامت بعمليات كانت في الأساس تهدف إلى تغطية هزيمتها لتبدو وكأنها قوة مازالت لها فاعلية . وهكذا حوَصر مخيم تل الزعتر تحت مظلة سورية من ٢٢ يونيو حتى ١٢ أغسطس أي ٥٢ يوما رغم نفاذ الذخيرة والتموين والادوية والماء وصد مايز يد عن ٧٢ هجوما بالمدرعات والمدفعية وسقطت على أركانها مايز يد عن عشرة آلاف قذيفة .

وقد لخصت معارك بل ملحمة تل الزعتر كل أهداف الحرب اللبنانية من جانبها الاقتصادي حيث تعود الأرض إلى ملكية رهبانيات شربل قيس إلى جانب بروز الهدف من الصدام مع المقاومة الفلسطينية . والأهم من ذلك كله أن انكشفت أدوار القوى الداخلية واتضحت المواقف العربية وتشابكت الخطوط وتناقضت المواقف . فالذين يرفعون راية النضال العربي ويدعمون الحركة الوطنية أصبحوا دعامة الموارنة وفي خندق واحد معهم ومع إسرائيل والولايات المتحدة وسواء كان خطأ في الحساب أو أدراك للدور ووفاء بالتزامات وعد بها فالنتيجة واحدة أن الخندق جمع الأطراف الحقيقية معا . والدول التي كانت مع الكتائب أصبحت

تصرخ بأعلى صوت دفاعا عن الحركة الوطنية وإتهاما للكثائب بالعمالة والتآمر. وأصبحت صورة مأساة عربية لكل مدلولات تعبير «المأساة».

وكان في نظر كثير من العواصم عدم ترك الانفراد السوري وحده في الميدان ولا بد من تحديد دوره أو تحجيمه هو دافع البحث عن نهاية وإنتهت الأمور بضرورة الالتقاء وإنهاء الحرب التي طالَّت ١٩ شهرا.

وقد انتهت الاتصالات العربية بعقد مؤتمر القمة السداسي في الرياض في ١٦ أكتوبر من السعودية ومصر وسوريا والكويت ولبنان ومنظمة التحرير ليعلن انتهاء الحرب وتشكيل قوات ردع عربية أغلبيتها قوات سورية دون أن يتعرض المؤتمر لصلب قضية لبنان التي بقيت معلقة على قوهات مدرعات قوات الردع العربية، وكان حربا لم تقع وكان آلاف الشهداء لم يسقطوا ضحايا المذبحة وباختصار كان شيئا لم يكن.

هذه هي رحلة لبنان مع سباق الموت. وهي ليست التفاصيل الكاملة للرحلة ولكنها مجرد لمحات لمسحنات السباق أملا في إنعاش الذاكرة وتسجيل قدر من الحقائق بما يسمح لمعالجة القضايا الأساسية التي دار الصراع حولها وتحديد مواقف كل الأطراف منها.

هوامش الفصل الخامس

- (١) - صحف لبنان في ٢٩ / ٨ / ١٩٧٧.
- (٢) - في ٨ مارس.
- (٣) - نص الرسالة في الكتاب الأبيض اللبناني. ١٩٧٦. ص ٩.

- (٤) يوميات الحرب اللبنانية ج ١ . منظمة التحرير . ص ١٠٣
- (٥) في القضية اللبنانية . منشورات دار العجل ص ١٢٠ - ١٢١ .
- (٦) الواقع اللبناني وموقف الرهبان . منشورات الأمانة العامة لؤتمر الرؤساء العاملين للرهبانيات اللبنانية . ص ١٠
- (٧) كلود دو با . الصدمات الطائفية والصراعات الطبقية : مجلة النقد الجديد . عدد ٩٢ مارس سنة ٧٦ . ونشرت ترجمة مجلة الطريق اللبنانية في العدد رقم ١ .
- (٨) نواف عبد الله . حول الأزمة اللبنانية . شؤون فلسطينية عدد ٥٦ .
- (٩) إلياس خوري - التعبير في الحرب الأهلية . شؤون فلسطينية عدد ٦١ ص ٨٤ .
- (١٠) إلياس خوري - المرجع السابق ص ٨٤ .
- (١١) نواف عبد الله . حول الأزمة اللبنانية . شؤون فلسطينية عدد ٥٧ .
- (١٢) محاضر هيئة الحوار الوطني . الجلسة الرابعة في ٢ أكتوبر سنة ١٩٧٥ .
- (١٣) مجلّس الاجتماع في ٢٣ يونيو سنة ١٩٧٥ ص ٢ .
- (١٤) مجلة الصياد في ١٧ مارس ١٩٧٧ .

الفصل السادس

حوار الطريشان

دارت حرب لبنان طوال أشهرها التسعة عشر حول محور أساسي هو تصفية الوجود الفلسطيني على أرض الموارنة «لبنان». وكانت المذابح تجري طوال الوقت تحت شعارات متعددة. تنوعت ابتداء من التقسيم إلى الإصلاح السياسي. وتغيرت من محاولة استخدام الجيش لحساب طائفة إلى محاولة توجيه الأحداث من خلال كرسي الرئاسة وعلى وجه التحديد معركة انتخابات الرئيس للسنوات الست القادمة. وباعتبارها قضايا سوف تستمر إلى سنوات بعد توقف العمليات العسكرية فإنه من الضروري محاولة تحديد مواقف كل طرف منها.

— ١ —

أثيرت قضية التقسيم بصورة متعددة دون تحديد لسماتها الأساسية. وإن أبرز

ما يجب تسجيله أنها بقيت طوال الوقت محصورة في إطار الجبهة اللبنانية وحدها بينما كانت الحركة الوطنية تحارب ضد التقسيم.

وكان أكثرنا يلفت النظر أن الذين رفعوا شعار التقسيم لم يكن بينهم واحد يدافع عنه علنا. فخلال مقابلاتي مع قيادات الجبهة لم أسمع واحدا منهم يقول بصراحة نعم للتقسيم. وكان الجميع يحاولون الالتفاف حول الشعار والاعتماد على الأمر الواقع. وكان كميل شمعون أكثرهم صراحة فقد جاء في إجاباته أن التقسيم مستحيل لأسباب اقتصادية. فالشركات وخاصة الكبرى التي تمسك خيوط الاقتصاد اللبناني شركات مشتركة بين المسلمين والمسيحيين على حد تعبيره أو موارد الطرفين على حد تعبير قيادات الحركة الوطنية والتقسيم يعنى إفلاس بعضها وانهيار بعض آخر فالمسألة ليست قطعة جبن يمكن تقطيعها بل اقتصاد تمت عملية بنائه على مدى ثلاثين عاما. وكان الانطباع الذي خرجت به من مناقشة قيادات الجبهة هو أن قضية التقسيم أقرب أن تكون سلاح ضغط منها هدف باستثناء شخص واحد هو شربل قسيس رئيس الرهبانيات الذي يدعوا إلى فكرة الاستقلال الذاتي أو الاتحاد الفيدرالي. وبشير الجميل المطامع في وراثة لبنان الماروني.

والأهم من كل التصريحات سواء كانت صريحة أو متخفية وراء غموض الكلمات هو أن الجبهة كانت تعمل في الواقع وفق خطة عملية للتقسيم حيث كانت في كل مراحل الحرب تحاول أن يكون لها منطقة متكاملة تسيطر عليها رسميا وليس فيها جيوب، وأصبحت جوفية عاصمة الدولة التي لم تعلن رسميا ولها بنية سياسية وإدارية. فرئيسها كميل شمعون وقائد جيشها بشير الجميل ولها مدير مخابرات ومدير أمن إلى جانب كل مناصب الإدارة الأخرى وعلى قمتها مجلس رياسة أو مجلس وزراء من أقطاب الجبهة شمعون - بشير الجميل - سليمان فرنجية - شربل قسيس .. وهي دولة في منطقة مسيحية يديرها ويرأسها الموارنة. وتم عمل

مطار خاص بها للإستغناء عن مطار بيروت إلا إذا كان لتهريب الحشيش بأمان...!

ويمكن أن تتضح منطلقات هذه الدولة في مذكرة الجبهة اللبنانية التي أرسلت إلى كثير من الشخصيات السياسية في دول الغرب ونشرت أخيراً في الكتاب الشهري للكتائب « العمل » وجاء فيها أن ما كان يراد بلبنان هو قطعة عن تراثه التاريخي المتواصل بصورة تعفوية أي قطع لبنان الماروني عن جذوره في الحروب الصليبية. كما كان يراد قطع لبنان المقيم عن لبنان ما وراء البحار أي أن يفقد الموارنة دعوى الأغلبية العددية إذ أن معظم المهاجرين من الموارنة وقد اندمجوا في مجتمعاتهم الجديدة وحصلوا على جنسياتهم وقيادة الجبهة لا تريد منهم العودة أو حتى المال هي فقط تريدهم عدداً وإلا أصبح الأرثوذكس أكبر منهم والسنّة أكبر والشيعّة أكبر الكل عدداً. ويضيف كتاب الكتائب الشهري إلى ذلك أنه أريد قطع اللبنانيين- الموارنة طبعاً- عن جذورهم في التراث الغربي المتراكم الكثيف الذي تغافلوا معه عبر التاريخ والذي أعطوه الكثير وأخذوا منه الكثير وأخطر كلمات هذه الرسالة ما انتهت إليه وهو أنه من البديهي إذ نفذت هذه الأهداف الثلاثة أو واحد منها « تكون قد دكت كل أو بعض ما يميز لبنان فيتساوى آنذاك والعالم المحيط به. ويظل النفع من وجوده، فيبطل الخير المرجحي لذاته وللعالَم ».

وواضح مدى الاستعلاء وعدم الانتماء الذي يشعر به قادة الجبهة حلفاء عدد من الحكومات العربية فهم يخافون أن يتحدرهم الأمر إلى درجة التساوى مع العرب ثم إنه إذا تحقق يبطل في نظرهم النفع من وجود لبنان الماروني.. فهل حاول أحد من الذين ساندوا الجبهة من العرب أن يعرف ما هو هذا النفع للغرب فالرسالة موجهة إلى قيادات العالم الغربي أساساً عن وجود لبنان الماروني...!

والهم أن الدولة التي تكونت عملياً هي ليست عربية اعتماداً على خطأ بشع

وهو تصور أن العروبة هي الإسلام. وأن لهذه الدولة دورا محمدا في المنطقة تحققة
لحساب العالم الطامع في السيطرة على هذه المنطقة.

والسألة ليست سياسية ودور للموارنة مطروح بل نظرة إلى المحيط العربي
لا تختلف كثيرا عن نظرة الحملة الصليبية رغم مرور مئات السنين. وقد عملت
جماعة شربل قسيس على تعميق التقسيم في نفوس المسيحيين بشكل خطير. ففي
كراسات جماعة الكسليك والتي قال لي عميد الكلية الفنون وهو راهب لقد فضلنا
إصدار الكراسيات دون توقيع أو شعار الرهبان وفي الكراسة أو المنشور الأول تحذر
المسيحي وتثير خوفه من العرب المسلمين لأنه «في دار الإسلام هو كافر وعدو الله.
له أن يعيش شرط أن يعيش ذليلا. فإذا ساد الإسلام فسوف يكون حال الموارنة
من أهل الذمة أي ليس لهم أن يأتوا الكنيسة مجتمعين بل عليهم أن يتسللوا لو إذا
أي مستترين. كما أن المسلم لا يداهم بالسلام عملا بالحديث النبوي القائل
لا تبدأ اليهود والنصارى بالسلام. وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى
أضيقة. ذلك لأن عقد الذمة اقتضى أن يكونوا تحت الذلة والقهر.. وإذا كانت
والكلام مازال لجماعة شربل قسيس- في وحدة التاريخ. فتاريخ العرب هو
تاريخ المسلمين، أي تاريخ قهر النصارى وتحويلهم إلى ذمة أذلاء. وإن كانت
في وحدة التراث فالتراث إسلامي حتى مطلع النهضة وليس للنصارى فيه إلا اليسر
اليسير. وإن كانت في وحدة اللغة فقد حرم على النصارى في الماضي تعلمها ومازال
حتى اليوم ينكر عليهم حق تعليمها في المدارس الابتدائية».

هل يبيكم من يصدق أن بيننا يعيش أناس هذه أفكارهم وهذه دعاياتهم ومع
ذلك فحسب كلام شربل قسيس أنه وجد الدعم والمساعدة المالية والسلاح من
العرب لمواجهة المسلمين الذين أصبحوا إما شيوعيين أو تحت سيطرة الشيوعيين..!
الأبعد من ذلك هو الادعاء أنه للموارنة قومية خاصة بهم وتحافظ عن القومية

العربية طبعاً بل وتتناقض معها و بالتالى فهي أيديولوجية التمييز عن الذات في عملية تفتيت لبنان أو تقيسه وفي دراسة قامت بها جماعة الكسليك تقول المحاضرة الأولى منها أن دعوتنا لقومية لبنانية ترجع لأن « هناك إقلياً تفرد منذ القديم بخصائص جعلت منه وطناً مميزاً وشعباً له ذاتيته الخاصة .. فالأمر الأكبر هو هذه المنطقة - لبنان - هي من أقدم مواطن البشر . وأن التقاليد الفينيقية القديمة ترجع أصل مدنها الساحلية كجبيل و بيروت وصيداء وصور إلى الآلهة . إن موقع لبنان الجغرافي على مفترق طرق بين الشرق والغرب يربط بين قارات - ! - حيث تنصهر الحضارات وتتلاقى المعتقدات جعله مميزاً عن سائر البلدان وأسهم كثيراً في تكوين دوره التاريخي الخاص الذى طبع الحضارة المتوسطة والانسانية بطابعه الشخصي .. ! » (١)

لقد اتصف هذا الشعب منذ القدم بالصمود في وجه كل فاتح - وبتمتعه بالاستقلال الجزئى أو الكامل خلال العصور . فهو واثق من مصيره « نزاع دوماً إلى إثبات شخصيته » .

أما المحاضرة الثانية في الدراسة الرهبانية فيلسوف القومية اللبنانية « المارونية » كمال يوسف الحاج ويقول « إن هناك برهاناً على أن القومية اللبنانية هي وحدها الموجودة في لبنان فعلاً وقانوناً . وسواها غير موجود في لبنان لا بالفعل ولا بالقانون . وإلى هنا والكلام إقرار بحقيقة يراها الفيلسوف . أما البرهان عليها فهو « مما لا شك فيه أن حقيقة الشيء ، مطلق الشيء موجودة في هوية هذا الشيء . والهوية جوهر مضمون وشكل ضامن هي جوهر يحتوى الشيء عليه في الداخل ، وهى شكل يحتوى الشيء عليه في الخارج . الجوهر باطن ، الشكل ظاهر . بالشكل يدرك الشيء حوائص الإنسان ليصبح معرفة ، إذ العارف هو الإنسان ، الذى لا يستطيع أن يعرف الشيء ، إذا كان هذا الشيء لا يدرك بشكله الخارجى حواس الانسان .

لامعرفة من قبلنا للمضمون في الداخل يدون الضامن في الخارج لذا لا باطن في الداخل بدون ظاهر في الخارج ... أى لا جوهر في الداخل بدون شكل في الخارج . تلك هى الجذلية التى تعنى أيضا أنه لا شكل لجوهر بدون اسم يعبر عن هذا الجوهر « هذا هو برهان القومية ... فهل فهم أحد شيئا مع أننى لم ألعب في الألفاظ ولا غيرت من مواقع الكلمات فهى سطور عربية اللغة تعبر أن للبنان المارونى قومية خاصة !

ومعشاعن المجهول وجدت في المحاضرة الخامسة تفسيرا للقومية وذاتية لبنان ونصها هى الأخرى حرفيا « خزائن العلم في العالم كنوزها في لبنان . متاحف العلم في العالم . كنوزها من لبنان . متاحف الحضارات ، أورشق قصصها من لبنان . لغات الأمم أجمل حروفها من لبنان . نيرات الحق تحت إبرته أحداق من لبنان . قواس العدالة زرعت خشبة أيد من لبنان طلبسانات المحاماه نتجت للعالم أنوال من لبنان ، غرائب الدنيا السبع أسطورتها الكبرى في لبنان . شجرة الخلود انتقت لكتناها البرمدى قة من لبنان . طفل الألوهة تعمد في ماء من لبنان وعندما ضجر من الهيكل الذى جعلوه مغارة ، استراح على أرض لبنان .. أتترى آدم هل هجر الجنة إلا كرمى لك يالبنان ؟ » .. برجاء الا يسخر أحد منى فهذه هى حرفة ماسجلته سطور الكتاب . وقد حذرفى أحد المراسلين الأجانب في لبنان أنه حين أشار تلميحا إلى فكر هؤلاء القوم لم يصدق أحد ولكننى قلت سوف أجرب حظى ومعه سوف أعود بنسخ من هذه الكتب التى يكاد يصعب الآن الحصول عليها وجدت هذه المدرسة شخصية مارونية هى الأب يوسف ضولعمل تاريخ للموارنة نشره في ثلاثة مجلدات ، لعلها تجد يوما مؤرخا جادا يقرأ صفحاتها الغربية والتي جعلت عمر بن الخطاب يعقد حلقا مع الموارنة قبل أن يوجد الموارنة . لكنها هكذا في رأيهم قصص التاريخ تروى حسب هواهم . والكل كان يستمع من لبنان على أنها صفحات من كتب ضاحكة إلى أن فوجئ الكل ، فإن ما لا يصدق يراد به أن

يتحول إلى واقع . وهنا لابد أن أروى قصة سمعتها من شابة لبنانية مارونية . كانت تتحدث عن مأساة عمرها قالت « كنت وأنا طفلة ندعوى الزاهبات مع زميلاتي الأطفال في المدرسة إلى دعاء في لحظات الخطر هو استدعاء للإله على غير الموارنة بل كانوا يقولون لنا لا تخافوا . فإن جاء مكرهه فسوف يذهب إلى غيركم لأنكم شعب الله . وكدت لا اصدقها لولا أنني أعدت القصة على مسامع كثير من المثقفين من الموارنة فأكدوا لي أنهم كانوا يتعلمون وهم صغار نفس الأفكار »

وهكذا يتضح أن الموارنة كانوا ينسعون إلى تقسيم فعل قبل أن يرفع أحدهم علنا شعار التقسيم الرسمي . أو هناء على الأقل يخلقون مجتمعا شبه مغلق عما حوله بقيود نفسية واجتماعية وهي قرية الشبه بفكرة الجيتو» الصهيونية .

وقد خرجت من المناقشات العديدة مع كل الأطراف إلى أن فكرة إعلان مارونية أو مسيحية في لبنان هي مسألة للمساومة وليست للتطبيق . وقد نجحت الفكرة في الضغط فعلا على عواصم عربية للتجرك في اتجاه الموارنة . وتم ذلك عن طريق ترسيب المعلومات عن مشروعات تدرسها قيادة الجبهة ومثال ذلك مانشرته صحيفة المحرر اللبنانية (٣) عن وجود تقرير خطير أعد في اجتماع قيادة الجبهة (شبعوند الجميل - فرنجية - قيس) ويهدف إلى :

- *** نقل القضية اللبنانية إلى الأمم المتحدة بهدف تدويلها .
- *** إعلان الدولة المسيحية بعد قبول عرض القضية على مجلس الأمن .
- *** التحرك السياسي عربيا ودوليا لكسب تأييد عربي ودولي وإثارة الفكرة بين الدول العربية حول إنشاء الدولة وبالتالي جعل لليد العليا للموقف الدولي .
- *** العمل على الوصول إلى هدنة بوقف القتال لأشهر ثلاثة يتم خلالها التحرك السياسي .

وقد حاولت جبهة لبنان تجنيد بعض الحكومات الصديقة لهم لدعم فكره التدويل وتدخل الأمم المتحدة فأجرت اتصالات مكثفة بالحكومتين الفرنسية والأمريكية لحملها على التأييد طرح القضية على مجلس الأمن. كما حاولت الجبهة الاستعانة ببعض الشخصيات السياسية ولكنها لم تجد استجابة من أحد باستثناء عضو مجلس الشيوخ الأمريكى جورج ماكجفرن. الذى طلب من الحكومة الأمر يكية إرسال قوة أمريكية دولية إلى لبنان تعمل تحت راية الأمم المتحدة إذا فشلت قوات الأمن العربية في وقف القتال (٥) وقد وصل الأمر إلى حد أن بير الجميل وجه نداء إلى الجامعة العربية لتعلن عجزها عن حل الأزمة والإسهام في تدويلها وفي الوقت الذى كان رئيس حزب الكتائب كثير الحديث عن التدويل (٦) كان سليمان فرنجية يبلغ القائم بالأعمال الفرنسى والسفير البابوى إن الجبهة تسعى لتدويل الأزمة و يطلب من الدولتين دعم هذا الموقف (٧). وكان شريك قيسى يقوم بجولة أوروبية قدم خلالها تقرير جماعة الكسليك إلى البابا برجاء تدخله لتدويل الأزمة.

وانتهت هذه الاتصالات جميعا بالفشل «تقريبا لأسباب كثيرة. والمهم أنها لم تجد الاستجابة الكاملة بل وتأكدت قيادة الجبهة أن التدويل الذى كان الخطوة الأولى نحو التقسيم بإعلان فكرة اللامركزية أو أن تكون لبنان اتحاد فيدرالى. وكان واضحا أن الأمر غير محدد في أذهانهم تماما باستثناء المشروع المتكامل الذى أعده حزب شمعون- الأحرار- الذى يدعو إلى إنشاء ولايتين في لبنان حيث تعود لبنان المارونية إلى ما قبل الاستقلال مع بعض التعديل و يترك للحكومة الوطنية مراكز طفيلية. وشعار الجبهة كان. مالنا فهو لنا وما هو لكم فهو لنا ولكم...!». وهو ما أوضحته مجلة الحوادث وقد حاول الكل إنكار وجود مشروع الولايتين إلى أن عثرت على إحدى نسخه وهى في ملاحق الكتاب: (٨)

وكان من الممكن النظر إلى فكرة اللامركزية على أنها إحدى اقتراحات الإصلاح الإداري لولا أنها طرحت على أساس طائقي مما يجعلها نوعاً من التقسيم أو خطوة على طريق التقسيم ثم إنها خرجت في مناخ عام يدعو إلى الشك ويدفع إلى الرفض. ولذلك كانت ردود الفعل مختلفة فالقيادات التقليدية الإسلامية كانت ترى أن فكرة اللامركزية الإدارية فكرة مقبولة ولكن بعضهم قال إن الخوف أن تتحول إلى خطوة نحو التقسيم ولذلك فهي مرفوضة من هذا المنطق. ولا بد من ملاحظة أنه بينما كان حزب الأحرار يتحدث عن الولايتين كانت قيادات الجبهة الأخرى تسمى ذلك بنظام « الكانتونات » السويسري ومن أكبر أوائل الدعاة لها الرئيس السابق شارل حلو. وهي الفكرة التي تجد استجابة من عدد من الدول في المنطقة أو خارجها. وإذا كانت الفكرة ترتبط عادة في الأذهان بالنظام السويسري فإن جبهة لبنان لا تقبل النظام السويسري ولكنها تأخذ من ملامح نظامه ما يناسب دعوتها للتقسيم، وأقصد على وجه خاص نظام التمثيل النسبي في الانتخابات الذي ترفضه الجبهة تماماً بينما هو من أعمدة نظام الكانتونات في سويسرا. كما أن هناك خلطاً إما نتيجة الجهل أو التعمد بين نظام اللامركزية وبين نظام الكانتونات فنجد مثلاً كلمة لبيير الجميل يقول عن اللامركزية هي أن يكون لبنان عدة دويلات طائفية يجمعها نظام اتحادى ويكون لكل منها بنيتها التحتية بحيث يكون أجهزتها الإدارية والتربوية ويضيف إلى ذلك والأمنية ووسائل اتصالها بالعالم أي الأمن والخارجية كما تحدد شروط التجنس وتملك الأجانب. وتتمتع كل منها أيضاً بحق التفاعل مع الثقافات التي تختارها بالإضافة إلى المنهج التعليمي المشترك (١). وواضح أنه يتحدث في مارس ١٩٧٧ عن دولة مارونية مستقلة أى عن تقسيم. فهو يختلف تماماً من اللامركزية الإدارية التي تهدف لزيادة فاعلية الدولة في تقديم الخدمات للمواطنين بل وتزيد عن نظام الكانتون أو الولاية السويسري. حيث لها سلطة الأمن والخارجية والتجنس والعلاقات الثقافية. !

وكانت دعوات الجبهة للتقسيم سواء كانت تحت شعار التندويل أو الكانتونات أو اللامركزية مرفوضة بشكل قاطع من الحركة الوطنية ومن القيادات الدينية المسيحية باعتبار أن شربل قسيس رئيس الرهبانيات قد دخل دائرة القيادات السياسية بعنونه في الجبهة . فقد أعلن البطريرك خريش بطريك الموارنة أكثر من مرة بشكل قاطع وواضح معارضته للتقسيم وذلك في تصريحات منشورة وفي أحاديث مع القيادات اللبنانية ومبعوثي الدول العربية والأجنبية الذين قاموا بدور في الأزمة اللبنانية . ونفس الموقف أخذه البطريرك مكسيغوس حكيم بطريك الروم الكاثوليك وأعلن بوضوح أنه ضد التقسيم . وأن مثل هذا الرأي له آثار سلبية على المنطقة .

ولم يختلف موقف البطريرك إلياس الرابع بطريك الروم الأرثوذكس عن ذلك بل وأكد على ضرورة أن يبقى لبنان موحدا وعربيا . وأن يتم عزل الذين يعملون من أجل التقسيم وقد أشرت إلى هذه القيادات على وجه خاص لتوضيح أن القيادات الدينية المسيحية ضد الذين يعطون أنفسهم حق الحديث عن المسيحيين فالمسألة ليست دينية وإلا كان لرجال الدين فيها رأي آخر . والواضح أن الجبهة لا تتحدث باسم المسيحية الدين ولكنها تتحدث باسم مصالح اقتصادية وسياسية تستغل اسم الدين . فان أضيف إلى رأي قيادات الكنيسة رأي قيادات المسلمين ففي مقدمتهم مفتي لبنان الشيخ خالد لظهر أن الأغلبية ضد التقسيم تحت أي أسم أو شعار ولا يقف مع جبهة لبنان سوى إسرائيل والولايات المتحدة باعتبار أن التقسيم يمثل نوعا من حزام الأمن حول إسرائيل وبالتالي يعتبر خطوة نحو حل عقبات التسوية إلى جانب أن وجود دول على أساس ديني يلحق كل مبررات الرفض لأساس الوجود الصهيوني على أرض فلسطين .

وإذا كانت فكرة التقسيم قد رفضت فإن الأمر المطروح هو الإصلاح بكل أبعاده في إطار الدولة الموحدة وتحديد مواقف الأطراف منه .

- ٢ -

المؤكد أنه إذا كان التقسيم شعارا عملت من أجله جبهة لبنان فإن مطلب الإصلاح كان شعار الحركة الوطنية . ومعالجة الإصلاح أمر بالغ الصعوبة للامتداد التاريخي الطويل لمحاولات تغيير النظام اللبناني الذي لا يريد القائمون عليه إجراء أى تعديل فيه لمواجهة تغيرات العصر ، وهو ما أدى إلى أكثر من صدام . ونخوفا من النضياح على صفحات التاريخ فإن الأمر يحتاج إلى نظرة إلى الواقع الحالى واقتراحات تغييره .

وكانت أول اقتراحات محدد هي النقاط الخمسة التي قدمها رشيد الصلح في بيان استقالته أمام مجلس النواب وقدور حول تحقيق إصلاح سياسى ديمقراطى يؤمن توزيعا للصلاحيات ثم الالتزام بمقتضيات المعركة العربية في مواجهة العدو الصهيونى وإقامة علاقات راسخة مع المقاومة على أساس التنسيق الكامل . تعديل قانون الجيش وإخضاعه للسلطة السياسية . إقرار قانون التجنس . معالجة الوضع المالى والاقتصادى والاجتماعى والسير نحو العدالة الاجتماعية بخطى أسرع . وبحكم أن رشيد الصلح كان يعتبر في لعبة السياسة اللبنانية رجل جن بلاط فقد اعتبرت هذه النقاط مطالب الحركة الوطنية إلى أن أعلن كمال جنبلاط خطة من ١٤ نقطة (١٠) تفصل هذه المبادئ العامة وهي :

- لبنان بلد عربى شعبا ودولة ومصبيرا اقليميا .
- لبنان الموحد بأرضه وكيانه السياسى ورفضه كل سعى للتقسيم والتجزئة الطائفية .
- التمسك بمبدأ المشاركة الشعبية الشاملة للفئات المحرومة وإلغاء الامتيازات على جميع المستويات .

- ضرورة تعديل النظام السياسي بما يتناسب مع تحديث المؤسسات وتأمين المشاركة دون تمييز طائفي أو ديني .
- الالتزام المبدئي ، والعملى بحرية الاعتقاد والفكر والمنهج الديمقراطي السلمى بعيدا عن الإرهاب ولغة العنف والميليشيات .
- رفض فكرة الأوطان المختارة والشعوب المختارة .
- رفض النظام العسكرى لتأليف الأحزاب ورفض الإرهاب المسلح .
- الالتزام المبدئي والعملى بعدم حماية الاختكارات الاقتصادية وعدم الدفاع عن مظاهر الرأسمالية الحرة .
- العزوف عن المحاطبة الطائفية .
- الامتناع عن أروهاب جمهور المسيحيين الوطنيين والمسلمين .
- الالتزام بشعور المساواة والأخوة والإنسانية بالنسبة للعرب والأغراب في لبنان .
- الالتزام بحكم القانون أى على رئيس الكتائب ومكتبه السياسى إعلان الاستعداد للرضوخ للتحقيق العدى .
- اعتبار وضع الثورة الفلسطينية منبثقا من واجب الضيافة العربية اللبنانية وتكرىسا باعتراف الدول العربية بالثورة على مثال الحكومات الشرعية فى المنق .

وبرغم أن البرنامج الذى أعلنته الحركة الوطنية هو مجرد مبادئ عامة لا تمس بالتغيير جوهر النظام اللبنانى إلا أنها كانت مرفوضة من أطراف الجبهة وبرغم إقرار أى دراسة مجايدة مثل التى قامت بها بعثات دولية مختلفة بأن نظام لبنان متخلف يحتاج إلى تغيير فإن كراسات جامعة الكسليك خرجت فى كتابها الثامن (١١) تقول « إن النظام اللبنانى من أذكى وأفضل الأنظمة المعروفة فى العالم اليوم » وبرغم التواضع فى جعل النظام اللبنانى واحد من أذكى الأنظمة إلا أنها جعلته أفضلها ،

ليس في العالم العربي أو العالم الثالث مثلاً بل في العالم كله وبالتحديد اليوم وليس الأمس . وأرادت جماعة الكسليك توضيح عظمة النظام اللبناني فذكرت أن الوزارة في حاجة إلى ثقة رئيس الجمهورية قبل -!- ثقة المجلس النيابي لتمارس صلاحيتها . ثقة رئيس الجمهورية ضرورة لحكم الوزارة كثقة المجلس النيابي ثم عادت وكررت « وهو نظام عصري من أذكى وأفضل الأنظمة السياسية في العالم اليوم » . وقد حاولت البحث عن نظام في العالم يساوى بين إرادة فرد حتى لو كان الرئيس وبين إرادة السلطة التشريعية فلم أجد في حد علمي ولعل ذلك ما جعل لبنان فرد عصره ... !

وفي سبتمبر سنة ٧٥ عقد مؤتمر جمع بين رؤساء أحزاب المعارضة والكتل النيابية لهم مع رؤساء الرهبانيات واستقر رأيهم على توحيد موقفهم في جبهة واحدة والمهم هو إعلان إيمانهم الراسخ « أن الصيغة اللبنانية هي تجربة حضارية فريدة ومن الظلم أن يقضى عليها الجهل والطيش والتعصب » .

وقد نجحت الوساطة السورية مع غيرها من الجهود في التوصل إلى تشكيل هيئة وطنية من عشرين شخصية لعمل حوار حول الخلافات على تعديل وتطوير النظام وسميت بهيئة الحوار الوطني . وبدأت اجتماعاتها في ٢٥ سبتمبر . وبالرجوع إلى المحاضر الرسمية للاجتماعات نجد أن بير الجميل أعلن في الجلسة الأولى بشكل قاطع « نحن في الكنائس ضد البحث في تعديل الدستور . وإذا كان هناك إصرار على ذلك أسمح لنفسى بعدم حضور الاجتماعات .. وملاحظتى الأساسية أن المسلم اللبناني متمسك بالصيغة اللبنانية الحالية ، أما الأفكار الأخرى فهي مستوردة -!- إما من بعض الأنظمة العربية أو موحى بها بمؤامرات إسرائيلية .. ! فأصبحت إسرائيل في نظر الكنائس هي التي تقف مع الحركة الوطنية لتحديث نظام لبنان :

وكان تعليق عبد الله اليافي رئيس وزراء لبنان السابق « أن النظام الحالي هو ديني وهذا لا يجوز أن يستمر مع الزمن وأن الصلاحيات التي يتمتع بها رئيس الدولة لا يتمتع بها أى رئيس في العالم ، وهو غير مسئول وقد يكون التطوير بتعديل الدستور أو بتفسيره فهذا غير مهم » واحتدت المناقشة بين اليافي والجميل ، وكان رشيد كرامي رئيس الوزراء أكثر تحديدا فقال « إنه منذ سنة ١٩٤٣ لم يخلق لبنان الوطن والمشاركة السياسية لم تكن إلا في القمة . والدولة لم تعمل شيئا للمواطنين باستثناء الضمان الجماعى ، ولذلك لم يتحقق التعايش الصحيح الوطنى بين المواطنين لأن كلا منهم لا يصل إلى حقه إلا بإنهاء حزبي أو عشيري أو طائفي أو إقليمي . وانطلاقا من هذا الاعتبار يجب أن يتركز بحثنا حتى يصبح لبنان للجميع » ، وانتهت الجلسة الأولى بلا اتفاق إلا الاجتماع مع وزير خارجية سوريا لتوجيه الشكر له . ومع بداية الجلسة الثانية أبلغت الهيئة بأن عناصر كتائبية قامت بخرق اتفاق وقف إطلاق النار الذي تم التوصل اليه قبل اجتماع الهيئة . وكان واضحا في الجلسة الثانية أن الكتائب لا تريد الحديث إلا في مسألة الأمن . والأمن من وجهة نظرها هو الوجود الفلسطيني في لبنان . ووسط آراء متناقضة طرح رمون اده سؤال حول ما إذا كانت هناك خطة أمريكية لمصلحة إسرائيل . فنحن نريد أن نعرف ذلك . وإني أتساءل ماذا يفعل وزير الخارجية في نيويورك وهل هو يستعلم عن ذلك ؟ « المهم أن نعرف مصير بلادنا . وهل هناك من يسعى إلى تقسيم بلادنا بدون علمنا » . ولم يرد أحد على التساؤل طبعا . . . ؟

وحاول صائب سلام رئيس الوزراء السابق تجميع الخيوط في مناقشة أشبه مانكون « بخوار الطرشان » حتى إن أحدا لا يسمع إلا نفسه فقال إن المهم أن لا تدور في حلقة مفرغة ومن الضروري أن نصل إلى قاسم مشترك وفيما يتعلق بمسألة الأمن التي تطرحها الكتائب فإنه عندما « ضبظت الحكومة أمرها انضبط الأمن وكذلك

المقاومة . ولم تحدث خلال سنتين وأشهر آية حادثة أمن معها . وكما نقول عن المقاومة إنها غير منضبطة نكون بالواقع نحقق حقيقة أساسية وهي أننا نحن كلبنانيين لسنا منضبطين . وكسلطة غير موجهة . ونرجو أن نضبط أنفسنا حتى تنضبط المقاومة » . وهكذا ضاغت الجلسة الثانية دون أن تمس صلب المشكلة اللبنانية ونجحت الكتائب في تجميد مهمة الهيئة إلى بحث مسألة الوجود الفلسطيني والأمن . وفي الجلسة الرابعة أثار ريمون أدع سؤالاً موجهاً إلى كميل شمعون وزير الداخلية « لماذا لا تنفذ التعليمات ولماذا لا تطلق قوى الأمن النار على أى مسلح أو أى حاجز أو أى مطلق نار أو أى خطاطف ؟ هل هناك تأمر من الضباط أو إهمال ؟ لقد رأيت حواجز توقف الناس على مرأى من قوات الأمن » . وكان رد كميل شمعون أن قوات الأمن بشر وأنهم بدأوا يفقدون معنوياتهم . وهكذا ضاغت الجلسات التسع التي عقدتها الهيئة بالحديث عن الأمن . وهو نفس المنهج الذي سارت عليه الكتائب في اللجنة الفرعية لهيئة الحوار وهي لجنة الإصلاح السياسي ، وإن كانت اللجنة أكثر حظاً في المناقشات الموضوعية . فقد طرحت القضية بوضوح وتعرض الكل لعملية توصيف الأمة من طائفية لابد أن تلغى إلى « مافيا » حسب تعبيريهم تتحكم في مرافق الدولة يجب التصدي لها ، ولكن المناقشات لم تستطع الوصول إلى أكثر من التوصيف والتقد دون تجاوز ذلك إلى وضع توصيات . وحين استطاعت اللجنة في آخر جلساتها وهي الجلسة السادسة أن تصل إلى توصيات بإلغاء الطائفية الإدارية أى الوظيفة والغاء الطائفية السياسية كان ذلك في غياب حزب الكتائب الذي أعلن بعد ذلك رفضه للتوصية ومعارضة حزب ريمون أدع أى معارضة الحوار باختصار . وبالتالي تكون اللجنة عملياً لم تستطع أن تصل إلى شيء .

وقد استطاعت أطراف الجبهة نقل الحوار إلى مواقعهم حيث الأغلبية العددية لهم . فقد قام كميل شمعون بنقل الحوار إلى مجلس النواب منتهزاً فرصة اجتماع

المجلس لتجديد رياسة كامل الأسعد له . فطالب المجلس أن يواصل اجتماعاته ويتولى بنفسه بحث الموضوعات التي تتناولها الألسن وتبناها لجان وهيئات غير مسئولة . فالمجلس هو وحده الذى يعدل الدستور وهو الذى يؤمن بالإصلاح . وبالتالي لا يكون لكافة الآراء التي تتخذ هنا وهناك أى مفعول إلا إذا اقررت بموافقتها . كما قام سليمان فرنجية بنقل الحوار إلى مجلس الوزراء . (١٢) .

وقد ارتبط إنشاء هيئة الحوار بتصعيد في العمليات الحربية ومحاولة التأكيد على الطابع اللبناني . الفلسطيني للصراع وفي نفس الوقت تركيز حملة الإعلام على اتهام الحركة الوطنية بالخضوع للسيار الدولي الملحد . وقام كمال جنبلاط بإرسال خطاب إلى فرنجية في ١٨ ديسمبر ذكر له فيه أن مسألة السيار الدولي بدعة في حد ذاتها لايزال يتحدث عنها بعض المتخلفين في حقل السياسة الدولية لأن السيار الدولي انتهى منذ زمن بعيد . بعد حل الكومنفورم . وبعده بعشرة أيام في جورج حاوى أن يكون حزبه - الحزب الشيوعي اللبناني - قد طرح إطلاقاً مسألة تسليم السلطة حالياً أو مستقبلاً والأمر على عكس ذلك فإننا نطالب بالإصلاح وفقاً لبرنامج الحركة الوطنية وهو برنامج ليس اشتراكياً ولا شيوعياً بل هو برنامج إصلاحى ديمقراطى في إطار النظام الرأسمالى (١٣) .

وواضح أن الحوار دخل إلى طريق مسدود بين الأطراف المختلفة . وقد سارعت قيادات جبهة لبنان إلى تعديل في موقفها بعد أن انكشفت أمام جميع الأطراف وفي الشارع اللبناني على وجه خاص أنها هي القوة التي تقف ضد الإصلاح . وهو ما قد يعرضها لأزمات مع قواعدها الجماهيرية خاصة وأن الحوار أوضح أن مواقف الحركة الوطنية تكاد تطابق مواقف القيادات الإسلامية التقليدية أى أن الجبهة بعنادها أصبحت عامل توحيد للقوى التي تقف في مواجهتها . وأمام هذا المأزق طرحت فكرة تبدو وكأنها ترايد على الحركة الوطنية ولكنها في الواقع فكرة دفاع عن

المواقع ومحاولة تفتيت الجبهة التي تكاد تنضج بين الحركة الوطنية والقيادات التقليدية الإسلامية . فقد طرحت فكرة العلمانية باعتبارها بديل الطائفية . وقد يبدو الأمر منطقياً وهو ما كنت ألبسه من بعيد . وذهبت إلى كل الأطراف وكان أكثر ما لفت نظري هو ما أوضحت لي الأباتي شربل قسيس من أن المسألة هي قانون الأحوال الشخصية وبالشرح والتوضيح ظهر أن فلاسفة جماعة الكسليك وضعوا أمام الجبهة دراسة حول الزواج في الإسلام ومنها يتضح أن زواج المسلمة بغير المسلم محرم دينياً ومن هنا جاءت ثغرة العمل بأن من يريد إلغاء الطائفية عليه بقبول العلمنة والعلمنة هي قانون موحد للأحوال الشخصية أى للطلاق والزواج وبالتحديد لزواج المسلمة من غير المسلم وكأن مشكلة لبنان هي مسألة زواج من غير مسلم . وهكذا تركز الحديث في العلمنة على قانون الأحوال الشخصية (١٤) . وحاولت من المناقشات أن أفهم لماذا الإصرار على قانون الأحوال الشخصية فقال لي شربل قسيس إنها مسألة العدد . فإذا يظن المسلمون أنفسهم .. هل رجالهم أكثر فحولة من رجالنا . إن لدينا رجالاً في الجبل يمكن للواحد منهم أن ينجب عشرة وعشرين ولكن المسألة يجب أن تخضع لضوابط . وكان موقف الجبهة عامل استفزاز للقيادات الإسلامية ولكنه أيضاً حقق جزءاً من أهدافه بعودة تمايز موقف القيادات التقليدية عن قيادات الحركة الوطنية : كما لعبت سوريا دوراً في محاولة تفتيت موقف القيادات في الحركة الوطنية مع ترايد تقارب قيادات الجبهة معها . وباتفاق سوري ماروني في الأساس على العناصر التي أستقطبها الدور السوري من الحركة الوطنية طرحت فكرة الإصلاح . ومن خلال لقاء سليمان فرنجية مع حافظ الأسد تم التوصل إلى اتفاق أعلنه فرنجية في ١٤ فبراير سنة ١٩٧٦ وهو ما عرف « بالوثيقة الدستورية » (١٥) وجاء فيها :

- التأكيد على العرف القائم بتوزيع الرئاسات الثلاث (رئاسة مارونية - رئاسة الوزارة سنية ، ورئاسة مجلس النواب شيعية .

●● توزيع المقاعد النيابية بالتساوى بين السليبين والمسيحيين ونسبيا ضمن كل طائفة وتعديل قانون الانتخاب في ضوء ذلك بما يضمن تمثيلا أفضل للمواطنين .

●● انتخاب رئيس الوزراء من قبل المجلس النيابي بالأغلبية النسبية ويتم وضع قائمة أسماء الوزراء بالاتفاق مع رئيس الجمهورية .

●● اعتماد أكثرية الثلثين في مجلس النواب لإقرار القضايا المصيرية وأكثرية ٥٥ ٪ لانتخاب رئيس الجمهورية .

●● وضع نص يجعل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء مسؤولين باعتبار أن النظام اللبناني يخلو من تحديد مسؤولية هؤلاء وإنشاء المجلس الأعلى لمحكمة الرؤساء والوزراء .

●● تعزيز اللامركزية في العمل الإداري .

●● إزالة الطائفية واعتماد مبدأ الكفاية مع المحافظة على مبدأ المساواة في وظائف الفئة الأولى .

●● العمل على تحقيق عدالة اجتماعية شاملة من خلال الإصلاح المالي والاقتصادي والاجتماعي .

●● تعزيز التعليم العام بما يؤدي إلى تعميم التعليم المجاني والزاميته وتطوير البرامج التربوية بما يرسخ الوحدة الوطنية .

●● وضع سياسة دفاعية وتعزيز الجيش .

●● تكريس حرية مسؤولية الصحافة تضمن انسجامها مع سياسة المجتمع وتحقيق الوحدة الوطنية وتوطيد علاقات لبنان العربية والدولية .

●● تعديل قانون الجنسية .

وقد اثارَت الوثيقة ردود فعل متباينة إلى حد بعيد بل ومتناقضة حتى للطرف الواحد .

فقد صرح بدير الجميل لصحيفة النهار في اليوم التالي مباشرة أن المبادئ التي أذيعت لن تقدم أو تؤخر وأنها كرسيت الطائفية بعد ما كنا نسعى لمحاربتها . واتمنى ألا يمس الدستور لأننا في الكتائب طالبنا بعدم ذكر ذلك في الدستور . « . إلا أن المكتب السياسي برئاسة بدير الجميل أصدر بعد ذلك بيوم واحد أيضا بيانا ذكر فيه أنه تلقى رسالة فرنجية بالإيجابيه وإن العبرة ليست بالنصوص وإنما بالنيات . وإن العناوين التي وردت في الرسالة - الوثيقة - تصلح أساسا للتفاهم الوطني » .
والمؤكد أن التناقض بين الموقعين خلال ٢٤ ساعة يعود إلى دراسة الموقف وترك رفض الوثيقة لعناصر أخرى غير الكتائب طالما أن الحزب تأكد من أنها سترفض وبالتالي يبدو لأول مرة وكأنه الموافق الوحيد بعد أن أعلن رئيسه في البداية الموقف الحقيقي للحزب خاصة وأن الذين يعرفون الحزب يعرفون أن المكتب السياسي في النهاية هو بدير الجميل .

وقد نشرت جماعة الكسليك تعليقا على الوثيقة في إحدى كراسياتها (١٦) بأن « في الرسالة أجزاء هي في منأى عن كل نقد أو جدل وثمة أجزاء أخرى تثير التحفظ وشيئا من القلق وهي .. كيف سيكون مثلاً قانون الجنسية الجديد ، ثم أي مصير سيكتب للدولة تتخذ الوجدانية لها شكلا في حين ستكون سلطتها التنفيذية برأسين وسلطتها التشريعية ترتدى ظاهر المجلس الكونفدرالى .. وقد تحول لبنان في رسالة الرئيس من لبنان ذى الوجه العربى إلى لبنان العربى وهو ما يرضى الإسلام اللبناني . إن الرسالة إذ تؤكد عروبة لبنان تقيم على المحك رفض المسيحيين وجود مصالح عربية تسمو على مصالح الدولة اللبنانية ، كما يضع على المحك رفض الإسلام اللبناني اعتبار لبنان غاية بذاته وكيانا نهائيا .. إن إرادة الرئيس حتى ولو حظيت بموافقة أسياذ دمشق أو جاءت بوحى من منهم كما يتراءى لن تكفى لتبديل هوية المسيحيين اللبنانيين الوطنية » . وتنتهى الكراسة الرهبانية إلى أن الرسالة غير مقبولة

بكمالها كوثيقة وأنها تستحق الرفض الصارم الذي سبقنا إلى إعلانه حراسه الأرز بشجاعة.

وأعلن ريمون اده زعيم حزب الكتلة « أن رسالة الجمهورية تشكل ترويرا للتاريخ لأنها لا تأتي عن ذكر الأسباب الحقيقية التي من أجلها تقاتل اللبنانيون أو بعض اللبنانيين طوال عشرة أشهر » .

وهكذا تكون قيادات الموارنة قد رفضت عمليا الوثيقة وهي خطأ سميت دستورية لأنها مجرد اقتراح ليست له أي صفة دستورية . وإعلانها من الرئيس لا يعطيها هذه الصفة .

وكان رأى القيادات التقليدية - الإسلامية - لا يختلف كثيرا فقد أعلن عبد الله اليافي أن النقاط الإيجابية دون طموحنا وإبراز السلبات تكريس الطائفية وإضعاف صبغة عروبة لبنان ، وصائب سلام قال إن الرسالة فيها تناقضات كثيرة .. وهي تكريس لطائفية الرئاسات . أما مفتي لبنان - الشيخ حسن خالد - فقد أعلن قبوله للرسالة وقال إنها « تسوية مرحلية » أوقفت القتال . كما رحب الإمام الصدر بالرسالة وأيدها .

أما الحركة الوطنية فقد أعلن المرابطون - حركة الناصريين المستقلين - إن الرسالة جاءت بمنطق طائفي مرفوض وزادت فيها سلباتها على إيجابياتها . وأعلن الحزب التقدمي الاشتراكي - حزب جنبلاط - أنه يرى الاستمرار على الاتفاق الضمني غير المكتوب بأن ينتخب مسيحي رئيسا للجمهورية و يوافق على التوزيع النصفي للمقاعد النيابية و يضيف إلى الوثيقة اقتراح إنشاء محكمة دستورية عليا للنظر في دستورية القوانين .

وهكذا ضاعت رسالة فرنجية - الأسد أو الوثيقة الدستورية كما يسميها البعض

وسط زردود الفعل المتناقضة إلى أن وقع انقلاب عزيز الاحدب ليكون شهادة الوفاة لها . ويعود بالموقف إلى بدايته . وهو ما ينقلنا إلى القضية الثالثة وهي قضية الجيش .

٣

كانت صورة الأحداث من موقع القيادة العسكرية تختلف عنها من أى موقع آخر . ففي التقرير السرى للعميد الركن موسى كنعان معاون العلماني لرئيس الأركان في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٧٥ عن إمكانية التدخل لوضع حد للاقتتال الداخلي يقول التقرير بالنص الحرفي في صفحته الثامنة : « إن الوضع الحالي في البلاد فريد من نوعه ، فلا هو اعتداء خارجي ولا هو اعتداء داخلي بالمعنى المتعارف عليه » ..

« موجز خصائص الاقتتال الحالي »

« يتخذ الصراع الحالي طابع الحرب الأهلية . ويكاد يقسم البلاد إلى شقين »

« و يصعب معه تمييز العدو من الصديق »

« .. ضعف الدولة وشلل مؤسساتها (باستثناء الجيش) » .

« .. القوة العسكرية الكبيرة للفئتين المتصارعتين » .

« .. بقعة انعدام الأمان تتمدد وتتقلص بصورة دائمة » .

« .. أى عمل عسكري أو حادث في أى منطقة له انعكاس فوري على باقي المناطق » .

« .. عدم قدرة الدولة على اتخاذ موقف محدد وواضح تجاه أى من الفريقين ، أى

عدم وضوح الموقف السياسي » .

« .. انعكاس الأحداث على نفوس العسكريين الذين هم في النهاية من نفس

طيفة هذا الشعب » .

و ينتقل التقرير إلى امكانيات الجيش ليقدر « بأن القوى الممثلة لن تكون قادرة على حسم الموقف العسكري في العاصمة لأن قتال الشوارع يتلغ العديد إذا لم يحظ بمساندة القسم الأكبر من الأهلىن » . « والأهم هو أن القوى المتبقية فى المناطق لن تكون قادرة على القيام بأى دور سوى حماية ثكناتها ، وبالتالى فإن كل شىء عداها سيقع تحت رحمة المسلحين وستدمر المنشآت وتعطل الحياة العامة وتبقى القرى والمدن تحت رحمة الفريق الغالب فى المنطقة ، وستكثر أعمال القتل والنهب والتدمير وتقطع المواصلات بين المناطق » .

و ينتهى التقرير إلى تحديد شروط النجاح فى حال التدخل الكامل للجيش وهى :

- « . إجماع الرأى بين السلطات السياسية على قرار التدخل » .
- « . إيجاد مناخ سياسى ملائم فى البلاد للتدخل ، أى أن لايرتدى التدخل صفة مناصرة فريق على فريق » .
- « . القيام بعمل إعلامى لمحاربة حملات التشكيك والتجريح بالجيش »
- « . ضمان حياد المقاومة الفلسطينية » .
- « . جمع نفوس العسكر بين حول فكرة يطيب للجميع (على اختلف الرتب) القتال والاستشهاد من أجلها . فالمعركة تربع أولاً وآخراً فى النفوس وقيل بدئها » .

وهكذا يبدو من تقرير مساعد رئيس الأركان استخالة استخدام الجيش كوحدة متماسكة . وبالتالى فإن استخدامه سوف يجعله جيش فريق وليس جيش الدولة . وهو تماماً ما حدث نتيجة عبث قيادة الدولة دون أن تسمع رأى حتى قياداتها العسكرية . وقد ترك انحياز الجيش أثره على العسكر بين وخاصة استخدام الطيران ضد طرابلس إلى أن خرج الملازم أول أحمد الخطيب فى ٢٦ يناير سنة

١٩٧٦ ليعلن تمرده مع عدد من العسكرين على قيادته التي انحازت إلى الاتعزاليين. ويعلن تشكيل جيش لبنان العربي بعد ذلك بثلاثة أيام. وقد عولجت حركة أحمد الخطيب بقدر غريب من الاستهتار في البداية وخاصة أن عدد العسكرين الذين كانوا معه كان محدودا للغاية، حتى رغم إعلان بعض الضباط الانضمام إليه مثل قائد ثكنة بعلبك وجنوده. وكان مفتاح الموقف في نظر القيادة البارونية هو الرواتب وأن منعها عن المتمردين سوف يجعل الجند ينفذون عن أحمد الخطيب والذي سوف يجد نفسه إما مضطرا للتسليم والمحكمة أو الفرار خارج لبنان. وكانت هذه النظرة بالغة الغباء حيث قامت على تصور أن الموارنة هم وحدهم السلطة وأنهم القوة الوحيدة وهو ما لم يكن صحيحا على الإطلاق.

فقد وجدت القوات المشتركة « الحركة الوطنية - الفلسطينية » في حركة أحمد الخطيب ظاهرة بالغة الأهمية.

فهى تنفى أن جيش لبنان يقف بكامله وراء الموارنة بل إنه منتقم على نفسه كما أن انقسام الجيش يمنع دوره المنتظر لضرب المقاومة مثلما فعل جيش الأردن. والمؤكد أن في جيش الأردن كانت عناصر كثيرة تتعاطف مع موقف الثورة الفلسطينية ولكنها لعدم الخبرة وعدم تصور حجم الضربة انتظرت إلى أن صدرت أوامر العمليات ولحظتها يصبح الانضباط والالتزام بالأوامر هو أساس العسكرية وليست المواقف السياسية. وهو ما كان يجب تجنبه في لبنان.

محاولة اقناع قيادات الموارنة أن المعركة مع الحركة الوطنية ليست بهذا القدر من البساطة والسهولة.

وقررت القوات المشتركة تقديم الدعم المالى لأحمد الخطيب لصرف رواتب جنوده. ونتيجة صمود قوات جيش لبنان العربي وقدرتها على دفع الرواتب بدأت قوات كثيرة تلحق بها. وحاولت الكتائب الادعاء أن ليبيا هى التي دفعت لأحمد

الخطيب الأموال ولكن المقابلات التي قمت بها والتحقيقات التي تابعتها أكدت لي أن التمويل كان من داخل لبنان . والمصلحة القومية تفرض عدم كشف التفاصيل .

وأمام تعاضم دور جيش لبنان العربي تم الاتفاق على تغيير قيادة الجيش وفعلًا عين العماد حنا سعيد قائدًا للجيش وأعطيت مهلة للمسكرين المتمردين للعودة إلى الجيش دون عقوبة ولكن عناد سليمان فرنجية زاد المشكلة تعقيدًا . إذ رفض فرنجية العفو عن المسكرين الذين تركوا الجيش إلى درجة أنه قال « تقطع يدي ولا أوقع مثل هذا الرسوم » . كل الذين فروا من الجيش والتحقوا بحركة احمد الخطيب يجب أن يحاكموا ، وتصدر ضدهم أقصى العقوبات ليكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه التمرد والفرار من الجيش (١٧) بينما كان رأى قائد الجيش أن إعادة وحدة الجيش أهم من أى قانون أو كرامة فرد .

وقد اعتبر سليمان فرنجية أن قرار قيادة الجيش بدعوة المتمردين للاتحاق بالجيش دون محاكمة هو تمرد من القيادة على إرادته ونسى أن الصلاية تختلف عن الصلب . فقد ترتب على موقف سليمان فرنجية ما عرف بحرب الشكنات . فأعلنت ثكنة صربا العسكرية التمرد وقام جنودها بمهاجمة القاعدة البحرية وسرية جوثيه ومحطة كهرباء كميل شمعون واستولوا على الأسلحة . وبدأت الشكنات تتوالى وأغلبها أعلن انضمامه إلى جيش لبنان العربي ، حتى لقد انضمت ٦ ثكنات لجيش لبنان العربي في يوم واحد - ١٠ مارس - وانهار تقريباً جيش لبنان . فمن بين ٢١ ثكنة سقطت ١٧ ثكنة في أيدي الحركة الوطنية . وأصبح الجيش ثلاثة اتجاهات . قوة انضمت للحركة الوطنية وأخرى انضمت إلى الانعزاليين وقوة ثالثة حاولت الحفاظ على بقايا الجيش . أمام زيادة عدد انهار الشكنات تقدم ٢٥٠ ضابطاً بمذكرة أطلقوا عليها « وثيقة شرف » في ١٠ مارس إلى العماد حنا سعيد قائد الجيش وطالبوه بمحاكمة جميع العناصر الذين خرجوا على قوانين الجيش وأنظمتهم وتقاليده من دون تمييز أو استثناء .

وكان رد قائد الجيش (١٨) هو عبارة عن نداء إلى العسكرين يؤكد فيه موقفه السابق من ضرورة الغفوة عن العسكرين الفارين وأن الجيش يفتح ذراعيه لأبنائه البائدين وقال إن قيادة الجيش تؤكد للجميع :

١- أن جيش المستقبل جيش سيكون جيش جميع اللبنانيين ، لافضل لعسكري على آخر إلا بمقدار ما يقدمه من تفان وتضحية .

٢- أن جيش المستقبل هو جيش للدفاع عن كرامة الوطن والدود عن حدوده ضد العدو الجاثم على الحدود .

٣- أن جيش المستقبل سيكون الجيش الذي يتحسّن واجبه تجاه لبنان العربي الذي حدّدته « الوثيقة الدستورية » التي أعلنها رئيس الجمهورية .

وكان العماد حنا سعيد قد قدم للحكومة تقريرا وهو ماعرف بالتقرير « ١٥ / ١٤ / ع / س » (١٩) يقول في مقدمته « إن القيادة ترى لزما عليها وحالة الجيش والبلاد قد آلت إلى ما هي عليه أن ترسم صورة حقيقية للواقع المرير الذي يعانيه الجيش بصفته الموثمة والمسؤولة عن مقدراته .. غنى عن القول أن الأحداث المؤلمة ومرافقتها قد أدت إلى انشقاق في نفوس الشعب ، ولكن الجيش صمد ما يقارب العشرة أشهر قبل أن تصل إليه العدوى . و يصل من ذلك إلى « أنه بات من الصعب ضمان تنفيذ الأوامر التي تصدر عن هذه القيادة وبات العسكريون يقومون بما يمليه عليهم سواء الخوف أو التحريض ، أكان هذا التحريض داخليا أو خارجيا . مستغلا لديهم حوافز شتى : طائفية ، إغرائية ، إرهابية . وإزاء هذا الوضع المتدهور تلتفت القيادة نظر المسؤولين إلى الخطر الداهم الذي يهدد الجيش بالانهيار » ، وانتهى التقرير إلى الإلحاح في إيجاد حل لقضية الضباط والعسكرين الفارين ولكن الدولة كانت بلا عقل ولاسلطة والكل لا ينظر إلا من زاوية . وقائد الجيش يصرخ بلا مجيب . فحتى لو وافق على حكمة الفارين فكيف ينفذ ذلك عسكريا .

وقد أصدر قائد سلاح الطيران- العقيد جورج غريب- بدوره بياناً نصه :
 « أن الحالة التي وصلت إليها البلاد هي نتيجة أخطاء متراكمة من قبل كثرة
 من السياسيين أثرت مصالحها الخاصة على الصالح العام » .
 « وأن ظواهر التفكك في الدولة أدت إلى محاولات تفكيك لحمة الجيش الذي
 يسعى الخيرون دوماً إلى إبقائه فوق الحزابات »

« وعلى ضوء ذلك نطالب بما يلي : »

- ١- على المسؤولين السياسيين والسلطة المختصة إصدار عفوعام عن العسكرين
 باستثناء الذين قاموا بجرائم قتال .
- ٢- الإسراع باتخاذ الحلول الجذرية الثلاثة لإنقاذ الجيش والوطن والترفع عن
 الحزابات الشخصية.
- ٣- اعتماد التوازن مقررنا بالكفاءات الخلقية لإتماء وإحياء ملاكات الجيش
 وتجديدها ، وكذلك ملاكات المؤسسات المختلفة في الدولة .
- ٤- الإسراع بتشكيل حكومة متوازنة متجردة تنفذ الوضع بأسرع مايمكن وسلاح الجو
 اللبناني إذ يطالب بهذا يعلن أنه لايشكل فريقيا مع أحد بل فريقة الوحيد هو
 لحمة الجيش والمواطنين ووحدة الوطن الواحد . ويدعو كافة الأسلحة
 والملاكات العسكرية إلى رص الصفوف والتضامن .

وفي نفس اليوم- ١٠ مارس- عقد قائد الجيش ورئيس الأركان وقادة المناطق
 والمفتش العام ومعاونو رئيس الأركان ورئيس الشعبة الثانية « المخابرات » وتبين
 أمامهم أن معظم ثكنات الجيش سوف تنهار خلال ساعات وطلبوا باتخاذ أى حل
 سياسى من شأنه مها كلف- على حد وصف تقريرهم- أن يبقى أسلم بما ينتظر
 مصير الجيش والبلاد » (٢٠) وفي المساء اجتمع مجلس الوزراء مع هيئة الأركان
 لسماع رأيها بالتفصيل .

وكانت غرابة الموقف في أن سليمان فرنجية بدلا من أن يتحرك لإنقاذ الموقف قرر عزل كل قيادة الجيش . وأصبح الرأي السائد لدى كل الأطراف هو ضرورة عزل فرنجية الذي يمثل عقبة حقيقية في سبيل إنقاذ لبنان . وسادت القناعة العامة بضرورة قيام انقلاب عسكري لعزل رئيس الجمهورية وإنقاذ جيش لبنان ، ووسط استعدادات كل الأطراف للقيام بالانقلاب إذا بالعميد أول عز يز الأحذب يقوم بانقلابه التلفزيوني مساء يوم ١١ مارس و يطالب في بلاغه الأول باستقالة رئيس الجمهورية . ونشرت مجلة الجوادث (٢١) أن الأحذب عرض الرئاسة على رمون اده الذي اعتذر .

ووضح إن قيادة الجيش اللبناني ليست ضد الانقلاب وإن كانت قد لزمّت الصمت أما كمال جنبلاط فقد أعلن بوضوح أنه ضد أي انقلاب عسكري . وكان رد سليمان فرنجية أن دفع أحد ضباطه وهو العقيد أنطون بركان بإعلان انقلاب آخر يعلن دعمه لرئيس الجمهورية .

وكان السؤال المطروح في لبنان وخارج لبنان .. هو من وراء انقلاب الأحذب ؟ عز يز الأحذب يقول لقد بقيت ٦ أشهر أسمع أن هناك مشروع انقلاب ، ولكن أحدا لم يأخذ المبادرة فبحثت أنا وأخذتها . والانقلاب جاء عفويا نابعا من إرادة لبنانية وإذا شاءت المصادفة أن يكون على رأس الانقلاب ضابط مسلم . فذلك لتحقيق لحمة الجيش .

فؤاد الحود - حزب شمعون - يقول في كتابه مأساة جيش لبنان : إنه مؤكدا لم يكن هناك فريق أو دولة أو منظمة وراء عز يز الأحذب . ويستدل على ذلك بأنه حين رآه فور إذاعة بيانه لم يكن حوله سوى جنود منطقة بيروت التي هو قائدها ثم إنه استدان رواتب جنوده إلى أن صرفت لهم وأعاد ما استدانته .

والمؤكد أنه كان هناك أكثر من مشروع انقلاب :

فالعמיד موسى كنعان مساعد رئيس الأركان كان يعد انقلاباً وهو الرجل القوي في الجيش وكان وزير الإعلام في الوزارة العسكرية ورئيسها الحقيقي وله علاقات وثيقة بعدد من الدول أبرزها الولايات المتحدة . وكما أنه على اتصال بأحد أجنحة المقاومة الفلسطينية وعلى وجه خاص فتح .

الضباط الدروز في الجيش كانوا يفكرون في تنظيم مظاهرة عسكرية لإقالة فرنجية بشرط أن تتحرك برضا قائد الجيش حنا سعيد ودون الاستيلاء على الحكم .

قيادة جيش لبنان عرضت على سوريا أثناء وجود عبد الحليم خدام في بيروت يوم انقلاب الأحدث بالقيام بانقلاب . خاصة وأن رأى عبد الحليم خدام كان أن فرنجية عدو نفسه .

القائم بالأعمال الأمريكى زار مقر وزارة الدفاع يوم ١٠ مارس والحديث عن الانقلابات في قته .

المقاومة الفلسطينية كانت ترى أنه إذا كان انقلاب سوف يقع في لبنان فلا بد أن يكون في اتجاه مؤيد لها أو على الأقل ليس من القوى المعادية .

وفي هذا المناخ وقع انقلاب عزيز الأحدث الذى توجه بسيارة مدنية ومعه عدد من السيارات إلى مبنى التلفزيون ليذيع بيانه وكان يقود له الطريق أبو الحسن (٢٢) أحد مرافقى ياسر عرفات وهو ما أثار شبهة أن تكون للمقاومة هى التى دبرت الانقلاب .

وما حدث هو أن قيادات المقاومة فوجئت بانقلاب عزيز الأحدث إلى درجة أن أحد قياداتها اتصل أمام القيادات الأخرى - وكانوا في جلسة عمل - بالعמיד موسى كنعان وسأله إن كان عزيز الأحدث هو الرجل الذى اتفقت الآراء حوله . ولو كانت للمقاومة هى التى دبرت الانقلاب لما كانت في حاجة إلى الاستغراب أو

السؤال خاصة وأنتى راجعت القصة على كل القيادات التي كانت في الحجرة وهي تمثل معظم تنظيمات المقاومة .

أما قصة أن الانقلاب كان لتخريب المبادرة السورية التي أدت إلى الوثيقة الدستورية فهو أيضا أمر مشكوك فيه . فالوقائع تقول إن عبد الحليم خدام وزير الخارجية السوري وحكمت الشهابي رئيس الأركان غادرا بيروت يوم الانقلاب في الساعة الرابعة والنصف للعودة إلى دمشق ولكن ضباط المطار حجزوهم لأسباب تتعلق بالأمن حتى تمت كل إجراءات تأمين الرحلة في الساعة مساءً ، وبينما كان خدام في طريقه إلى حافظ الأسد كان الانقلاب قد وقع ولم يكن تقرير خدام قد قدم بعد ولا اتفاه مع قيادة الجيش اللبناني قد عرض على الرئيس السوري بعد مما أثار حافظ الأسد وأثار الشبهة في أن الانقلاب ضد المسمى السورية وأن انصار مصر في المقاومة دبروه . وفي نفس الوقت قام عصام الدباسي- ضابط المكتب الثاني أي المخابرات- بتسقيق مع زهير عسّ قائد منظمة الصاعقة السورية بالعمل على تسليم مطار البقاع لحركة عز يز الأحدث .

و يبدو أن مقاله عز يز الأحدث صحيحا بأن انقلابه جاء عفويا . إذ كانت كل القوى تعمل على إعداد انقلاب . وقد تصور كل منها أنه انقلابها فسارعت بالحركة في اتجاهه . ولكنه كان على أي الأحوال مجرد بلاغ عسكري بأن هناك من يريد استقالة رئيس الجمهورية بين صفوف الضباط . وطبعا رفض سليمان فرنجية الاستقالة . وكانت الحجة هي الشرعية وأن السلطة صاحبة ذلك هي مجلس النواب . وفي ١٣ مارس تقدم ٦٦ نائب أي ثلثا مجلس النواب برفض سليمان فرنجية رئيس الجمهورية بالاستقالة وهي النصاب القانوني ورفض سليمان فرنجية وأصبح السؤال المطروح في كل لبنان حول القوة التي يعتمد عليها فرنجية للبقاء رغم أن أحدا ليس معه . وبعد يومين تم اتفاق بين حركة أحمد الخطيب وحركة عز يز الأحدث على توحيد موقفها تجاه سليمان فرنجية حيث إن الأمر أصبح لا بد له من

استخدام القوة وحركة الأحذب لا تملك هذه القوة بينا حركة أحمد الخطيب تملكها . وبدأت قوات جيش لبنان العربي تتحرك نحو القصر الجمهوري في بعدا لعزل فرنجية وكانت المفاجأة أن قوات الصاعقة السورية أقامت الحواجز في طريق جيش لبنان العربي . وكان ذلك بناء على أوامر صريحة من الرئيس حافظ الأسد الذي اعتبر ذلك تحريبا للدور السوري الملتزم بالدفاع عن فرنجية (٢٣) !

وانحصرت المشكلة في عزل فرنجية واختيار البديل .

إن اختيار رئيس جمهورية للبنان عملية تعبر بصديق عن « الكيان الصناعي » للبنان . فهو منذ الاستقلال يتم من خلال عملية توازن بين النفوذ الاستعماري وعصلة السياسة العربية وقت إجراء الاختيار . وليس معنى ذلك أن شخص رئيس الجمهورية في لبنان يفرض على القوى اللبنانية بل الصحيح أنه يتم من خلال عملية توازن بينها وفق قواعد سيادة مجموعة العائلات التي تحتكر المناصب وقواعد التوزيع الطائفي للعمل السياسي . وباختلاط الخططين تبدو عملية الانتخاب في ظاهرها لبنانية وفي باطنها تعبير صادق عن المرحلة في المنطقة العربية .

والصورة على الواقع تعطينا هذه السطور تجسيدا ووضوحا . ففي دراسة حول انتخابات الرئاسة في لبنان (٢٤) إن انتخاب أول رئيس جمهورية في لبنان - بشارة الخوري - كان القرار الرئيسي فيه بريطانيا - للجنرال سبيرز - لكنه مر عبر صيغة التوازن التي أرسيت بالصراعات السياسية . فالتوازن الداخلي كان عصلة اتجاه ماروني معتدل ومتحالف مع البريطانيين وهوما عرف بالكتلة الدستورية . في مواجهة اتجاه متحالف مع الفرنسيين وهوما عرف بالكتلة الوطنية . والاتجاه الأول وهو الذي انتصر ، يقوم على أساس تحالف مع القوى السنية والتي مثلها رياض الصلح أول رئيس للوزراء مع السلطات العربية التي كانت تحكم العالم العربي وقتها في ظل سيادة الاستعمار البريطاني للمنطقة . وجاء بعده كميل شمعون وفق نفس قواعد التوازن .

وقد أراد شمعون أن يعيد انتخاب نفسه في سنة ١٩٥٨ ولكن التوازن في المنطقة كان قد تغير فقد كانت المنطقة العربية تعيش في تلك الفترة مرحلة مد قومي عربي يقوده جمال عبد الناصر بعد حرب السويس وخلفه هالة عظيمة من تأميم قناة السويس إلى طرد الاستعمار البريطاني من مصر، حتى معركة شرسة مع فرض الأحلاف على المنطقة وجاءت الوحدة بين مصر وسوريا لتتوج هذه الانتصارات جميعا. وفي مواجهة ذلك الاستعمار البريطاني بعد أن أخذ عصاه على كفه وبدأ في الرحيل، ترك الباب مفتوحا للاستعمار الأمريكي ليحل مكانه وبأشكال مختلفة عنه. ومحصلة الصراع بين التيارين.. الحركة القومية بقيادة عبد الناصر والحركة بقيادة الولايات المتحدة أدت إلى انتخاب فؤاد شهاب باتفاق مصري-أمريكي من خلال توازنات داخلية. وهونفس التوازن الذي أدى إلى انتخاب شارل حلو رئيسا للجمهورية خلفا لفؤاد شهاب.

وقد ظل هذا التوازن إلى أن وقعت هزيمة سنة ١٩٦٧ فاختل التوازن لصالح المعسكر الأمريكي. فقد كانت من نتائج الهزيمة تصاعد دور دول الدعم المالي. وفي الساحة اللبنانية يتمثل ذلك في محور السعودي الذي كان يمثل صائب سلام-سليمان فرنجية. كامل الأسعد أي السنة مع الموارنة مع الشيعة بنفس الترتيب. ومن خلال بروز القوى العربية الجديدة وما أدت إليه من توازن جديد ثم انتخاب سليمان فرنجية رئيسا للبنان بأغلبية صوت واحد وهو ما لم يسبق حدوثه مع أي رئيس آخر في لبنان.

وواضح أن عملية الانتخاب كانت عسيرة والسبب أن التوازن الذي يهالـم يكن قد فقد عناصر قوته تماما كما أن التوازن الجديد لم يكن قد استقر على الساحة نهائيا.

وجاءت انتخابات الرئاسة الجديدة وسط الحرب الأهلية مما جعل الاختيار سبعا. فالولايات المتحدة لم تعد بعد حرب فيتنام تلعب دورها بنفسها بل أصبحت

تعتمد على قوى إقليمية . و يصبح دورها مجرد الدعم والتشجيع وبالطبع النصح .
وهى فى هذه المنطقة لابد أن تكون القوى التمثيلية لها إما عربية وهو الأرجح
إسرائيلية وهو الاستثناء فى حالة الحركة داخل موقع عربى لأن الاعتماد على
إسرائيل أساسا هو فى القوة الضاربة وليست القوة التوافقية . وكان المحور السعودى
هو القوة المسيطرة فى المنطقة . وبحسابات إقليمية توافق خط المحور السعودى مع خط
دمشق بعد عدة تقلصات فى الجسد العربى . كما أن فى داخل الساحة اللبنانية
كانت هناك مشكلة . فلم يكن ممكنا تحقيق طموح كميل شمعون أو أحد أقطاب
الكتائب وإلا كان الأمر أنفصاح الواقع العربى تجاه الثورة الفلسطينية وهو محارص
الجميع أن يبقى من تحت المائدة . كما أنه يبدو وكان الجهة الانعزالية قد انتصرت
فى الحرب . وهو ما لم يحدث بل على العكس كانت مهزومة حتى دخلت إليها القوة
العربية لتتخذها . وأصبحت عملية اختيار الاسماء صعبة خاصة وأن الحركة
الوطنية لأسباب عاطفية ونتيجة خطأ فى الحساب وقفت وراء رموز أده وهى تعرف
استحالة انتصاره بعد إعلانه صراحة الحرب الإعلامية على الدور الأمريكى فى
المنطقة . هذا إلى جانب أنه كان من أبرز القوى بل كان حزبه هو القوة الوحيدة
التي عارضت اتفاق لبنان مع المقاومة سنة ١٩٦٩ « اتفاق القاهرة » صراحة بينما
وافق عليه الآخرون . وانتهى الصراع إلى منافسة بين الياس سركيس ورموز أده .
اذ وقفت سوريا والسعودية والولايات المتحدة والقيادات المارونية وراء سركيس
الذى كان مرشحا فى انتخابات الرئاسة السابقة أمام فرنجية وخسرو يفارق صوت
واحد . . وكانت تعارضه القيادات المارونية التي وقفت هذه المرة معه .

وكان لابد من حسم مسألة اختيار الرئيس الجديد قبل حسم مسألة استمرار
سليمان فرنجية . وانتهت الضغوط بكل صيورها إلى تعديل المادة ٧٣ من الدستور فى
٢٢ مارس حيث يصبح ممكنا لمجلس النواب انتخاب رئيس الجمهورية قبل ٦ أشهر
من نهاية ولاية الرئيس الذى فى السلطة . وكانت سوريا قد تعهدت لكل الأطراف

على ضمان تصديق سليمان فرنجية على التعديل ثم استقالته بعد انتخاب الرئيس الجديد ، ولكن فرنجية احتفظ بقرار مجلس النواب بتعديل المادة ٧٣ مايقرب من شهر دون تصديق وبالتحديد وقع عليه في ٢٤ ابريل وانتقلت العملية إلى مشكلة تحديد الجلسة ومكانها وسط عنف القتال وتهدم مبنى البرلمان .

وقد تحدت الجلسة أول مرة في أول مايو ولكن الأحزاب والقوى الوطنية اعترضت على الموعد قبل الانتهاء من المشاورات وكسبل شمعون أراد التأجيل عدة أيام فقط حتى ٤ مايو بينما اعتبر ريمون اده الإسراع بعقد الجلسة مؤامرة لاسقاط اده . وأعلن كل من بيار الجميل ورشيد كرامي وجماعة الكسليك تبنى ترشيح إلياس سركيس محافظ البنتك المركزي للبناني للرئاسة وفي ٢٨ ابريل أعلن الياس سركيس ترشيح نفسه واعداد أن يسير على هدى مبادئ الشهاين المطورة . وأعلن ترشيحه بتأييد سور يا له . وأمام صعوبة عقد الجلسة تأجلت حتى ٨ مايو وخلالها بدأ الحديث عن إمكانية اختيار مرشح ثالث . كنوع من التوفيق حيث يتنازل كل جانب عن مرشحه لصالح مرشح ثالث يجمع الكل عليه . ولكن سور يا رفضت الفكرة كما رفضتها قيادة الجبهة التي اجتمعت في ٣ مايو (فرنجية - شمعون - الجميل - قسيس) وأعلنت رفض فكرة المرشح الثالث . وأعلن الجميل تأييده لسركيس بينما تحفظ شمعون في إعلان تأييده لمرشح معين . ووصل دين براون المبعوث الأمر يكي إلى بيروت . وقد جرت اتصالات مكثفة بين كل الأطراف كانت محصلتها :

- اتفاق فلسطيني لبناني (الحركة الوطنية) على منع عقد الجلسة عن طريق المقاتلين والحواجز بحيث يستحيل وصول الأعضاء إلى مقر الجلسة في منطقة قصر منصور .
- اتفاق سوري - فلسطيني على عقد الجلسة . وهو على عكس اتفاق المقاومة : مع الحركة الوطنية اللبنانية وذلك مقابل وعود من حافظ الأسد بتبخرت بمجرد انتهاء الانتخاب .

وفي مساء ٧ مايو بدأت الصاعقة السورية الأصل الفلسطينية الشكل في جميع أعضاء البرلمان في فندق برستول برأس بيروت قرب الحمراء وذلك في السيارات المدرعة . وكانت الأدوار التنفيذية موزعة باتفاق بحيث لا يبدو التدخل السوري الأمر بكبي صريحاً بل من خلال عناصر داخلية . وهما الكتائب والصاعقة وكلاهما تقوم بالدفع وتأمين الحماية .

فمنظمة الصاعقة طبقاً لوثائقها التي عثر عليها حين سقطت المنظمة بعد ذلك تشير إلى أنها كانت تدفع ملايين الليرات لعقد الجلسة كما كان عليها تأمين وصول الأعضاء إلى مقر الجلسة . وقد أكد زهير محسن أمام الكثيرين أنه لم يدفع إلا للذين أحضرتهم الصاعقة إلى مقر الجلسة وأن هناك مصادر أخرى دفعت .

والمعروف أن بيار الجميل اتصل بكميل شمعون الذي بقى في مقره حتى قيل عقد الجلسة . وقد وعده بيار الجميل بإرسال شيك بمبلغ ٢ مليون ليرة ولكنه رفض استلام شيكات وطلب أن يكون الدفع نقداً . وفعلاً اتصل بيار الجميل بمدير بنك لبنان الفرنسي وهو وزير المالية الحالي في وزارة الحص وطلب منه سحب ٢ مليون ليرة من حساب صهر بيار الجميل وهو عضو مجلس إدارة البنك . ونوجهت سيارة فولكس فاجن إلى مقر البنك ووضعت المبالغ في حقائب داخل السيارة التي توجهت في حماية عسكرية كتائبية إلى مقر شمعون الذي تحرك مع مجموعته البرلمانية فور تسلمه المبلغ .

كامل الأسعد رئيس مجلس النواب حصل على ٣ ملايين ليرة من سوريا لعقد الجلسة وحضور مجموعته البرلمانية و يوم الجلسة فاجأ ممثل الصاعقة بأن مسؤوليته تنتهي عند نفسه وتحديد موعد الجلسة . وكان معنى ذلك ضرورة دفع مبالغ أخرى إلى أعضاء مجموعته البرلمانية لاستكمال النصاب القانوني وهو ٦٦ عضواً على الأقل .

أما منظمة فتح والتي كانت تتولى مسؤولية إغلاق الطرق الموصلة إلى مقر الجلسة قامت بظاهرة كاذبة بقيام سياراتها بإطلاق الرصاص في الهواء في منطقة تبعد عدة كيلومترات عن مقر الجلسة .

وكانت آخر مفاجآت هذا اليوم هي أن إلياس سركيس اشترط لانتخابه ضرورة موافقة المقاومة . فعلا تم تأمين اتصال تليفوني بينه وبين أبو إياد . أحد قيادات فتح - الذي كان دقيقا في اختيار كلماته فهو لم يعلن صراحة الموافقة ولكنه قال إن منظمة فتح لا يمكن أن توافق على أن تدخل في صدام مسلح مع منظمة فلسطينية أخرى . ويعني منظمة المصاعقة . أى أن فتح لن تطلق النار على المصاعقة التي تتولى عقد الجلسة مع الكتائب . وفهم سركيس الرد على أنه يعني أن فتح كبرى منظمات المقاومة لن تعارض في انتخابه ، كما لن تعوق عقد جلسة انتخابه .

وهكذا أمكن إحضار ٧٠ عضوا كان يعرف كل منهم أن حياته في خطر وكان الأعضاء يدخلون إلى المبنى جريا بمجرد نزولهم من السيارات . وهى مغامرة ولكنها على أى الأحوال كانت مغامرة مدفوعة ومحسوبة في نفس الوقت . وقد حاولت وحدات مقاتلي الحركة الوطنية قفل الطرق ولكن محاولاتها فشلت بعد نخل المقاومة لحسابات خاصة بالعمل الفلسطيني . وهو أمر كان لابد للحركة الوطنية أن تتحسب له لأن معركة المقاومة هي في النهاية تختلف عن معركة المقاومة هي في النهاية تختلف عن معركة الحركة الوطنية اللبنانية وخاصة في هذه الجزئية .

وقد اجتمعت الأحزاب والقوى الوطنية في غياب كمال جنبلاط بعد إعلان نتيجة الانتخابات وأعلنت رفضها لما انتهت إليه جلسة مجلس النواب واعتبرت أنها أسفرت عن تعيين رئيس وليس انتخابه . وتحدث بيانها عن الضغوط السياسية والعسكرية التي فاقت كل حد . وأن القسم الأكبر من النواب جرى إحضارهم بالضغط المسلح ، والرشوة .

وأعلن رعون انه أنه يتمنى التوفيق للرئيس الجديد في مهمته وأن يكون انتخابه بداية حل الأزمة .

وقالت إذاعة دمشق إن الإرادة اللبنانية هي التي انتصرت . وأن الذين عارضوا عقد الجلسة دلوا بمواقفهم على زيف ادعاءاتهم . وقال زهير عحسن رئيس الصاعقة إن كل ما وقع في يوم الانتخاب يجعله يوما تاريخيا وعظيما . وأنه كان الضربة القاضية الموجهة إلى مخطط التقسيم والفتنة الطائفية التي غطبت فيها الفئات والأحزاب التي تسمى زورا « وطنية وتقدمية »

أما النائب البير منصور فقد دعا النواب الذين حضروا جلسة الانتخاب أن يتجروا ويقولوا لماذا نزلوا إلى المجلس وانتخبوا إلياس سركيس . وكم قبضوا وبأى أنمان بخسة باعوا إرادة الشعب .

وأصدر المكتب السياسي لحزب الكتائب بيانا اعترف فيه انعقاد الجلسة دليلا قاطعا على الإرادة الشعبية باعتماد الحل السياسي . وأكد البيان على أهمية استمرار التعاون مع سوريا .

الامام الصدر قال إن انتخاب سركيس فصل جديد في حياة الوطن . والمواطن . ويمكن أن يكون بداية النهاية .

وأعربت وزارة الخارجية الأمر يكية عن اغتباطها لانتخاب الرئيس الجديد . وأكدت استعداد الولايات المتحدة لمساعدة اللبنانيين على التوصل إلى حل سياسي لمشكلاتهم وقال المتحدث الرسمي باسم الخارجية إن سوريا مستمرة في تأدية دورها البناء في لبنان . وقال إن دين براون سوف يغادر لبنان قريبا - ١ - وفعلا غادر المبعوث الأمريكي بيروتي في ١١ مايو .

وفي ١٦ مايو برزت من جديد مسألة استقالة فرنجية . فقد كان حافظ الأسد قد

وعند المقاومة وعدة أطراف لبنانية أنه يضمن استقالة سليمان فرنجية بعد انتخاب سرركيس ولكن فرنجية أصدر بياناً ينفي فيه ما قاله الإنام الصدر عن أن القيادة السورية تضمن استقالة فرنجية وقال البيان إن الأمر يرجع للإرادة اللبنانية وحدها . وقد أعلن كمال جنبلاط رداً على بيان فرنجية أن الرئيس الأسد أكد أنه يضمن استقالة فرنجية ويجعله يستقيل ساعة ما يشاء ، أما رشيد كرامي فقد أصدر نداءً لسليمان فرنجية بأن يستقبل فوراً ليتيح للرئيس الجديد فرصة القيام باتصالاته ونشاطه . وكامل الأسد يؤكد أن هناك ضمانات باستقالة فرنجية أبلغها حافظ الأسد للوفد الثلاثي صائب سلام ورشيد كرامي وكامل الأسد .

وكان واضحاً من تعدد المصادر واختلافها أن سوريا وعدت فعلاً وضمنت استقالة فرنجية إذا انتخب سرركيس . ويبدو أن الأمر أمام احتمالين لثالث لها إما أن سوريا وعدت بما لا تستطيع الوفاء به من أجل أن يتم انتخاب سرركيس بأي شكل وإما أنها وعدت بما تعرف أنها لا تريد أن تفعله وهو إجبار فرنجية على الاستقالة وهي التي وعدت قبل ذلك بعام بضمان استمراره . وتكون قد التزمت بوعداها الأول بضمان استمراره حتى نهاية مدته وأما وعداها للقوى اللبنانية فهو من باب المناورات الانتخابية وليس من نوع الوعود والالتزامات الواجبة النفاذ . . . !

وقد بقي فرنجية فعلاً حتى نهاية مدته . . وربما على حد قول البعض حتى ضمن دخول القوات السورية . والذي يتردد في كل مكان بلبان أن سوريا ضمنت بقاء فرنجية رغم وعداها بضمان استقالته وذلك مقابل أن يطلب فرنجية دخول القوات السورية قبل انتهاء مدته . . ودخلت القوات السورية وانتهت مدة فرنجية الذي هب غير مأسوف عليه إلى مقره في إهدن و يوم التقيت به وأمامه على مكتبه مدفع صغير تذكرت أنه أراد به الرمز باختصار إلى مهمته الأساسية خلال عهده .

هوامش الفصل السادس

- (١) أبعاد القومية اللبنانية . محاضرات جامعة الروح القدس . الكسليك لبنان ١٩٧٠ .
- (٢) بيروت المساء ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٧٥ « مشروع قبرصة لبنان »
- (٣) المحرر في ٥ أبريل ١٩٧٦ .
- (٤) في ٢٤ يوليو سنة ١٩٧٦ .
- (٥) د . محمد المجدوب تدو يل الأزمة اللبنانية - شؤون فلسطينية عدد ٦٦ ص ٤٤
- (٦) صحف لبنان في ٢٧ يوليو سنة ١٩٧٦ .
- (٧) النداء في ٢٩ يوليو سنة ١٩٧٦ .
- (٨) ملاحق رقم (٥)
- (٩) كتاب العمل الشهري . العدد رقم ٢ ص ٢٨
- (١٠) أعلنها في ٢٤ يونيو ١٩٧٥ .
- (١١) لبنان في نظامه السياسي . القضية اللبنانية رقم ٢ . جامعة الكسليك . لبنان ١٩٧٦ .
- (١٢) وثيقة حرب لبنان . مركز الأبحاث بدار الصياد . بيروت ١٩٧٥ ص ٣٢٨ - ٣٥٦
- (١٣) وكالة الأنباء الفرنسية في ٢٩ ديسمبر ١٩٧٥ .
- (١٤) حول العلمانية . محاضرات جامعة الروح القدس . الكسليك . ١٩٦٩ .
- (١٥) يوميات الحرب اللبنانية . مركز التخطيط لمنظمة التحرير - ج ٢ ص ٨٣ - ٨٤ .
- (١٦) نص الوثيقة الدستورية والرد عليها . القضية اللبنانية رقم ١١ . الكسليك ص ٢٠ - ١٣
- (١٧) مجلة الحوادث في ١٩ مارس سنة ١٩٧٦ .
- (١٨) يوميات الحرب اللبنانية ج ٢ ص ١٢٨ .
- (١٩) نص التقرير في ملاحق الكتاب برقم (٦)
- (٢٠) ضونة التقرير ١٦ / ع ١ / س في ملاحق الكتاب برقم ٦
- (٢١) الحوادث . ١٩ مارس سنة ١٩٧٦ .

- (٢٢) وهو من أغرب الشخصيات في صفوف المقاومة . فهو شاب « بيتلز » كان حلقة الاتصال مع الكتائب تزوج من جورجينا رزق ملكة جمال العالم ... وعلاقتها بالمخابرات الأمريكية ليست سرا في لبنان ثم تركها أمام ما أثارتته في صفوف المقاومة وقيل إنه كان عشيقا لها وليس زوجا ولكنه على أي حال اشترى لها شقة بمبلغ ٤٠ ألف ليرة . وهو غير مقاتل ولا منضبط وقد سمعت نقدا مريرا له من قيادات فلسطينية ومع ذلك فهو موجود !
- (٢٣) الأهرام في ١٧ مارس سنة ١٩٧٦ .
- (٢٤) خالده جابر . حول إنتخابات الرئاسة في لبنان . شؤون فلسطينية رقم ٥٨ ص ١٠-١٢

الفصل السابع

الرهان على من ؟

كان سباق لبنان المجنون مع الموت مجالا مفتوحا بلا قيود لأصحاب المصالح - من القوى الدولية - في إعادة رسم خريطة المنطقة . واشتركت هذه القوى في إعداد وتدريب « المهارعين » في سباق الموت واشتركت في الرهان أيضا على المنتصر .. الخاسر !

وأظن أن الصفحات السابقة من الكتاب أوضحت عملية إعداد المناخ والقوى سواء كانت في اعتبارات داخلية من وصول الموقف اللبناني الداخلي إلى نقطة حتمية التغيير، لو كان قد تم في ظل وجود فلسطيني قوى لكان التغيير في صالح فقراء لبنان وهم غير المجرومين طبعاً ! - كما أن الموقف في المنطقة قد وصل إلى نقطة الأقتراب من العمل على تسوية سياسية للصراع مع إسرائيل ، وهو لوبد والوجود الفلسطيني متبلورا في تنظيم ثوري لما تحقق الهدف الحقيقي من التسوية

بالشروط الأمريكية . كان ذلك كله واضحا من الفصول السابقة . وهو ما يفتح الطريق أمامنا لمتابعة الدور الدولي في مأساة لبنان .

وكانت أكبر الحقائق التي فضحت أحداث لبنان هي أن المنطقة العربية أصبحت مرتبطة بخطة حلف الأطلنطي العسكرية ، وتدخل في دائرة اختصاصه . وقد تبلور ذلك في أن الحلف شكل لجنة خبراء مدنيين وعسكريين عرفت « بلجنة ارتباط » . وكان مقر عملها طوال العام الأول من الحرب في غرفة عمليات وزارة الدفاع اللبنانية . وكانت من أهم واجباتها تسهيل العقبات في صفقات السلاح والتي تمت في باريس وبروكسل وبون و طهران وأكرا إذ أن بعض الأسلحة كان لابد من الحصول على تصريح من الدولة المنتجة وهو ما لا يمكن أن يتم إلا من خلال دولة تقوم بدور الطرف الثالث . وقامت هذه اللجنة بإصدار هذه التصريحات .

وكانت الحقيقة الثانية هي أن ألمانيا الغربية دخلت طرفا في الصراع ، على الأرض العربية وسواء كان ذلك بهدف غاربية الشيوعية ونفوذ تخيله لألمانيا الشرقية أو كان تعبيرا عن دور تريد أن تستعيده في السياسة الدولية منذ هزيمة هتلر . وأصبحت عملاقا اقتصاديا وقزما في السياسة الدولية . وفي اعتقادي أنه ليس المهم السبب ولكن الأهم هو أن ألمانيا الغربية وجدت في الحرب من خلال لجنة بيجانت تضم ممثلين عن كل من الحزب الديمقراطي المسيحي والحزب الاشتراكي . لتقديم المساعدات إلى المقاومة سواء من ألمانيا الغربية أو عن طريقها من دول أخرى (١) .

والملاحظة التي يجب تسجيلها منذ البداية هي صعوبة دراسة هذا الدور الدولي نظرا لتشعبه وتعدد الأدوار ، بمعنى أنه يشمل أطراف وساحات عديدة إلى جانب أن بعض الدول كان لها دور مزدوج ، أي تلعب لحسابها كما تلعب لحساب غيرها . ولذلك فإني سوف أحاول قدر الإمكان فصل الأدوار عن بعضها مجرد إبراز دور

كل دولة على حدة وإن كان ذلك سيكون على حساب الصورة الشمولية التي
 • سأحاول توضيحها بقدر الإمكان . وقد اخترت عددا من الأطراف هي في النهاية
 كانت الدول الرئيسية وهي :

اسرائيل

إن اسرائيل كانت في لبنان طوال الأحداث وقبل الأحداث . وقد سبق عرض
 عملياتها الانتقامية والتي كانت تهدف إلى تحريك القوى المارونية لضرب
 الفلسطينيين وسيادة الشعور بالخطر طالما بقيت القوى الفلسطينية على أرض لبنان
 كما كانت موجودة بعمليات عسكرية داخل بيروت مثل عملية اغتيال أربعة من
 قيادات المقاومة وعملية إطلاق الصواريخ من شقق في بيروت على ثلاثة مكاتب
 فلسطينية هي مكاتب منظمة التحرير ومنظمة فتح ومركز الأبحاث . وطوال العام
 السابق للأحداث في لبنان لم يكن يمر أسبوع دون اعتداء اسرائيلي على مواقع
 المقاومة في لبنان ودون قيام الكتائب والأحرار وعملاء إسرائيلياً بمحادثات اغتيا'
 لأحد الفدائيين على أرض لبنان .

ودور إسرائيل في لبنان له أصوله التاريخية كما يوضح أنه أبعد من مسأله وجود
 المقاومة على أرض لبنان .

ففي ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ قال بن جوريون تعليقا على تقرير لجنة بيل . « بأن
 إحدى النزاي الأساسية في الخطة هي أنها تجعل لنا حدودا مشتركة مع لبنان .
 فلبنان هو الحليف الطبيعي لفلسطين اليهودية . إن وضع المسيحيين يشبه إلى حد
 كبير وضعنا في فلسطين . والفارق بيننا هو أنهم لا يستطيعون التوسع عن طريق

المهجرة بيتنا نحن نستطيع . فلبنان عماط مثلنا ببحر إسلامي . وهو مثلنا جزيرة حضارية في صحراء بدائية . ولذلك فلبنان في حاجة إلى دعمنا وصدقاتنا بالدرجة نفسها التي نحن في حاجة لدعمه وصدقاته . فليس كل سكان لبنان مسيحيين ، وليس كل المسيحيين فيه ينتمون إلى طائفة واحدة . الموارنة مع أنهم المسيطرون هم أقلية ، وبدون اليهود كنجيران سوف لن يكون لهم مستقبل مستقل . والدولة اليهودية سوف تجدد في لبنان جليفا وفيها منذ اليوم الأول لوجودها ، ولن يكون مستعبدا أننا عبر لبنان سنجد الفرصة لتوسيع عملنا مع جيراننا (٢) . وقد سبق أن أشرت في فصل سابق إلى أن أصوات اليهود في بيروت يحصل عليها حزب الكتائب .

ولسنا في حاجة إلى العودة أبعد من ذلك لأن مطامع إسرائيل في جنوب لبنان حتى نهر الليطاني معروفة منذ تحدث عنها حاييم وايزمان في مؤتمر باريس سنة ١٩٢٠ . كما أنه في مذكريات ساسون رسائل متبادلة بين بن جور يون وموسى شاريت والياهو ساسون ، إن بن جور يون اقترح سنة ١٩٥٤ العمل على إنشاء دولة مارونية مستقلة في لبنان وأن ذلك يخدم مصالح إسرائيل ولكن موسى شاريت عارض الفكرة . أما ساسون فقد أبدى شكوكه في إمكانية تحقيق ذلك (٣) .

إذا كان هذا هو الموقف في الماضي فإن الموقف الحاضر يعبر عنه ما كتبه صحيفة هارتس الإسرائيلية في يناير سنة ١٩٧٥ أي مع بداية تحرك بيار الجميل برسائله إلى رئيس الجمهورية تقول إنه يجب على إسرائيل أن تدرس الطرق الفعالة لدفع نظام الحكم في لبنان إلى العمل على تقليص عمليات « المحرّين » من أراضيهم . ويوضح تعليق لمرتسوج من إذاعة إسرائيل بعد ذلك بخمسة أيام أن هناك شعورا بأن النشاط العسكري الإسرائيلي في جنوب لبنان لا يعمل في صالح إسرائيل . ولذلك كان لابد من البحث عن وسيلة أخرى (٤) .

ويقول إسحاق رابين - وكان رئيساً للوزارة وقتها - إن الحرب اللبنانية قد تركزت - ولأول مرة منذ خمسة أعوام - المستعمرات الإسرائيلية على الحدود اللبنانية تحسب بالأمان . وأصبح الذين يعبرون الحدود بدلا من الفدائيين هم لبنانيون يطلبون العلاج أو العمل أو بيع محاصيلهم في إسرائيل (٥) .

ويقول أهارون كوهين في صحيفة عال همشمار (٦) إن رؤية الأزمة السياسية في لبنان وكأنها ليست سوى تطلع العناصر الإسلامية المتطرفة إلى عو طابع لبنان الخاص وصهره في بحر العالم الإسلامي هي نظرة غيبية وسطحية تشوه صورة الواقع . فالأمر لا يقف عند حد أن المتحارين من أجل تعديل الدستور ليسوا عناصر إسلامية متطرفة فحسب بل إن قوى التقدم من أبناء الطوائف الأخرى بما في ذلك المسيحيون والدروز . فنظام لبنان يعتبر عقبة في سبيل تمثيل المصالح والقوى الاجتماعية المتعلقة . ففي التركيب السياسي القائم نجد أن جماهير الشعب تخضع بالضرورة لسلطان رؤساء الطوائف وخلافا لمصالحهم الفعلية والحقيقية فإن قوة العمال والمثقفين غير موجهة ضد أصحاب المصالح التي تعارض مصالحهم في جميع الطوائف بل ضد الحلفاء الطبيعيين وإخوة المصير في الطوائف الأخرى .

ومعنى ذلك باختصار:

- أن إسرائيل ترى في موقف الموارنة خليفة طبيعي منذ البداية .
- أن قيام دولة للموارنة في لبنان هو اتجاه في صالح إسرائيل وهي تسعى إلى تحقيقه .
- أن إسرائيل تفهم جيدا سليات تجربة الحكم في لبنان وبالتالي يمكنها التعامل معها .
- أن استمرار أزمة لبنان يحقق لإسرائيل الراحة والأمان من العمل الفدائي .

— أن ماطرحة بيبير الجميل في يناير سنة ١٩٧٥ على الساحة اللبنانية هونفس ماتطالب به إسرائيل . وقد تبلور ذلك كله في حركة إسرائيل طوال الأزمة .

فهى لم تتوقف أبدا عن ضرب بعض القرى في لبنان أو القيام باستعراضى جوى حيث تقوم الطائرات باختراق حاجز الصوت فوق لبنان حتى إن معدل هذه العمليات كان يصل إلى عملية كل ثلاثة أيام . فنجدها مثلا في ٢٨ ابريل سنة ١٩٧٥ أى بعد أسبوعين من حادث عين الرمانة قامت طائراتها باختراق المجال الجوى اللبناني والطيران فوق بيروت والبقاع وصيدا . وفي اليوم التالى قامت بقصف مدفعى لمزارع عيتا الشعب وضواحي يارون ، كما حلق طائراتها فوق المرقوب والقطاع الأوسط .

وقد أثارت هذه العمليات جدلا في إسرائيل حتى إن صحف إسرائيل (٧) كتبت حول جدوى هذه العمليات . فقالت معايف إنه ماكان ينبغي على إسرائيل القيام بهذه العمليات وكان يجب البحث عن وسائل أخرى لأن هناك اعتبارات سياسية مهمة كانت تستدعى الإمتناع عن هذه الأعمال . وتساءلت صحيفة «جورنال دى إسرائيل» إذا كانت هناك ضرورة مطلقة للقيام بهذه العمليات خلال الأزمة في لبنان . أما «دافلر» فقد عبرت عن أسفها لأن مثل مثل هذه الاشتباكات تشغل الجيش اللبناني عن التحرك ضد «المخربين» الفلسطينيين وقد أجمعت صحف إسرائيل على ضرورة تقديم العون إلى الكتائب باعتبار الكتائب الحليف الطبيعي لأولئك الذين يقفون ضد الفلسطينيين على حد وصف معاريف .

والواقع أن إسرائيل لم تتوقف عن هذه العمليات التى اعتبرت أنها تعبير عن الوجود الإسرائيلى على مجرى الأحداث في لبنان . وتأكيـد

حرى على أن الجيش الإسرائيلي مستعد للتدخل إن كان لإسرائيل مصلحة في ذلك .

وأهم ما أرادت إسرائيل إبلاغه للدول العربية هو أن تضعها تحت تأثير الخطر من قيام إسرائيل باحتلال جنوب لبنان . وتجعلها تتحرك إما على هذا الأساس أو على الأقل تحت ضغط هذا الخطر القائم .

وكانت تعمل على زيادة اشتعال الموقف على جبهة لبنان الداخلية ومنع أى محاولة لوقف المذابح حتى تحقق المأساة اللبنانية أكبر قدر من المكاسب لإسرائيل . وكان أسلوب إسرائيل يعتمد على عدة اتجاهات . أحدها هو إثارة مخاوف الموارنة باستمرار من أى اتفاق قبل أن يسود منطقةهم والآخر هو تقديم الدعم لقوات « الاتعزاليين » والتنسيق السياسى معهم . والثانى هو فتح الحدود مع الجنوب لفرض السيطرة عليه .

وقد ظهرت عدة حقائق رغم أن إسرائيل كانت تنفى أى دعم أو تنسيق بينها وبين جبهة لبنان .

وكانت أولى الاجتماعات بين قيادات الجبهة وإسرائيل هى زيارة شربل قسيس لإسرائيل فى ٥ أبريل والتي انتهت يوم ١٣ إبريل مساء ، أى بعد ساعات من عملية عين الرمانة والتي كانت إشارة البداية . ثم متابعة الاجتماعات إما فى إسرائيل عن طريق البحر وإما فى ميناء جونيه الذى اعتبرته جبهة لبنان عاصمة لها . وقد أعلن عبد الحليم خدام وزير خارجية سوريا أن كميل شمعون قد اتصل بإسرائيل أربع مرات حتى ١٠ يناير سنة ١٩٧٦ وأن سيمون بيريز وزير دفاع إسرائيل السابق زار جونيه ٣ مرات آخرها كان فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٧٧

واجتمع خلالها بكميل شمعون وبير الجميل (٨) . وأن أول زيارة قام بها كانت في مايو سنة ١٩٧٦ حين تحركت ثلاث سفن صاروخية من ميناء حيفا إلى جنينيه وكانت إحداها تحمل إسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل وسميون بيريز وزير الدفاع . وقد انضم إليهم سفينتان تحمل الأولى كميل شمعون . وكان وزيراً للداخلية والأخرى تحمل بير الجميل ، وكان يقود السفينة رجال الضفادع الإسرائيلية وتقول مجلة تايم الأمريكية إن كلا الزعيمين رفضا الالتقاء برابين معاً وقد طلب كل منهما حسب رواية المجلة التدخل الإسرائيلي المباشر في الحرب الأهلية (٩) .

وتقول المجلة الأمريكية إن إسرائيل قدمت ما قيمته ٣٥ مليون دولار مساعدة مباشرة لجبهة لبنان ترتفع إلى ١٠٠ مليون بالمساعدات غير المباشرة ؛ ومنها تكاليف فرض الحصار على شواطئ لبنان . وقائمة الأسلحة التي قدمتها إسرائيل للجبهة كما أوردتها المجلة هي ١١٠ دبابة مع ٥ آلاف بندقية آلية غير ١٢ ألف بندقية عادية هذا غير الملابس والمأكولات . وقامت بتدريب ١٥٠٠ من متطوعي الجبهة في معسكرات إسرائيل .

وذكر مراسل هيئة الإذاعة البريطانية في القدس (١٠) أنه علم أن إسرائيل زودت المقاومة بدبابات ومدفعية . وقال إن ضباط إسرائيل على اتصال تليفوني مباشر مع قوات الجبهة .

وقالت صحيفة الميرالد تريون الأمريكية (١١) إن ميناء جنين أغلق لمدة أسبوع في أول يوليو حيث كان يتم تسليم أسلحة إسرائيلية وصلت على ظهر سفينتين شحن كبيرتين . وقالت الصحيفة إن أسلحة حلف الأطلنطي تسلّم للمقاومة عن طريق إسرائيل . وأن بعض صفقات السلاح كان يتم توصيلها عن طريق منظمة أيوكا في قبرص . ويقول مراسل الصحيفة في بيروت إن هناك قناة لدى

الدبلوماسيين الغربيين في المنطقة أن دور إسرائيل ربما كان تغطية للمساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة ودول أوروبا .

وقالت الصحيفة الأمريكية إن مصادر المخابرات الأمريكية أكدت أن المخابرات المركزية الأمريكية قدمت مساعدات إلى جبهة لبنان لعمل مخزون احتياطي من الأسلحة الخفيفة وذلك وفق برنامج الوكالة « المخابرات » لاستخدام الأقليات لوقف أى تقدم شيوعي . وفي نفس الوقت يؤكد الدبلوماسيون أن الحكومة الأمريكية لم تلعب دورا نشيطا وتركت الأمر لجهاز المخابرات .

وفد أكد دين براون المبعوث الأمريكي للبنان أن إسرائيل قدمت المساعدات العسكرية لإسرائيل (١٢) .

وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية (١٣) أن ضباط الكتائب في جنوب لبنان كانوا يتحدثون عن الوضع العسكري في الجنوب من إذاعة إسرائيل .

في برنامج شريط الأسبوع لإذاعة إسرائيل في ١٦ أبريل سنة ١٩٧٧ ذكر مذيع البرنامج أن قادة جبهة لبنان وجهوا خطاب شكر إلى وزير الدفاع سيمون بيريز على دعمه لقرى الجنوب المسيحية .

تشكلت في إسرائيل لجنة تدعى « لجنة مساعدة جنوب لبنان » وهي تعمل تحت دعوى تقديم الأغذية والأدوية . وقامت مثلا بنقل ٤٠ طنا من الأسمنت لإقامة تحصينات عسكرية لقوات جبهة لبنان .

كان التنسيق في جنوب لبنان يتم بين الجنرال أرييل شارون قائد الاحتياط الإسرائيلي في القطاع الجنوبي وسعد حداد قائد قوات الجبهة في الجنوب .

وذكرت صحيفة « دافار » الإسرائيلية في ٨ يوليو سنة ١٩٧٦ تصريحاً لسيمون بيريز وزير الدفاع قال فيه إنه في وسع اللبنانيين دخول إسرائيل للولادة والحصول

على المساعدات الطبية وحتى لتسويق منتجاتهم الزراعية . وأضاف أن إسرائيل تقيم علاقات جوار جيدة مع الأردن .

وذكرت نفس الصحيفة الإسرائيلية في ١٢ يوليو أن بيريز قال في جلسة مجلس الوزراء أن أكثر من ١٧٠٠ مريض وجريح قد تلقوا حتى الآن مساعدة طبية في عيادة الجيش الإسرائيلي على حدود لبنان . وقال إنه تنفيذا لقرار الحكومة في هذا المجال تقدم إسرائيل الملجأ المؤقت أو الدائم للاجئين اللبنانيين . وأن يضم عشرات من اللاجئين دخلوا إسرائيل . كما يقدم الجيش الإسرائيلي المساعدات الغذائية والماء . وذكرت معارف في ١٥ يوليو تصريحاً لمدير عام وزارة الزراعة قال فيه إن هناك اتصالات تجري لتسويق المنتجات الزراعية من جنوب لبنان مقابل مواد طبية ومنتجات حيوية . وقالت صحيفة عال هشمار في ٢ يوليو إن الجيش الإسرائيلي قام بمد خط ماء الشرب إلى ماوراء الحدود قرب قرية رميش اللبنانية (١٤) .

وكان كل ماتريده إسرائيل هو «تعويد» اللبنانيين في الجنوب «شعبة وموزنة» على التعامل معها في مجالات مختلفة حتى ترتبط مصالحهم بإسرائيل .

ونظرة على تصريحات قيادات إسرائيل توضح أن سياسة إسرائيل قد مرت بثلاث مراحل . الأولى كانت مرحلة متابعة الموقف في لبنان بعناية وتقديم العون إلى الموارنة . وعبر عنها الجنرال مورخاي جوب (١٥) بأن إسرائيل تشعر بالقلق من أحداث لبنان وحذر من أي تغيير في الوضع الداخلي . وهو نفس المعنى الذي كان قد أعلنه إسحاق رابين رئيس الوزراء في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٧٥ . وبعده بيومين زاد عليه إيجال آلون وزير خارجية إسرائيل توضيحاً بأن إسرائيل لا تنوى التدخل في لبنان حالياً . أما المرحلة الثانية فهي مرحلة إنذار وتهديد بأن إسرائيل لن تقبل تدخل خارجي في لبنان وعلى وجه خاص تدخل سوري . فأعلن إسحاق رابين رئيس الوزراء في ١٥ أكتوبر سنة ٧٥ أن إسرائيل ترى في أي محاولة للتدخل في

لبنان مستخلق وضعا بمثابة اعتداء على أمن إسرائيل . وهدد بالتدخل العسكى فى لبنان إذا دخلت سوريا . ولم يكن هناك أى حديث أو إشارة إلى تدخل سوريا فى ذلك الوقت . وفى ١٥ مارس التالى أعلن سيمون بيريز وزير الدفاع أن إسرائيل قد تضطر للتدخل فى لبنان إذا تحرك جيش سوريا لدخول لبنان . وكان الحديث وقتها ينحصر فى المبادرة السورية والمناقشة حول الوثيقة الدستورية . وربما كان المقصود هو الإيحاء لسوريا ببحث إمكانية تدخلها فى لبنان إلا إذا كانت لدى إسرائيل معلومات أخرى تختلف . وهو مؤكد مالم يكن موجودا فى دوائر سوريا .

والمرحلة الثالثة كانت بدايتها فى اعتقادي بتصريح للناطق باسم وزارة خارجية إسرائيل فى ١٥ أبريل ينفي استعداد إسرائيل لقبول تدخل سوريا فى لبنان . وفى ١٢ أبريل قال إيجال آلوان فى الكنيست ، أما فيما يتعلق بلبنان فإن السكوت من ذهب .

وقد دارت مناقشة خلال ذلك اعتقد أنها واحدة من أبرز المناقشات التى كان يجب متابعتها يومها من العرب . والمناقشة دارت حول إمكانية التدخل العسكى الاسرائيلى فى لبنان . ولما كان من الصعب معرفة مدار فى دوائر صنع القرار الاسرائيلى فإنه على الأقل يمكن متابعة الحوار من خلال مواقف الصحف الإسرائيلية (١٦) .

فقد ذكرت صحيفة معاريف فى ٦ يونيو سنة ١٩٧٦ أن موسى ديان يرى أن على إسرائيل ألا تتدخل بأى شكل فى لبنان . وأن على الجيش الاسرائيلى ألا يعبر الحدود حتى لو احتل السوريون ببيروت ولبنان كله إلا طلب لبنان رسميا التدخل .

وقالت «يديعوت أحروثوت» فى ٨ يوليو إن سياسة الحكومة هى «انتظر ولا تعمل» وأن الهدوء والسكينة يسودان الحدود الإسرائيلية بينا العالم العربى

مفكك . والخلاف بين مصر وسوريا مصدر رضى لإسرائيل وكذلك الخلاف بين سوريا ومنظمة التحرير الذي يؤثر في سياسة دمشق ويعزز فيها الاتجاهات المعتدلة .

وترى « هآرتس » في ٩ يوليو أن إسرائيل لو تدخلت لقدمت بذلك المساعدة لياسر عرفات واليسار اللباني . فالشرح بين مصر وسوريا الذي توقعه إسحاق رابين في ديسمبر سنة ١٩٧٤ حقق نجاحا يفوق أى تقدير على يد عنصر لم يكن رئيس الحكومة يحلم به . وفي ١١ يوليو ذكرت نفس الصحيفة أن الرأى السائد في إسرائيل هو أنه ليست هناك معطيات كافية لاتخاذ قرار حاسم ونهائى بشأن الموقف في لبنان . وأن الواضح لإسرائيل أن موقفها من التدخل السورى في لبنان لا ينطبق على أى تدخل عربى عسكري في لبنان . فلو تدخلت أطراف عربية أخرى فإن إسرائيل لا تستطيع السكون . فتدخل سوريا ينتج عنه سقوطها أمام العرب مما يتيح فرصة أكبر لمعد صفقات جديدة للتسوية وتدخل إسرائيل يفسد هذا الأمل . ويوجد العالم العربى ويعيد لسوريا مكانتها . ولا يطغى على ذلك كله إلا تعرض أمن إسرائيل لخطر حقيقى .

وهكذا تبلور الموقف في أن قيادة جبهة لبنان المارونية تريد إسرائيل أن تدخل عسكريا بينما ترى إسرائيل أن تدخلها في صالح الثورة الفلسطينية واليسار اللباني بل ويعيد وحدة الجبهة العربية التى ترى إسرائيل أن من مصالحها العليا أن تكون مفككة وأن إسرائيل طرحت فكرة تدخل سورى مسلح في لبنان قبل أن يفكر فيها أحد آخر بطريق طرح المرفوض إسرائيليا ليكون مقبولا عربيا أو على الأقل يبدو وكأنه مفروض على إسرائيل وفى غير صالحها بينما في النهاية يلتقى بل يتطابق تماما مع مصالحها . فجبهة لبنان راهنت على تدخل إسرائيل بينما راهنت إسرائيل على تدخل سورى .

وقبل الانتقال إلى نقطة أخرى حيث يعالج التدخل السوري في فصل آخر فانه لابد من توضيح أن إسرائيل كانت الدولة الوحيدة في العالم التي شجعت تقسيم لبنان. كما أنها انفردت بموقف رفض الوثيقة الدستورية التي توصل إليها سليمان فرنجية وحافظ الأسد. وكان انجاء معظم تعلقات صحف إسرائيل هو التشكيك في إمكانية تنفيذ الوثيقة واعتبرتها صحيفة دافار - ٤ فبراير - ستؤدي إلى محو الكيان القومي للطائفة المارونية من خريطة لبنان السياسية وتصورتها معاريف - ١٥ فبراير - انقلاباً في توزيع القوى السياسية بلبنان مع أنها تبدو مجرد تعديلات تجميلية بعمل تعادل في نسبة التمثيل النيابي وتلغى حق رئيس الجمهورية في تعيين رئيس الحكومة. وتقول « هاتسوفيه » - ٢٠ فبراير - إنها بداية فقدان الميحين للمواقع التي تؤمن لهم الامتيازات في جميع مجالات الحكم. واعتبرت « عال م شمار » - ٢٠ فبراير - أن سوريا هي المنتصر الأساسي في الأزمة اللبنانية. وأن الوثيقة هي تعبير عن انتصار دمشق.

وباختصار فإن إسرائيل كانت مع التقسيم وضد الإصلاح والتغيير في البنيان اللبناني فهي تريد أن يبقى على شكله الخاطيء. وتبقى مسألة أخيرة في أحداث لبنان وكان لإسرائيل موقف منها هو جيش لبنان العربي. فقد اعتبره سيمون بيريز - معاريف ١١ مارس - مسألة موضع بحث. وإسرائيل ستحدد موقفها بناء على سلوك جنود هذا الجيش الذي يضم الفارين من جيش لبنان ويحتل مواقع على حدود إسرائيل. وعلقت الصحيفة في نفس اليوم على الموضوع بأنه يعتبر عملية لها انعكاسات خطيرة سواء بالنسبة إلى الوضع الداخلي في لبنان أو بالنسبة إلى مستقبله والوضع على الحدود مع لبنان. وقالت صحيفة دافار - ١١ مارس - إن الفراغ الذي نشأ نتيجة ترك الجيش اللبناني مواقع في الجنوب جعلها مراكز للقوى المعادية. وأن أسوأ ما في ترمد هؤلاء الفارين من الجيش اللبناني هو تركزهم في المواقع الأمامية

على حدودنا الشمالية وأن هذا الجيش يدد الآمال التي علقها المسيحيون على وقف القتال والتسوية فإنه أصبح من المتوقع نهاية جيش لبنان بالقيادة المسيحية . والمعروف أن إسرائيل كانت تضع الآمال على جيش لبنان الرسمي بأن يتدخل . حسب اقتراح « هآرتس » ١٨ / ٩ / ٧٥ . ويفرض بمساعدة قوى الأمن والميلشيات النظام في لبنان . والأهم أن يقضى على الوجود المسلح للمخربين - المقاومة - الذين هم مصدر كل مصائب لبنان . وهو نفس تعبير بير الجميل . وهكذا جاء إنشاء جيش لبنان العربي - الذي أثار غضب دمشق - ضربة لآمال إسرائيل . وقالت « عال همشمار » - ١١ مارس - إن التمرد في الجيش اللبناني هو مظهر للمعارضة المتقنعة من جانب العناصر المتطرفة لدور سوريا في إيجاد حل وسط . وربما ينطوي أيضا على تعبير من الاستياء على تقارب دمشق - عمان على حساب منظمة التحرير والمقاومة .

أما موقف إسرائيل تجاه انقلاب عزيز الأحذب فقد كان - دافار ١٤ مارس - الشك في وجود اتجاه فعلي نحو خيانة حدود لبنان وتوحيد جيشها - وترى - يديعوت أحرنوت ١٤ مارس - أنها حركة لبنانية داخلية مع أنه يبدو أن السوريين سعداء بها .

ويقول المعلق السياسي لصحيفة دافار - ١٤ مارس - إن ذلك هو على ما يبدو الطريق في المعسكر المازوني للمحافظة على كيان لبنان وحماية مكانتهم فيها . فهم لا يؤمنون بسياسة فرنجية ولا شمعون كما أنه خاب أملهم في احتمال تدخل غربي أو إسرائيلي . وهم يعلمون أن ميزان القوى العسكري قد تغير في صالحهم . وهم لا يريدون جولة أخرى من الحرب وربما كان انقلاب الأحذب هو الحل الأفضل في الظروف الحالية فإذا نجح الجيش في تحقيق الاستقرار والمهدوء سينشأ احتمال أن يبقى لبنان قائما بصيغته الخاصة .

ولأجد ماينهى هذا الجزء سوى مقال لكاتب إسرائيلي في صحيفة دافار- ١٩
ابريل- بعنوان « اتركوا السوريين يتورطون في لبنان » . ويبدأ بتوجيه النقد
لجنرالات إسرائيل الذين طالبوا بالتدخل في لبنان . ويقول إنه لو كانت الحكومة
وافقت على هذه النصائح لكانت قد ارتكبت خطأ لا يغتفر . ويشير إلى أن أكبر
فائدة جنتها إسرائيل من عدم التدخل في لبنان هي تهريب سوريا هناك حيث
وقعوا هناك في وضع « محجل » لا يبدو أن بإمكانهم الخروج منه في وقت
قريب . ان سوريا تورطت أكثر مما أرادت وهي لا تعرف كيف التخلص
وبالتالى فهي غير قادرة على فتح جبهة أخرى أو شن حرب على إسرائيل .

وتساءلت هآرتس- ٢ ابريل- وهل كان في إمكان إسرائيل أن تتدخل في
لبنان دون تنسيق مع الولايات المتحدة . وهو مايفرض علينا الوقوف للانتقال إلى
الدور الأمريكى .

الولايات المتحدة

والجميع ان الولايات المتحدة كانت في قائمة الإجابات من أطراف الصراع
بلبنان هي الدولة المتهمه رقم واحد . وإن اختلفت اتهامات كل طرف من
الأطراف حسب موقعه . فنجد أن ريمون أدع زعيم حزب الكتلة الوطنية يتهم
المخابرات الأمريكية بأنها هي التى دبرت قيام الحرب الأهلية في لبنان ، أما شربل
قيس فقد سمعته يقول إن السياسة الأمريكية غبية فإن تعاملت مع وزارة
الخارجية فضحكتك المخابرات . وإن تعاملت مع المخابرات فضحكت الأجهزة
الأمريكية الأخرى فهى سياسة تسير بأكثر من أداه وكلها لا تلتقى بل تسير في
خطوط متوازية . أما كميل شمعون فإنه يعتقد أن السياسة الأمريكية غبية لأنها ا

تتدخل بقوات الأسطول السادس مثلاً فعلت سنة ١٩٥٨ . وهي لاتعرف حليفها من عدوها وتعتقد القيادات الإسلامية أن الولايات المتحدة هي التي خططت للحرب الأهلية اللبنانية بينما يرفض اليسار هذا التفسير . ويعتبره تبسيطاً للأمور فنجد أن تقرير اللجنة المركزية لمنظمة العمل الشيوعي يقول « إنه كم هو خاطيء تصور البعض لتلك الخطة كمجرد مؤامرة أعدتها دوائر المخابرات المركزية لينفذها هذا الحاكم العرقي أو ذاك بضربة واحدة مفاجئة . فقل هذا التصور المبسط قاصر كلياً عن الاحاطة بمجهر الخطة الأمر يكتفي كعملية تاريخية مناقضة لعملية النهوض الوطني والقومي في الوطن العرقي وموجهة لتصفية نتائجها . مما يعني أن استعادة وتوطيد السيطرة الامبريالية وفرض الحل الاستسلامي الإسرائيلي على العالم العرقي يتطلب إحداث ردات عميقة اقتصادية اجتماعية سياسية في المنطقة » .

والرأى السائد لدى اليسار اللبناني والفلسطيني أن الولايات المتحدة تحركت بعد الأحداث للاستفادة منها

وقد سمعت من شخصية لبنانية أنه لو كان من الممكن الحصول على دليل واحد يؤكد ما سمعه من أن كيسنجر قال في مجلس الأمن الأمريكي « إذا أردتم السلام فأعطوا لبنان لسوريا » لأمكن تحديد مدى التأمر أو التخطيط وسمعت من شخصية لبنانية عائدة من الولايات المتحدة أنه قيل له في واشنطن .. « صحيح أن الخطة في لبنان استغرقت وقتاً أطول ولكنها في النهاية حققت أهدافها » .

والواقع أن الولايات المتحدة تملك عدة مصالح ، واتجاهات تجعلها ليست بعيدة عن مواقع الشبهة والاتهام ..

فنجد أن زيارة نيكسون للمنطقة والتي قيل إنها تهدف إلى إقرار السلام في الوطن العرقي قد ارتبطت بنهايتها ببداية سلسلة من الاعتداءات العسكرة الإسرائيلية على غصينات الفلسطينيين في لبنان ، فهي قد بدأت بمجرد مغا-

فيكون لإسرائيل والمساءلة ليست مصادفة لأنها ارتبطت أيضا بظاهرتين :

الأولى : في فقرة وردت في البيان المشترك الأمريكي - الإسرائيلي تدعو الدول العربية إلى وقف تشجيع « الإرهاب » الفلسطيني ضد إسرائيل . وأنه يجب على كل دولة الامتناع عن تنظيم وتشجيع إنشاء قوات غير نظامية أو عصابات مسلحة أو « فرق مرتزقة » الإغارة على أراضي دولة أخرى . .

الثانية : هي تصريحات رسمية إسرائيلية باستمرار الاعتداءات على مخيمات الفلسطينيين بـلبنان .

ومعنى ذلك أن هناك اتفاقا أمريكيا إسرائيليا على تفويض إسرائيل بضرب الفلسطينيين باعتبارهم في نظر الرئيس الأمريكي الذي استقبل بحفاوة بالغة . - في أكثر من عاصمة عربية إلى حد رفع شعارات نحن نثق في نيكسون . مجرد إرهابيين « وعصابات » و « مرتزقة » ولذلك أعلن إسحاق رابين رئيس الوزراء بترجمة ذلك لبنانيا فقال إنه مادام لبنان لا يقوم بمسؤوليته من منع تسلل الفلسطينيين عبر حدوده فإن إسرائيل تشعر بحرية ضرب قواعد الفدائيين وتجمعاتهم (١٧) .

وهناك أيضا ارتباط الولايات المتحدة بمجموعة من العلاقات الاقتصادية والسياسية مع مراكز قوى اجتماعية سياسية متنوعة ومتفاوتة في لبنان . وفي مقدمتها شخصيات وقوى سياسية مثل كميل شمعون وحزبه بعد أن ورثت الولايات المتحدة المصالح البريطانية والفرنسية في لبنان ويمثل حزب الكتائب رأس القائمة لهذه القوى بحكم تركيبيه الحزبي وعقيدته من جانب . وبحكم الشركات الأمريكية التي يتولاها قادة الحزب في لبنان . كما أن العلاقات الأمريكية بقيادات الجيش اللبناني ليست سرا على أحد (١٨) . ولا بد أن يكون

واضحاً أن علاقات أمريكية ليست محصورة في أساء مارونية بل هي تشمل قيادات إسلامية من الشيعة والسنة وإن كان أهمها من الشيعة .

ويضاف إلى ذلك دور السفير الأمريكي جورج جودلى خبير الانقلابات . وإن كان وجود جودلى مصادفة فالأمر الذى لا يمكن تصوّره مصادفة هو وصول تجار السلاح الذى كانوا يخدمون معه في كاتانجا وفي بيافرا مثل الألمانى - الغربى - جونر لينشوسر . كما أنه هو الذى دبر حادث تفتيش حقائب الوفد اللبنانى الذى يرأسه سليمان فرنجية عند وصوله إلى نيويورك . وكان جودلى قد أبدى استياء الولايات المتحدة من قبول لبنان مهمة الحديث باسم الدول العربية دفاعاً عن القضية الفلسطينية ونصح بعدم قبولها ، بل ولوحظ أن جودلى لم يكن في وداع الرئيس اللبنانى . وعند وصول الوفد فوجئت الوفود العربية التى ذهبت لاستقبال فرنجية أن قاعة الاستقبال مغلقة . والمسألة ليست مصادفات (١١) .

ومعنى ذلك كله على ضوء الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة والتي سبق عرضها أن أحداث لبنان لم تكن مفاجأة للولايات المتحدة بل إن موقعها يأتى في المكان الرئيسى للمخططين مع آخرين على حد قول تقرير اللجنة المركزية لمنظمة العمل الشيوعى .

يبقى بعد ذلك أن نرى رؤية الولايات المتحدة للأحداث من خلال تصريحات ونواقض الحكومة . فقد صرح مسؤول أمريكى كبير - ٢٥ مايو يرافقه كينججر على طائرته والمعتقد أنه كينججر نفسه أن الوضع في لبنان مضبوط حالياً ولكنه قد ينفجر ويتحول إلى نوع من الحرب الأهلية كالتى وقعت في الأردن . وكان ذلك التصريح في أعقاب محاولة احتواء ردود فعل حادث عين الرمانة . ويقول إن خطر اعتبار السلام في لبنان أمراً مسلماً به يمكن أن يشبه الخطأ الذى ارتكبه زعماء أوروبا في صيف سنة ١٩١٤ عندما ذهبوا في إجازة دون أن يصدقوا أن التوتر في البلقان

يمكن أن يؤدي إلى حرب وهو ما حدث في الحرب العالمية الأولى .

وبعد ٤٨ ساعة صرح نفس المسؤول - كينجر - أن الموقف يشبه ما كان عليه في الأردن وأنه يمكن أن يؤدي إلى صدام بين إسرائيل وسوريا . ولعل أخطر ما جاء في هذا التصريح هو قوله إن الموضع حتى الآن يبدو أنه بين الممكن معالجته ولكن كل ما قد يحتاجه هو أن ترسل سوريا لواء من قواتها (٢٠) . أي أن الولايات المتحدة اقترحت إرسال قوات سورية إلى لبنان قبل دخول سوريا بأكثر من ١٣ شهرا وبعد مرور شهر واحد على حادث عين الرمانة ، والحرب لم تكن قد اشتعلت فعليا بعد .

وأعلن الرئيس فورد بعد ذلك - ٤ نوفمبر - أن أحداث لبنان خطيرة جدا . وأنه ليس من الضروري إرسال قوات أمريكية إلى لبنان . وفي نفس اليوم أقر مجلس الشيوخ الأمريكي بأغلبية ١٢٠ صوتا مشروع تقدم به السناتور اللبناني الأصل جيمس أبورزق بمنع أي تدخل أجنبي من أي دولة كانت في الصراع الدائر حاليا في لبنان . وبعد ذلك بيومين سلم السفير الأمريكي - جورج جودلي - رسالة من هنري كينجر إلى كرامي رئيس وزراء لبنان نصها :

« عزيزي دولة الرئيس

« أراقب منذ فترة التطورات الجارية في لبنان بقلق وبشعور عميق بالحنه لشعب بلادكم . وأرجو أن تعرفوا أن حكومتى تأمل كل الأمل في أن ينتهى القتال في لبنان ، وأنها تؤيد كل جهود حكومتكم بلوغ هذه الغاية . إننا نتمنى لكم النجاح في مساعيكم لتجميع كل المعنيين بالأمر وحثهم على التحلى بالاعتدال وروح التسوية ، وهما ضروريان لوضع حد للعنف ، ولبدء بعملية تفاهم سياسى تنبثق منه أسس جيدة للاستقرار والأمان لجميع

مواطنيكم . وأكرر أن هدفنا هو أن نرى حلاً يحفظ استقلال لبنان
وسلامة أراضيه وتماسكه ووحدته الوطنية . « . وفي اليوم التالي - ٦
نوفبر - تم استدعاء السفير الأمريكي في دمشق إلى واشنطن . وقيل
إن ذلك للتشاور حول إمكانية التفاوض على الجولان .

وقد أكد المتحدث باسم الخارجية الأمريكية مضمون رسالة كيسنجر بتصریح
له - ١٣ نوفبر - إن الولايات المتحدة لن تؤيد أى اقتراحات تهدف إلى تقسيم لبنان .
وأن الحكومة الأمريكية تؤيد المحافظة على سيادة لبنان وسلامة أراضيه وكان تفسير
النيويورك تايمز في أول ديسمبر أن السياسة الأمريكية تقف إلى جانب رئيس
الوزراء رشيد كرامي باعتباره رجل التغيير التدريجي في النظام ولكنها في نفس
الوقت تقدم السلاح إلى المسيحيين . فهي تتعامل مع الطرفين . .

وحدث تغير في السياسة الأمريكية إذ أعلن ناطق باسم الخارجية - ٨ يناير - أن
الولايات المتحدة تعارض أى تدخل أجنبي في لبنان سواء من جانب سوريا أو
إسرائيل . وهو ما أكدته الرئيس فوررد بعد ذلك بأيام . وفي ٢٩ يناير ذكر هذا
المشدد أن الولايات المتحدة تعترف بالدور البناء الذي تلعبه سوريا في لبنان -
الوثيقة الدستورية - بعد الوصول إلى اتفاق لوقف إطلاق النار . وإن كان ذلك لم يثير
من تأكيد الولايات المتحدة على رفض التدخل العسكري . فقد ذكر كيسنجر - ٢٢
مارس - أن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تقوم بأى عمل مادي للمساعدة على حل
الأزمة ولكننا أيضاً نحذرن كل الأطراف بما فيها إسرائيل وسوريا من أى تدخل في
لبنان لأن الولايات المتحدة لا تؤيد أى تدخل فردى أو بمعنى آخر تعارض أى
تدخل فردى « . وبعد ذلك بأسبوع - ٢٩ مارس - صدر بيان أمريكي يحذر سوريا
واسرائيل من التدخل العسكري في لبنان لأنه ينطوى على خطر كبير يجب تلافيه .
و يدعو البيان إلى وقف إطلاق النار وحل مسألة الرئاسة دستوريا وفي اليوم التالي

فسر الناطق الرسمي الأمر يكى البيان بأنه ليس ضد أى تدخل مقبول من السلطات اللبنانية . »

وقد أرسلت الولايات المتحدة دين براون - ٣١ مارس - مبعوثا من الرئيس الأمريكى وقد أعلن فور وصوله أنه ليس وسيطا ولكنه جاء ليقوم بمهمة السفير الغائب . وسوف يقوم بتقديم تقرير إلى الرئيس الأمريكى بعد أن يتصل بجميع الأطراف . والمهم أن دين براون كان هو نفسه السفير الأمريكى في عمان وقت مذابح أيلول في الأردن سنة ١٩٧٠ . ومؤكد أنها ليست مصادفة اختيار هذا الشخص من دون كل الدبلوماسيين الأمريكين للقيام بهذه الوساطة الأمريكية ، وفي هذا الوقت ، وفي هذه القضية على وجه خاص التي قال عنها كينجر أكثر من مرة مثل أحداث الأردن ، بل وارتبط وصول بطل مذابح الأردن في بيروت بزيارة الملك حسين للولايات المتحدة .

ونخرج اقتراح غريب من واشنطن بينما كان براون في بيروت يقابل كل الأطراف ماعدا الفلسطينيين . فقد اقترح مانسفيلد زعيم الاغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ الأمر يكى - ٦ ابريل - إرسال قوة بوليس دولية إلى لبنان مكونة من وحدات عربية وإسرائيلية .. ١١

وفي نفس اليوم أعلن جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية في شهادة أمام الكونجرس أن استمرار التوتر في لبنان يهدد جهود السلام التي تبذلها الولايات المتحدة وأكد أن دور سوريا بناء لأنه يهدف إلى تحقيق أمرين . الأول هو وقف إطلاق النار والثاني إجراء الإصلاحات السياسية .

وحدث تغيير مفاجيء في اليوم التالي - ٧ ابريل - إذ صرح كينجر أن الولايات المتحدة لن ترسل قوات إلى لبنان حتى لو تدخلت سوريا عسكريا . الدور الوحيد للأسطول السادس هو في إجلاء الرعايا الأمريكين .. وواضح من

مهمة كينسنجر أنه بدلا من التحذير برفض تدخل عسكري سورى إلى أن الولايات المتحدة لن تتدخل إذا تدخلت سوريا عسكريا . وبعد أيام أعطى كينسنجر مزيدا من التفاصيل لتبرير التغيير في السياسة الأمريكية فقال - ٩ إبريل - إن المشكلة الأساسية في لبنان هي عدم وجود قوة مسلحة تحت تصرف الحكومة اللبنانية .

وكان التغير الثالث في أسبوع واحد حين قال كينسنجر - ١٤ إبريل - أمام لجنة فرعية للميزانية في مجلس الشيوخ إن الولايات المتحدة وإسرائيل متفقتان على أن التدخل السوري لا يهدد إسرائيل . وأن أمريكا قد أقنعت إسرائيل بعدم التدخل العسكري في لبنان .

وبينا الحديث يمضى في هذا الاتجاه كان كميل شمعون يصرخ لصحيفة «الموندى مورننج» - ٢٦ إبريل - أن لبنان يجب أن يحتفظ لنفسه بحق استدعاء الولايات المتحدة في الأزمة اللبنانية . وفي اليوم التالى وصل الى بيروت السفير الأمريكى الجديد الذى بدأ مهمته بهجوم على المقاومة ووصفها مثل بيير الجميل بأنها «دولة داخل الدولة» ومدح سوريا التى قامت بدور أساسى في لبنان . وأكد أن السياسة الأمريكية تدعم جهود سوريا .

ونعود مرة أخرى إلى بيروت لتابعة مهمة المبعوث الأمريكى للمذبحة دين براون . فهو قد اجتمع بكل الأطراف باستثناء الفلسطينيين . وقد درست معظم محاضراته فلاحظت أنه يتحدث مع طرف بما يؤيد وجهة نظره . وكانت المهمة التى جاء لها هي استمرار الحرب اللبنانية وليس إيقافها . وقد فضلت عدم الحصول على صورة من هذه المحاضر خوفا على حياة الذى قدمها لى . وكان الأفضل هو عرض ملخص لها من خلال وثائق طرف كان قد أصبح صديقا للولايات المتحدة وبالتالى فليست هناك شبهة في وثائقه وأعطى أوراق تنظيم الصاعقة الفلسطينية الرامية السورية الأصل . فى رسالة من زهير عحسن إلى القياد السورية يقول فيها

« إن براون أكد لجنبلات أنه يعتبر برنامج الأحزاب الوطنية قريبا من برنامج الحزب الجمهوري . وأن مشكلة أمريكا الأساسية هي الأمن وأن فورد- الرئيس الأمريكي- اتصل بدمشق وأخذ الموافقة على عقد جلسة مجلس النواب المقررة غدا . وقال براون إنه يقترح لحل مشكلة الأمن الاعتماد على الميليشيات المحلية كقوى ردع ريثا يتم تنظيم الجيش وتشكيل ميليشيا موحدة متطوعة من جميع الأحزاب . وأشار براون- طبقا لوثيقة الصاعقة- أنه يمكن الاستعانة بخبراء أجنبية من باكستان والنرويج والولايات المتحدة لإعادة بناء مؤسسات الدولة ولكن جنبلات رفض اقتراحات براون » .

وهذه الوثيقة تحمل رقم ١٦٨ / ١٠١ في ٢٠ أبريل ١٩٧٦ .

ورأى براون للطرف الآخر سجلته بريقة زهير محسن إلى قيادته- السورية- يقول فيها إنه « ثبت أن براون كان يشجع سليمان فرنجية وجامعة الكسليك على التصعيد وعدم الاستعجال بنفس الوقت الذي يشجع فيه جنبلات على رأيه .

وتقول الوثيقة إن أمريكا- براون طبعاً- لم تحسم رأيا فيما يتعلق باسم مرشحهم للرئاسة . والوثيقة تحمل رقم ٩٩٢ / ١٠١ في ٢٦ إبريل سنة ١٩٧٦

والأمر المؤكد طبقا للمحاضر التي قرأتها أن دين براون كان يشبه في حديثه صراع العرب على ساحة لبنان بأنه مثل صراع الديوك . وفي إحدى الجلسات قال إنه مثل صراع كلاب البحر ولكنه استرجع نفسه وقال إن كلاب البحر ربما كانت تفهمهم وعاد إلى تشبيه الديوك-!- كما أنه قال لقيادة جبهة لبنان إن كل المطلوب منهم هو « الصمود » وأن يكون ذلك شعارا لمدة شهر أو شهرين على الأكثر وبعد ما سوف تدخل سوريا لضرب مواقع القوات المشتركة .

وسافر دين براون بعد ذلك وكان هذه هي كل مهمته ولكنه عاد مرة أخرى في

٢ مايو أي قبل إجراء انتخابات الرئاسة واجتمع بكل من المرشحين وعمون اده والياس سرקيس مما اعتبرته القيادات اللبنانية من الطرفين خطأ دبلوماسيا حيث كشف تدخله في عملية الانتخابات بينما رفض المبعوث الفرنسي مقابلة المرشحين حماية للحياد في الانتخابات . وبعد أن انتهت الانتخابات ترك بيروت وفي المطار أعلن (٢١) :

- أن جميع الفرقاء أذكروا أنه لن يكون هناك رابح وخاسر لأنه يستحيل على أي فريق تأمين انتصار عسكري .
- إن دور سوريا في لبنان مدروس ومعتدل . ومسألة دخول مزيد من القوات السورية مرتبط بقرار من الرئيس المنتخب إلياس سرקيس .
- أن لبنان لن يصبح جرما يدور في الفلك السوري ، كما لن يصبح دولة مواجهة ضد إسرائيل .
- أن ما يتطلبه لبنان هو السلام والسعي نحو أهداف جديدة من الإصلاح والعدالة الاجتماعية .
- أن مهمتي في لبنان كانتا تقريب الآراء وتحقيق التجانس بغية حل الفرقاء في النزاع على التفكير إيجابيا .

وعاد براون إلى بلاده لكنه ظهر فجأة في المنطقة في أول يوليو بعد شهرين تقريبا وهذه المرة كان في عمان بدعوى الاشتراك في المؤتمر الأردني للتنمية بصفته مديرا لمؤسسة الشرق الأوسط ، ومصادفة أن هذا اليوم هو الذي كانت فيه جيوش سوريا تدخل أراضي لبنان .. مجرد مصادفة .. !

ونعود بعد هذه الصورة من التصريحات إلى محاولة تحديد خطوط السياسة الأمر يكية خلال الأزمة وهي :

١ - أن الولايات المتحدة كانت ترى ضرورة استمرار الحرب حتى تحقق الهدف وهو إجهاد الفلسطينيين وتفتيت الموقف العربي باعتبار أن مجرد الاستمرار يكشف ويعمق التناقضات بين الدول العربية . وهو ما يجعل أصوات المعتدلين أكثر قبولاً وبالتالي يفتح باباً أو بمعنى آخر يزيل عقبة من طريق الجهود الأمريكية لتسوية الأزمة في الشرق الأوسط كما تتصورها

٢ - أن الحكومة الأمريكية . كانت ضد تقسيم لبنان بشكل حاسم . . وهو واضح من كل تصريحات القيادات الأمريكية : وهو أمر لو أخذ على ظاهره لكان موافقاً بحمد للسياسية الأمريكية إلا أن فلسفة القيادة الأمريكية في ذلك واضحة وهي أن قبول التقسيم يعني قيام دولتين ، صحيح أن واحدة منها مارونية ولكن الأخرى سوف تكون في أيدي النصارى اللبناني والفلسطيني . وهو ما لا يمكن أن تقبل به الولايات المتحدة . ولما تأكدت قيادة الجبهة اللبنانية أن فكرة التقسيم مرفوضة من كل الحلفاء باستثناء إسرائيل طلبت البحث عن بديل . وقدمت الولايات المتحدة فكرة الكانتونات أو المقاطعات ذات الاستقلال الذاتي مثل سويسرا . وكان أول من طرح الفكرة (٢٢) علناً هو الدكتور شارول مالك وزير خارجية لبنان السابق فقد أعلن - ٧ يوليو ١٩٦٦ - أنه ليس لديه معلومات عن خطة أمريكية للتقسيم ولكنه يتصور بعد كل الذي حدث في لبنان «أن الأمر يمكن على استعداد للنظر في المساهمة في إيجاد نوع من التنظيم الداخلي الذي يؤدي إلى الاستقرار . وهذا قد يشمل شيئاً من الفيدرالية أو نظام الكانتونات» .

وفي الشهر التالي عاد الرئيس السابق شارل حلو من أوروبا بعد غياب ٦ أشهر وأدلى بتصريح لإذاعة هولندا بدأ بالدعوة إلى اعتماد نظام الكانتونات والعمل باللامركزية في مجالات الاقتصاد والإدارة وقال إن لبنان سويسرا الشرق . وبعد ذلك بدأ الحديث عن نظام الكانتونات على لسان كل قيادات

جبهة لبنان إلى أن أعلن كينسجر تأييده لمشروع إعادة توخيد لبنان عن طريق الكاثنونات وقال- ١٩ أكتوبر- إنه يجب أن يكون لكل من الطائفتين المسيحية والإسلامية نمط حياة خاص يتوافق مع التقاليد الخاصة بكل منها .

٣- أن لا تتحول لبنان إلى جبهة قتال مع إسرائيل كما أكد براون في تصريحه بالمطار.

٤- إن الولايات المتحدة تريد أن تكون القاعدة في لبنان هي ما كان سائدا في الماضي . وتعود الكل في لبنان أن يطلق عليه قاعدة لاغالب ولا مغلوب . ولما كان المنتصر حتى يوم وصول دين براون هي القوات المشتركة - الفلسطينية واللبنانية - فقد كانت ترجمة ذلك هي سحب الانتصار منهم أى فرض هزيمة عليهم .

٥- الإيحاء لسوريا بإمكانية التدخل عسكريا في لبنان قبل مايزيد عن العام من خروج الفكرة إلى حيز التنفيذ . وذلك بوضع صانع القرار في سوريا تحت تأثير عوامل تحصل به بحسابات خاطئة إلى هذا القرار . ومثال هذه الضغوط اقتراح مانسفيلد بإرسال قوات مشتركة عربية إسرائيلية أو أن استمرار حرب لبنان يضغط سوريا في خطر الصدام مع إسرائيل وهي ليست مستعدة له . كما أن هناك خطر تدخل الأسطول السادس مثلما طلب كميل شمعون . ووصل الأمر إلى درجة أن جيمس سليزنجر وزير الدفاع السابق قال - ١٧ مايو- إنه كان على الولايات المتحدة أن تبعث بقواتها العسكرية إلى لبنان مثلما فعلت سنة ١٩٥٨ . وكان تفسيره أنه لولا الرأي العام العالمى والضعف الحاصل في القوة العسكرية الأمريكية لما ترددت أمريكا في التدخل العسكري في لبنان .

والواقع أن ذلك هو نوع من طرح الأفكار المرفوضة أو على الأقل غير ممكنة فنجدها مثلا أن الرئيس فورد صرح بوضوح - ٢٨ مايو- « أنه لن يرسل قوات أمريكية

للتورط في الحرب الأهلية اللبنانية». وليست المسألة ترفعا عن التدخل، بل هو يقول إنه من غير الممكن للولايات المتحدة أن تتدخل عسكريا لأن هناك وسائل أفضل للمساهمة في حل الأزمة». أى أن هناك من يستطيع أن يقوم بالدور الأمريكي دون حاجة للتعرض لمصاعب التحرك الأمريكي. ومن المعروف أنه منذ انتهاء حرب فيتنام وقد قيد الكونغرس حق الرئيس الأمريكي في إرسال قوات إلى أى مكان دون تصريح مسبق من الكونغرس. وهو قرار يستحيل الحصول عليه من أجل الموارنة خاصة وأن ظروف سنة ١٩٧٥ تختلف كثيرا عن ظروف سنة ١٩٥٨. ويحكم أن أمريكا لن تستطيع استخدام قواتها، كما أن إسرائيل لا تستطيع استخدام جيشها كما سبق أن وضع من الحسابات الإسرائيلية. ولكن الموقف يحتاج إلى قوة لوضع السياسة الأمريكية موضع الالتزام. وكانت المراهنة الأمريكية على سوريا مثلما كانت المراهنة الإسرائيلية عليها.

وانصافا فإن نظرة الحساب السياسي الأمريكي - الإسرائيلي في هذا الإطار لا بد أن ترتبط بالإعجاب في حسن الاختيار والإعداد. فموريا بلا جدال كانت هي العمق العربي للثورة الفلسطينية. وهي نافذة الثورة وطريقها الوحيد للحصول على إمدادات سواء عسكرية أو حتى غذائية باعتبار أن البحر محكوم بالأسطول السادس والوجود الإسرائيلي المعاون. وهو ما يمكن أن يمنح أى دعم للمقاومة إلا عن طريق الأرض السورية. وبحسبة بسيطة يصبح الصمود السوري أمام الضغوط ضرورة لا بد لها لاستمرار الثورة الفلسطينية.

وانطلاقا من هذه المعادلة الشديدة الوضوح كان طبيعيا أن يتجه التخطيط نحو الضغط على عنصرى الموقف «السوري - الفلسطيني» بقصد كسر الموقف الفلسطيني واحتواء الموقف السوري. وقامت حرب لبنان هذه الفرصة لتحقيق المهدفين معا. ولم يكن على مخطط سوري أن يفجر الصراع في لبنان وكان ضمان

التدخل هو العامل الأساسى للتصلب الذى التزمت به مواقف جبهة لبنان رغم ضعفها فى مواجهة القوات المشتركة . فلو كانت حسابات جبهة لبنان مجرد حسابات لبنانية لكان عليهم التوقف عن التصعيد ووقف الحرب ، خاصة وأن الخسائر كانت فى تصاعد . ولكن ما حدث هو عكس ذلك . ويمكن القول إنه كان وليد غباء أو عناد . فلا الغباء ولا العناد لها حجاب فى العمل السياسى . لكنهم فى الواقع تصرفوا على أساس أن ميزان القوى الداخلى ليس وحده هو العنصر الحاسم الذى يقرر نهاية الحرب . . وكان اعتمادهم طول الوقت على العمق الخارجى الذى تمثله شبكة العلاقات مع إسرائيل والولايات المتحدة . ولكن كل من الحليفين لا يستطيع لحسابات يرى أنها أهم إمكانية التدخل لصالح الجبهة . ولم يكن هناك سوى التخطيط لتشجيع سوريا مع رفض تغيير التوريط المستخدم عادة . فهى القوة الوحيدة التى كانت تمثل جبهة صمود عربية فى مواجهة الخطة الأمريكية . وهى وحدها التى إن تحركت لا تثير شكوك المقاومة باعتبار أن لها رصيда من شعارات ومواقف مع الثورة تبعتها عن دائرة الشك والتخوين المسبق .

وكان التوظيف السياسى الناجح لحرب لبنان هو أن تنكسر قوى الثورة الفلسطينية ويتم إخضاعها لحساب عربى رسمى . وليس لحساب فلسطينى مستقل . بتقدير الإمكان ، وفى نفس الوقت تفقد سوريا ما كان لها من رصييد على المساحة العربية . وكان الافتراض الأمريكى الإسرائيلى أن سوريا تقبل ، فهورهان مضمون قائم على عملية حساب سياسية لطريقة اتخاذ القرار فى سوريا والعوامل المؤثرة عليه . وكانت كلها عوامل سورية عربية . والخطأ فى مثل هذه الحالات أنه حساب موقف يكون على حساب الهدف أو بمعنى آخر رؤية موقف يعالج بتكتيك يكون فى النهاية على حساب الاستراتيجية وعلى حساب الهدف النهائى . ويسقط الكل ضحايا يذرفون الدمع على الأمل الضائع والغد المفقود . والسياسة لا تعرف

الندم ولا الدموع بل الخطأ فيها مسألة محسوبة لا بد من تداعى الحوادث على أساس طريقة معالجتها وبالتالي يدفع الكل ثمن الخطأ.

وكان لا بد ضمنا لنجاح الخطة سواء بالإجماع أو التوريث أو التخطيط أن تبقى أوراق الحركة في الصراع اللبناني على المائدة الأمريكية. ولكن الحدث الكبير قد أثار اهتمام أطراف دولية كثيرة منها فرنسا والفاتيكان. والفاتيكان بحكم دوره الديني، فهي مسألة ليس صعبا معرفة بحال حركته، أما فرنسا فهي ترتبط بالموارنة بروابط وثيقة عبر سنوات كثيرة وهي صاحبة النفوذ السابق في لبنان إلى أن جاء الوجود الأمريكى ليرث كل شيء. وعودة فرنسا تمثل ثغرة كان لا بد من العمل لإحتواء آثارها بسرعة وفي تعليق لمجلة لبنانية إن موقف رشيد كرامي الراضى للمبادرة الفرنسية بعد أن كان يمتدح موقف فرنسا يرجع إلى أن الولايات المتحدة تريد أن تقطع الطريق أمام فرنسا في لبنان. وقالت المجلة إن هنرى كيسنجر لم يعتمد إلى توجيه رسالة إلى رشيد كرامي رئيس الوزراء إلا بعد الاعلان رسميا عن المبادرة الفرنسية وإرسال مبعوث فرنسى إلى لبنان. وأن توقيت الرسالة والحرص على نشرها يهدف قطع الطريق على المبادرة الفرنسية. وهو في اعتقادى ماينقلنا إلى بحث الدور الفرنسى الذى دفع الولايات المتحدة إلى محاولة احتوائه ثم إبعاده.

فرنسا

لقد تحركت فرنسا بالوساطة بعد حوالى ثمانية أشهر من بداية المأساة وهي قد تعمدت (٢٣) هذا حيث تكون أطراف القتال قد أصيبت بالإرهاق. وتكون القوة التي أشعلت الحرب قد تأكدت من فشل خطتها. كما أن الطبقة البورجوازية تكون قد حددت لها موقفا برفض القتال نتيجة فداحة خسائرها. فهي قد أجادت حساب حركتها.

وهذا الرأي برغم أنه صحيح إلى حد بعيد ، إلا أن الواقع يشير إلى أن فرنسا كانت تتابع الأحداث منذ البداية . وتحاول أن تجد مخرجاً وخاصة أن روابطها التقليدية بلبنان عامة والموارنة على وجه خاص أحد حقائق الحياة السياسية في لبنان فبعد شهر واحد من حادث عين الرمانة وبالتحديد في ١٧ مايو أبلغ الرئيس اللبناني السابق شارل حلو سليمان فرنجية أن المسؤولين الفرنسيين على كل المستويات مهتمون بالوضع اللبناني وذلك إنطلاقاً من العلاقات التاريخية التي تربط لبنان بفرنسا .

وكانت أول خطوة للتعبير عن استعداد فرنسا لتجاوز مرحلة القلق إلى دور أكثر إيجابية في أول يوليو حين أعلن الرئيس الفرنسي - ديستان - أن فرنسا قلقة على الوضع في لبنان ، وأنها مستعدة لأن تشارك الحكومات الصديقة للبنان لمساعدته على العودة إلى السلام والاستقرار . وبدأت فرنسا بعد ذلك من خلال النشاط الدبلوماسي استطلاع رأى الدول التي تهمها المشكلة لمعرفة رأيها . وبالتالي تحديد خطوة فرنسا التالية . وبحكم أن الأحداث كانت تمضي بسرعة ، فقد رأت الحكومة الفرنسية إعلان - ١٧ سبتمبر - أنها تؤكد على ضرورة الحفاظ على استقلال لبنان ووحدته وسلامة أراضيه . وكان ذلك في وقت تزايدت صيحات البعض تدعو إلى التقسيم وأنه يأتى الرفض الحاسم من فرنسا بالذات فهو أمر لا بد أن يحسب له وزن خاصة في مواقف جبهة لبنان . وأكدت صحيفة لوموند - ٩ أكتوبر - موقف فرنسا برفض سيادة التقسيم . وقد شملت اتصالات فرنسا غير الأطراف المحلية والعربية اتصالات مع الولايات المتحدة . فقد أعلن وزير خارجية فرنسا - ٩ أكتوبر - أنه بحث الأزمة اللبنانية طويلاً مع الدكتور كيسنجر .

وأعلن المتحدث الرسمي باسم الرئيس الفرنسي - ٢ نوفمبر - أن جيشكار ديستان مهم بأعداد مبادرة فرنسية من شأنها تسهيل إيجاد حل سلمي في لبنان .

وفي نفس اليوم أجمع السفير الفرنسي بسليمان فرنجية وأبلغه بوجهة نظر فرنسا . وكان السفير قد انتهى من سلسلة لقاءات شملت قيادات لبنان . وكانت رسالة السفير هي استعداد فرنسا لإرسال شخصية فرنسية لتقوم بالوساطة بين جميع الأطراف . وهو نفس المعنى الذي قاله الرئيس ديستان بنفسه أثناء وجوده في تونس في ٨ نوفمبر . وفعلا في ١٨ نوفمبر بعث ديستان برسالة الى فرنجية (٢٤) يخبره فيها بإرسال « بعثة صداقة » يرأسها كوف دي مورثيل - رجل أمريكا - وأن مهمتها القيام باستقصاء الآراء وجمع المعلومات من جميع الأطراف وهي ليست تدخلا في شئون لبنان وإنما مجرد مساعدته . وكان ديستان قد تلقى موافقة الحكومة اللبنانية على المبادرة الفرنسية . وفي نفس اليوم الذي سلمت فيه رسالة ديستان أجمع سفير فرنسا والولايات المتحدة في بيروت بعد أن أعلن كيستجر تأييده لبعثة فرنسا . وفي اليوم التالي - ١٩ نوفمبر - وصل كوف دي مورثيل رئيس وزراء فرنسا السابق إلى بيروت مبعوثا من الرئيس ديستان . وبدأ فور وصوله اجتماعاته مع كل القيادات اللبنانية . وخلال مقابلاته حرص المبعوث الفرنسي أن يؤكد في كل تصريح صخفي له أن التقسيم كارثة على جميع الأطراف وأنه مستحيل إلى أن بدأت الأمور تتبلور مع تزايد اتصالاته . ففي ٢٥ نوفمبر بدأ يحدد وسيلة الحل بأن المصالحة تبدأ بمصالحة حكامهم . وقال إن التفكك الداخلي هو الذي أتاح تدخلات عربية ودولية ولكنه أكد أنه لا يقصد أيا من الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي ، إذ يصعب تحديد دورهما في الوقت الحاضر . وكانت تصريحاته بعد ذلك تشير دائما إلى اهتمام سوريا بأحداث لبنان وأنها مثل فرنسا حريصة على وحدة لبنان ولكنه أيضا كان يرى أن الحل في يد اللبنانيين .

وقد حاولت جماعة الكسليك إقناع المبعوث الفرنسي بوجهة نظرها ولكن ذلك لم يظهر من تصريحاته . فقد قدمت الرهانات المارونية إليه مذكرة هي تقريرا

ملخص لمجموعة كراسات الكسليك والتي سبق الحديث عنها . وتقول المذكرة (٢٥) إن كل الدول العربية دول إسلامية تعامل المسيحيين كأهل ذمة محرومين من حقوق المواطنة القطعية . وأن المسيحيين وخاصة الموارنة يفضلون الموت على العيش كأهل ذمة . وأن لبنان هو في الواقع ملجأ الأقليات الهاربة من الخطر السني . والخروج من الأزمة حسب تخطيط الكسليك هو العودة إلى صيغة لبنان القديمة بضمانة الدول الكبرى وأن مصيبة لبنان هي في الفلبستينيين . ورغم أن شربل قيس أنكر تقديم هذه المذكرة التي تسربت إلى الصحف إلا أن كل ما فيها من آراء هو رأي الكسليك ومطبوع في الكراسات . وهو ما يؤكد أن المذكرة صحيحة ولكن فرنسا بحكم صداقاتها بالعالم العربي لم تأخذ بها . فؤكد أن فرنسا الأربعينات ليست فرنسا السبعينات .

وقد نجح المبعوث الفرنسي في ٢٩ نوفمبر في إقناع سليمان فرنجية ورشيد كرامي بإصدار كل منها بيان يفتح الطريق نحو المصالحة . وكان الاقتراح الفرنسي في الأصل هو إصدار بيان مشترك منها معا - رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء - ولكن فرنجية رفض . واقتراح أيضا أن تكون المصالحة على أساس اتفاق ضمنى بإجراء بعض الإصلاحات وفي المقابل تتعهد فرنسا بضمان موافقة سوريا والمقاومة على الاتفاق .

وغادر كفوف دي موزقيل بيروت في اليوم التالي متجها إلى دمشق ومنها لباريس . وقبل سفره أذاع بيانا (٢٦) شرح فيه المشكلة اللبنانية كما سمعها من كل الأطراف . وقال إنه يرى أن يبدأ الحل بتجريك الجهاز الحكومي للعمل . وانتهى البيان إلى أن سبب زيارته لدمشق تقديرا لاهتمام سوريا بالمشكلة ولناقشة نتائج مباحثات البعثة في لبنان مع المسؤولين في سوريا . وبذلك انتهت مهمة

المبعوث الفرنسي عند حد محاولة تقريب وجهات النظر والبحث عن اقتراحات تحقق نوعاً من المصالحة .

وبعد سفره بأيام تجدد القتال ولكنه علق على ذلك بأنه لا يعنى فشل مهمته وإنما يعنى أن عناصر متطرفة تحركت .

وفي ٢٧ مارس تسلمت وزارة الخارجية اللبنانية رسالة من سفارتها في باريس تقول (٢٧) إن فرنسالىن تقف مكتوفة الأيدي . وتقترح في حالة فشل سوريا دعوة مجلس الأمن أو الدول الكبرى لإرسال شخصية دولية للوساطة وأن يكون واضحاً أن فشل هذه الوساطة يمكن أن يؤدي لتدخل عسكري دولي .

وكان رد فرنجية عليها أنه ينتظر نتائج الوساطة السورية وأن الظروف لا تسمح بانتظار نتيجة وساطة جديدة وأن دعوة قوات دولية بقرار من مجلس الأمن يصبح ضرورياً إذا لم تصل الوساطة السورية إلى وقف القتال . كما أن لبنان بوضعه الحالي يصعب عليه اتخاذ قرار باللجوء إلى مجلس الأمن . ولذلك لابد أن تتطوع دولة أخرى لدعوة مجلس الأمن بصورة عاجلة . وقال فرنجية في رده إنه أخطر حافظ الأسد إنه في حالة فشل سوريا يلجأ إلى الطرق الدولية الممكنة . وأن مصر عرضت فكرة إرسال قوات مشتركة وفي رأينا أن يتبنى مجلس الأمن هذه الفكرة على أن تضم القوة إلى جانب العناصر العربية عناصر من دول السوق الأوروبية . وردا على اقتراح دعوة مجلس الأمن كانت الدولة المرشحة لدعوته هي إسرائيل ولكن إسحاق رابين رفض وأبلغ كل من فرنسا والولايات المتحدة أنه لا يرى أى مصلحة لإسرائيل في القيام بهذه المهمة . وفي نهاية مارس أصدرت الحكومة الفرنسية نداء إلى كل الأطراف تناشدتهم وقف إطلاق النار وأعلنت استعبارها للقيام بمبادرة جديدة .

وأعلن كوف دى مورقيل في حديث لصحيفة «فرانس سوار» - ٦ ابريل -

أوضح فيه أن وقف إطلاق النار في لبنان لا يمكن أن يكون إلا إذا فرض من الخارج . كما أن الدعوة إلى وقف القتال لابد أن ترتبط بسرعة الحل السياسى . وتم اختيار مبعوث آخر هو جورج جوريس الذى وصل إلى بيروت في ٨ ابريل وأعلن أنه سوف يلتقى بياسر عرفات على عكس دين براون المبعوث الأمريكى . وقال إن مهمتى تختلف عن مهمة براون ، وكان الواضح أن المبعوث الفرنسى جاء لتحقيق قدر من النجاح للوساطة السورية . وبعد خمسة أيام غادر المبعوث الفرنسى الجديد بيروت إلى دمشق . واجتمع بحافظ الأسد وعرض عليه فكرة تسقيق سورى فرنسى في لبنان .

وكان واضحاً أن فرنسا لم تستطع أن تحقق أى تقدم حتى إن المتحدث بلسان القصر الجمهورى أعلن أنه إذا ما أدت الظروف إلى خلق موقف يرجى فيه من فرنسا الإسهام في تهدئة الموقف في لبنان فإن فرنسا سوف ترد على مثل هذا الطلب بالإيجاب . أى باختصار أن الظروف لم تساعد فرنسا على تحقيق إقرار الأمن .

وفجأة أعلن أن كيسنجر بحث مع ديستان - ٧ مايو - الموقف في لبنان وأن البحث تطرق إلى موضوع إرسال قوات فرنسية إلى لبنان . وذلك قبل يوم واحد من عقد جلسة مجلس النواب لانتخاب سركيس رئيساً . وفي ١٢ مايو أى بعد أربعة أيام قرر مجلس وزراء فرنسا إرسال جورج جوريس إلى لبنان في مبادرة فرنسية ثالثة وأعلن المبعوث أن سوريا لعبت دوراً إيجابياً حيث رتبت عملية انتخاب الرئيس الجديد وتدخلت لمنع المذابح . وفي ١٦ مايو أعلن جيسكار ديستان من نيواورليانز بالولايات المتحدة عن استعداد فرنسا لإرسال قوات إلى لبنان في خلال ٤٨ ساعة بشرطين . الأول هو طلب السلطات اللبنانية والثاني هو موافقة الأطراف المعنية . وقال إن مهمتها هى توفير الأمن ولكنه لم يستبعد احتمال أن يكون على هذه القوة أن تقاتل في بعض المناطق الحساسة وأنها لن تكون تحت راية الأمم المتحدة .

وأهم ما يستحق الملاحظة على الاقتراح الفرنسى :

- ١- أن الاقتراح جاء والرئيس الفرنسى فى زيارة للولايات المتحدة . وكان كيسنجر قد سبق أن طرح هذه الفكرة من قبل . وهو ما وضع الاقتراح موضع الشك فى أن يكون اقتراحا أمريكيا أو على الأقل بإيحاء أمريكى وخاصة أن أول مرة أشار إليها كيسنجر لهذه الفكرة لم تجد أى رد فعل فى باريس .
- ٢- أنه أعلن وبنى لبنان ثالثة بعثة فرنسية تلتقى بالقيادات اللبنانية أى أن فرنسا كانت لديها فكرة جيدة عن موقف كل قيادات لبنان والمقاومة .
- ٣- أن ظروف وطبيعة الحرب الأهلية اللبنانية تجعل من الصعوبة البالغة نزول قوات دون أن تخوض معارك حقيقية قد تجعلها تضرب أطراف حليفة بحكم الخطأ ، وذلك نتيجة طبيعة حرب المدن وتداخل مواقع القوات .
- ٤- أن فرنسا من الناحية العسكرية غير قادرة فى الوقت الحاضر لإرسال قوات إلى خارج فرنسا لاعتبارات عسكرية وسياسية خاصة بفرنسا نفسها .

وكانت ردود الفعل على اقتراح ديستان هى الرفض الحاسم من زعيم الحركة الوطنية كمال جنبلاط . وهونفس الموقف الذى اتخذته المقاومة . كما عارض الاقتراح رشيد كرامى رئيس وزراء لبنان بدعوى أنه لابد من الانتظار حتى يتولى الرئيس الجديد لإقرار مثل هذا الطلب . حتى بيار الجميل لم يستطيع إعلان تأييده الصريح فقال إنه من الحماقة معارضة دخول قوات غير لبنانية الى لبنان ، أما كميل شمعون فقد قال إنه يفضل أن يتمكن اللبنانيون من إنهاء هذه المشاكل دون حاجة لدولة أجنبية مهما كانت صديقة وإذا كان لابد من قوات أجنبية فلا

بأس أن تكون فرنسية . وإسرائيل التزمت الصمت تجاه الاقتراح الفرنسي .
والرئيس المنتخب مركيس طلب تجميد الاقتراح .

وهكذا يتضح أن أغلبية الأطراف إما عارضت أو لم تؤيد . وهو في اعتقادي
مالم يكن غائبا عن فرنسا قبل أن تقدم اقتراحها .. إذن لماذا قدمت الاقتراح
ليرفض ؟..

- أرادت تعميق الإيمان بأن إنهاء الأزمة لا بد أن يكون عن طريق قوات غير
لبنانية تفرض قاعدة لا غالب ولا مغلوب بقوة السلاح .
- أن الاقتراح في حد ذاته ومن فرنسا صديقة العرب سوف يعطى للتدخل
السوري دعما وتأييدا باعتباره بالنسبة للعرب سيكون أقل الأضرار « أى
بقوات عربية أفضل من قوات أجنبية على حد المثل « بيدى لا بيد
عمرو! » .

- وربما أرادت فرنسا أن تلعب دورا في المنطقة لصالح الولايات المتحدة
وخاصة وأن الفكرة أمريكية الأصل ثم إن اختيار الرئيس الفرنسي لمدينة
أمريكية يعلن منها الاقتراح هو بالتأكيد ليس من باب الخطأ أو
المصادفة .. فدول لها تاريخ في الدبلوماسية لا يمكن أن تقع في مثل هذا
الخطأ الساذج إلا إذا كانت تتحرك وفق تنسيق آخر .

- إقناع كل الأطراف أن هناك من يفكر في إرسال قوات إلى لبنان بعد أن
أصاب خيبة الأمل جبهة لبنان التي كانت تتوقع حدوث ذلك منذ
البداية .

- ويرى البعض أن الولايات المتحدة بالإجماع لفرنسا بالاقتراح أرادت أن
تضع فرنسا في موضع الدولة الطامعة في استعادة نفوذها وبالتالي تفتقد
ما كانت قد كسبته في عهد ديغول من صداقة العرب . وبالتالي تصبح

الولايات المتحدة هي القوة الوحيدة التي تتحرك لترتيب الأوضاع في لبنان . ويؤيد هذا الاتجاه أن كيسانجر نفسه الذي تحدث من هذه الفكرة هو الذي قال يوم أعلنها ديستان أن الاقتراح موضع دراسة بشرط موافقة العرب والدول الأخرى وإن كان يعارض فكرة تدخل خارجي أصلاً .

والاحتمال الأخير هو محاولة معرفة رأى الاتحاد السوفيتي وأوردود فعله إذا ماتدخلت قوى أجنبية في لبنان .

الاتحاد السوفيتي

لقد كان الاتحاد السوفيتي يعاني من ظاهرة تقلص رقعة مواقفه في العالم العربي إلى الحد الذي جعل دوره يبدو في معظم الأحيان أقرب إلى التحذير من آثار استمرار الحرب الأهلية وتصعيدها منه إلى ممارسة تأثير ملموس على مجرياتها . وقد ضاعف من خلل حتى هذا الدور نشوب الأزمة في علاقاته مع سوريا نتيجة الدور السوري في لبنان . وهي الأزمة التي كادت أن تسد كل منافذ التأثير على مجرى الأحداث في لبنان .

وكان يحكم الدور السوفيتي في هذا الإطار الخطوط الآتية (٢٨) :

- ١- الحرص على الثورة الفلسطينية واستمرارها وحماية حقوقها على الساحة اللبنانية .
- ٢- الحفاظ على الحركة الوطنية اللبنانية ومعارضة منهج تصفية قواها .
- ٣- إدانة الخطط التي تهدف إلى ضرب العرب بالعرب .
- ٤- الدعوة إلى تسوية الأزمة اللبنانية داخليا بين اللبنانيين بمعزل عن أي تدخل خارجي .
- ٥- ضرورة ضمان وحدة لبنان وعروبته وحيرواته الأساسية الديمقراطية .

وكانت ترجمة ذلك على الأحداث واضحة. إذ أن البيان المشترك الذي صدر
٢٥ يوليو ١٩٧٥ - بعد انتهاء زيارة وفد الحزب التقدمي الاشتراكي للحزب
الشيوعي في موسكو قد أكد على الدعوة إلى وحدة القوى التقدمية والوطنية في
لبنان.

وقد توجه وفد لبناني إلى موسكو يضم قيادات لبنانية برئاسة عبد الله اليافي
وكانت وجهة نظر السوفيت هـ ضرورة حل مشكلة لبنان لبنانياً وعدم إتاحة
الفرصة لتصفية الوجود الفلسطيني على أرض لبنان.

وكتبت صحيفة برافدا - ٦ أكتوبر - خبراً على لسان اللجنة المركزية للحزب
الشيوعي السوفيتي يقول إن اشتراك إسرائيل في أحداث لبنان ليس موضع شك .
وأنه توفر للسوفيت عدد كاف من الأدلة يثبت رغبة الدوائر العينية الإسرائيلية في
استغلال الأزمة اللبنانية للقضاء على الوحدة العربية .

ونقل السفير السوفيتي إلى سليمان فرنجية - ١١ نوفمبر - استعداد الاتحاد السوفيتي
لبذل كل ما من شأنه دعم لبنان وسلامته ووحدة أراضيه .

وقد حرصت برافدا على التعليق على تصريحات كوف دي موريل التي أشار
فيها إلى أن الوجود الفلسطيني هو سبب المشكلة فقالت - ٢٠ نوفمبر - إن الأزمة في
لبنان لا يمكن أن تحل من دون إصلاحات سياسية واجتماعية تتفق ومصصلحة غالبية
السكان . ثم عادت وذكرت - ٩ يناير سنة ١٩٧٦ - تصريحات عن الحكومة السوفيتية
أنها تعتبر أزمة لبنان إيجاء من قوى خارجية تهدف إلى إبقاء الوضع في الشرق
الأوسط متوتراً .

وقد وصل اليكس كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي إلى دمشق في أول
يونيو بينما كانت سوريا قد كشفت عن دخولها للبنان . وأعلن معارضته التدخل

الاستعماري بكل أشكاله في لبنان . وأيد القوى اللبنانية التي تناضل من أجل الوحدة الوطنية . ولكن الغريب أن يقول « إن الاتحاد السوفيتي يقف مع سوريا في هذا الموقف العصيب » . وكان الغزو السوري للبنان قد بدأ أثناء زيارة كوسيجين وكأنه أريد بتوقيته إعلان قبول السوفيت له وهو ما لم يحدث عمليا .

وكانت الحقيقة التي حيرت الكثيرين هي أن الاتحاد السوفيتي لم يضغط على سوريا بالقدر الذي يمنع تصفية الجيش السوري لقوى الحركة الوطنية والمقاومة في لبنان . وإن كان هناك رأي يعتقد أن الاتحاد السوفيتي لم يكن يملك إلا النصيح لسوريا حتى لا يفقد دمشق إن تجاوز النصيح إلى منع قطع الغيار لسلحها مثلا .

وواضح ان موقف السوفيت كان مثيرا لكل الأطراف التي تمثل جبهة القوات المشتركة فقد نشر حديث لأبوياد « صلاح خلف » يقول فيه إن السوفيت يملقون في السماء . فبينما أنا أخوض معركة مصير أصبحت بالنسبة لي .. أن أكون أولا أكون ، إذا بالسوفيت يريدون معرفة أن كنت أوافق على الاشتراك في مؤتمر جنيف (٢٩) . وقد ازداد موقف الأسدياء بين قوى الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة وخاصة بعد استحكام الحصار البحري على موانئ جنوب لبنان والذي بدأته إسرائيل ثم عززته الدوريات السورية . وكان كل الرجاء هو أن يرسل الاتحاد السوفيتي سفينة على حد تعبير أحد قيادات المقاومة تحمل « الطحين » لكسر الحصار على القوى الوطنية في لبنان .

وفي اعتقادي أن الموقف السوفيتي إن كان قد وقف عند حدود النصيح فليس ذلك خوفا من مزيد من تقلص مواقعه في العالم العربي ولكنه وليد موقف خاص من القضية الفلسطينية . والذي وصل إلى درجة عدم الاعتراف بمنظمة التحرير كحركة تحرير إلا في ١٩٧٤ بينما كانت أزمة وجوده في المنطقة في ذروتها وكان ذلك نوع من التمويه وليس موقفا من التأيد بل إن القيادة السوفيتية لم تجمع

بقيادة الثورة الفلسطينية إلا والحرب اللبنانية في عامها الثاني وطوال هذه السنوات كان الاتحاد السوفيتي ينصح الثورة الفلسطينية بقبول قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الذي لايتعلق بالفلسطينيين ولكنه يعالج مشكلة احتلال الأراضي العربية ولم يغير السوفيت موقفهم حتى بداية سنة ١٩٧٧ . حين نصحوا الثورة على عكس قولهم بعدم قبول قرار مجلس الأمن لأنه لايتعلق بهم .

وهكذا كان موقف السوفيت طوال الأزمة محكوما بإطار القدرة على توجيه النصح دون القدرة . وفي رأى البعض المحاولة - للضغط لمنع ضرب المقاومة أو على الأقل تخفيف الضربات عنها .

الفاتيكان

لقد شكلت الوساطة البابوية التي قام بها الكاردينال برتولي الذي وصل بيروت في ٩ نوفمبر ١٩٧٥ أول وساطة دولية في الأزمة اللبنانية . وقد بدا واضحا منذ البداية لتحرك المبعوث البابوي أن الفاتيكان ينظر إلى الصراع اللبناني من زاوية المخاطر التي يحملها القتال بأشكاله الطائفية على مستقبل الطوائف الكاثوليكية في سائر الأقطار العربية واحتمال وقوع ردات فعل عدائية تجاه رعاياه بما يهدد سياسة الفاتيكان الحالية في الانفتاح على قضايا شعوب آسيا وإفريقيا وتعزيز الحوار المسيحي - الإسلامي . ولذلك شدد المبعوث البابوي على الرفض المطلق للتقسيم وتجريد التعايش حتى ولو كان يتنازل الموارنة عن بعض امتيازاتهم (٣٠) .

وكان موقفه قريبا من وجهة نظر بطريرك الموارنة خريش ولكن مهمته اصطدمت بموقف رئيس الهباتيات شربل قسيس وأقطاب جبهة لبنان . وفي ٢٧

نوفمبر صدر بيان في الفاتيكان بعد مقابلة البابا لمبعوثه العائد من لبنان يقول إن بروتولى لمس لدى جميع الأطراف في لبنان رغبة في الوصول إلى هدنة دائمة والمحافظة على وحدة لبنان وطاقمه .

وكان السفير البابوي في بيروت قد نقل رسالة من البابا إلى ياسر عرفات - ٧ إبريل - قبل إرسال المبعوث الخاص إلى لبنان وذلك للتعبير عن أسفه عن الأحداث التي جرت في لبنان . وهي حادثة عين الرمانة .

كما ناقش البابا موضوع سلامة لبنان واستقراره مع الرئيس الأمريكى فوردي - يونيو - حين زاره في الفاتيكان . وبعد ذلك بأيام أعلنت الفاتيكان أن انفجار الصبغة اللبنانية ستكون كارثة عالمية . وقد بعث البابا برسالة إلى فرنجية - ١٣ يونيو - سلمها السفير البابوي في بيروت تعبر عن اهتمام البابا بلبنان ومايجرى فيه من أحداث . والغريب أن كميل شمعون لم ينشر هذه الرسالة في الكتاب الأبيض الذى أصدره بوصفه وزيرا للخارجية واضطر إلى سحبه بعد أن أثار نقدا بين السفراء اللبنانيين في الخارج . كما لم ينشر رسالة البابا الثانية - ٣ أكتوبر - إلى سليمان فرنجية .

وقد تعرض موقف الفاتيكان لعملية تأثير من شربل قسيس وجماعته وخلال محاولة الفاتيكان حل الأزمة الناتجة عن تناقض موقف رئيس الرهبانيات مع البطريرك . فقد اتفق شربل قسيس الفاتيكان أن هناك غخطا من شأنه احلال الفلسطينيين نهائيا في لبنان وإجلاء المسيحيين عنه .. وهو ما نشرته صحيفة الفاتيكان بما دفع كمال جنبلاط أن يعلن أنه سيوجه رسالة إلى البابا يشرح له حقائق الموقف في لبنان . وفي ضوء ذلك كله تقرر إرسال المبعوث البابوي الى بيروت ، والذي حرص على أن يجتمع بقيادة كل الطوائف في لبنان للتعبير عن اهتمام البابا بحل مشكلة لبنان حلا سليما .

وقد قرر البطريرك خريش السفر إلى الفاتيكان لعرض وجهة نظره في الأحداث ودور رئيس الرهبانيات شربل قسيس . وقد عرف - ١٩ نوفمبر - أن البطريرك يعد ملفا عن القضية اللبنانية ليعرضه على البابا بولس السادس . وانتهت الزيارة بالدعوة - ١٢ ديسمبر - إلى المصالحة وتعزيز وحدة لبنان .

و يبدو أن منطق شربل قسيس والذي سيطر على الفاتيكان لأن البطريرك بعد عودته اعتكف بعيدا عن الأطراف مكثفا بالصلاة من أجل أن ينقذ الله لبنان من المصير المجهول .

وأمام تصاعد القتال واستمرار الأزمة بعث البابا ببعثة بابوية جديدة برئاسة الأب هنري دي ريد مائن . وقد حصرت البعثة فترة زيارتها الأولى في إطار الكنيسة المارونية وزيارة مواقع المهجرين في كسروان ثم بدأت بعد ذلك سلسلة من اللقاءات ولكنها لم تصل إلى موقف محدد باعتبار أن المشكلة أكبر من الإمكانات المتاحة لبعثة دينية ، خاصة وأن شربل قسيس قد اندمج في المشكلة تمويلا وتليحا بحيث أصبح طريق العودة صعبا إن لم يكن مستحيلا .

وهكذا كادت كل الأدوار الدولية تدور حول سوريا بدورها المطروح لاستكمال ماأريد من مأساة لبنان بينما كانت هناك دول أخرى حاولت مجرد وقف نزيف الدم .

ولابد من ملحوظة أخيرة في هذا الإطار وهي أن الدول التي تعرضت لأدوارها ليست وحدها التي تحركت فقد كانت هناك دول أخرى في العالم مثل مجموعة السوق الأوروبية ومواقف أخرى مثل موقف السكرتير العام ولكن بحكم أنها أدوار محدودة التأثير حتى الأدبي على مجرى الأحداث فقد اكتفيت بعرض مواقف الدول الأساسية . وهو مايقننا إلى القوى التي كانت أكثر تأثيرا وأقدر على التوجيه وهي مجموعة الدول العربية .

هوامش الفصل السابع

- (١) هذا الدور ليس جديدا. فقد سبق أن ظهر دور مماثل خلال إضراب البرتغال. وانكشف حين أعلنت البواشنتون بوست قائمة الأسماء التي حصلت على أموال من المخبرات المركزية الأمريكية وبينها فيلي برانت ثم اعتذرت أمريكا وأعلن فيلي برانت أنه حصل على المبلغ لبسامة الحزب الاشتراكي إلى عناصر برتغالية لمنع سيطرة الشيوعيين هناك.
- (٢) Ben gursion, The Peel Repart and the Jewish state London 1938, p. 61
- (٣) يوسف حمدان إسرائيل والأزمة اللبنانية. شؤون فلسطينية عدد ٥٣ ص ٣١.
- (٤) مز يد من التفاصيل في نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ونشرة رصد الاذاعة العبرية لمركز الابحاث.
- (٥) الحديث نشرته القيس في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٦ نقلا عن مجلة أمريكية.
- (٦) ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٧٥.
- (٧) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية عن يوم ٢٦ سنة ١٩٧٥.
- (٨) صحيفة الوطن. الكويت. ٢٨ أغسطس سنة ١٩٧٧.
- (٩) Time. 22 August, 1977, p. 10
- (١٠) في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٦. نشرة الإذاعة.
- (١١) The Herald Tribune. 21.7, 1976
- (١٢) ندوة تليفزيونية نشرت في الصحف الأمريكية ونشرتها تحف لبنان ومنها - السفير - بيروت في ٧٦ / ٨ / ٢٣
- (١٣) برقية رقم ٢٧ في أبريل سنة ١٩٧٧
- (١٤) تفاصيل هذه العلاقات كما ذكرت صحف إسرائيل في نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية في ٢ أغسطس سنة ١٩٧٦.
- (١٥) في ٢٧ يوليو سنة ١٩٧٦ نشرة الإذاعة.
- (١٦) متابعة صحف إسرائيل من خلال نشرة المرصد لمركز الأبحاث. ونشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ونشرة الإذاعة المصرية خلال شهرى - يونيو و يوليو سنة ١٩٧٦.

- (١٧) د. سامى منصور محاذير الطريق المفتوح بين العرب وأمريكا شئون فلسطينية جلد ٣٦ .
٢٨
- (١٨) نواف عبد الله . حول الأزمة اللبنانية . شئون فلسطينية عدد ٥٦ ص ٦٠
- (١٩) مجلة الأسبوع العربى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٧٤ .
- (٢٠) يوميات الحرب اللبنانية . مرجع سابق . ص ٦٠
- (٢١) مهمة المبعوث الأمريكى . الكتاب الأبيض اللبنانى . وزارة الخارجية . بيروت ١٩٧٦
٤٦ .
- (٢٢) د. محمد المجدوب . الوجه القبيح لنظام الكاتنونات . شئون فلسطينية رقم ٦٣ ص ٣٥ .
- (٢٣) لطفى الخولى . لبنان الدامى جريدة الأهرام . القاهرة ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٧٥ .
- (٢٤) الكتاب الأبيض اللبنانى . وزارة الخارجية . بيروت ١٩٧٦ ص ٢١ .
- (٢٥) جريدة السفير . بيروت . ٢١ ديسمبر سنة ١٩٧٥ .
- (٢٦) نص البيان فى الكتاب الأبيض اللبنانى ص ٣٠-٣٢ .
- (٢٧) الرسالة ورد قرنيمة فى الكتاب الأبيض اللبنانى ص ٣٩-٤١ .
- (٢٨) تقرير اللجنة المركزية لمنظمة العمل الشيوعى . ص ٤١
- (٢٩) مجلة النمستور فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٧٦ .
- (٣٠) نواف عبد الله . حول الأزمة اللبنانية . شئون فلسطين رقم ٥٧ ص ٩٨ .

الفصل الثامن

صراع الديول (١)

اختلفت مواقف الدول العربية في جرعة لبنان رغم أن لكل منهم وجودا-
يحرص عليه- على ساحة لبنان بشكل أو بآخر. وبرغم أن أمن الثورة الفلسطينية
وعند تصفية الوجود الفلسطيني وأمن سلامة لبنان هي من الأهداف الاستراتيجية
للأمة العربية فقد ترك نزيف الدم يسيل دون أن تتحرك الضمائر. بل ولا حتى
الدم أثار عواطف الحكام العرب. فشغل البعض منهم بما لا يستحق أن يشغله.
ومزقت أعصاب وعواطف البعض بما لا يستحق حتى دمة رثاء وترك لبنان يتمزق
وتركت الثورة الفلسطينية تذبح مرة أخرى بأيدي عربية.

وقد تراوحت المواقف العربية بين التجاهل وبين السقوط في بؤ الأحداث
ويمكن أن نميز:

دول نسيت أنها عضوفى جسد الأمة العربية وأعطت لنفسها أعدارا «براجماتيه» أو استعلائية-!- وهى فى النهاية تعرف أنها ابتعدت عن الساحة .. مثل تونس والجزائر. فتجد أن الجزائر بدأت فى أعقاب حادث عين الرمانة ترى مايجرى . وأرسل بومدين رسالة إلى ياسر عرفات- ١٨ ابريل- يؤكد فيها على تضامن الجزائر مع الثورة والوقوف إلى جانبها فى وجه المخططات التأمرية . ثم عاد وأرسل- ٢٤ مايو- برسالتين إلى سليمان فرنجية وياسر عرفات حول مخاطر تصفية الثورة الفلسطينية . وشارك سفير الجزائر مع السفراء العرب فى محاولة احتواء حادث عين الرمانة ولكن الحرب الأهلية وقعت والقوى تحركت وجزائر الثورة اختفت . وإذا كان لتونس عذرها بتوعية حكها وقيادتها فقد كان موقف الجزائر موضع سؤال حائر على ساحة لبنان طوال الوقت .

ودول فقدت دورها المؤثر على مجرى الأحداث والقوى فى لبنان . ولم يبق لها على الأقل طوال العام الأول للمذبحة سوى دور التحذير والنصح مثل مصر فقد بعث الرئيس أنور السادات بتبع عشرة رسالة إلى الرئيس سليمان فرنجية وغيره من المسؤولين خلال الأزمة اللبنانية . وأول رسالة كانت لسليمان فرنجية- ١٩ ابريل- عقب حادث عين الرمانة . والثانية كانت ضمن رسالة جماعية من مؤتمر الرياض الثلاثى- السادات والأسد ونحالد- لتحذير فرنجية من عواقب تصفية الثورة الفلسطينية . واشترك السفير المصرى مع السفير السعودى فى لقاء مصارحة بين سليمان فرنجية وياسر عرفات . وأخطر ماقيل فيه طبقا لنص محاضر الجلسة الذى يقع فى ٤ صفحات هو مابداً به ياسر عرفات الجلسة من أن «هناك سماسرة وللأسف شخصيات لبنانية كبيرة هى التى تتاجر فى السلاح وليست بينها عناصر فلسطينية . وأن حادث عين الرمانة مؤامرة مرتبة» . والنقطة الثانية فى هذه الجلسة فى مقاله سليمان فرنجية- الصفحة الثانية من المحضر- أن الصحف العربية لا تنشر أن المسيحيين يريدون أن يذبحوا المسلمين فى لبنان ثم يقول حرفياً» ربما هذا

وارد بالنوايا.. ولكن عمليا غير وارد.. والنقطة الثالثة هي مقاله فرنجية في نهاية الجلسة من أنه يوافق على أن تحتفظ المقاومة بكل أسلحتها داخل المخيمات.. وكان ذلك كله في حضور السفير المصري. وكان رأى السادات - ٢ يونيو - أن المخرج الوحيد للأزمة يتمثل في لقاء بين ياسر عرفات وسليمان فرنجية. وأبدى استعداداه للذهاب بنفسه للجمع بينها وقال «إن فرنجية من بيت عربى أصيل، وأنه ذو حس عربى صاف». وتم الاجتماع الثانى بين فرنجية وياسر عرفات في حضور سفيرى مصر والسعودية. واستمر الاجتماع ٦ ساعات. كان من الواضح فيه أن سليمان فرنجية يعقد اتفاقات و يعطى وعود بمجرد كسب الوقت، بينما كانت العمليات الحربية مستمرة و عملية تطويع المقاومة عن طريق الحرب اللبنانية أيضا أستمريت لأن المسألة كانت أكبر من مجرد اللقاء بين عرفات وفرنجية، خاصة وأن الأحداث كشفت بعد ذلك دور فرنجية فيها.

وهناك رأى (٢) يرى أن دور الإعلام المصرى كان فى اتجاه بالغ الخطر إذ كأن يدعو إلى تصفية المنظمات التى تنضوى تحت اسم « جبهة الرفض » على ما يعنيه هنا من ضرب للوحدة الوطنية الفلسطينية وإثارة قتال فلسطينى - فلسطينى ومن إضعاف للموقف القومى لمنظمة التحرير. وقد وصل الفهم الخاطىء إلى درجة القول أن أحداث لبنان جزء من مؤامرة أعدتها جبهة الرفض لإحباط التسوية السلمية للنزاع العربى الإسرائيلى (٣) -!- وواضح أنه كان نقيضا لسير الأحداث بل وتغطية للكثائب التى أعدت ودبرت الجرعة. كما قالت أيضا صحف القاهرة إن الأجدع بمنظمة التحرير أن تعيد تقييم وقدراتها ودورها وحدود التزامها وحققها وأنهت إلى التلويح بضرورة استخدام حتى أسلوب التصفية الجسدية ضد هؤلاء الذين يمثلون « الانقلاب والمزايدة والتبعية » (٤) وكان من الواضح أن رؤية أحداث لبنان على حقيقتها بعيد جدا وكانت المعالجة من رؤية ذاتية مجتة. ففى الوقت الذى كانت فيه الخلافات بين مصر وسوريا فى ذروتها إذا بالصحف

المصرية تهاجم وساطة سوريا في لبنان .. ووصلت إحدى الصحف إلى حد أن يكون عنوانها عن عبد الحليم خدام هو «الخدام يقول ..» (٥) وقالت إنه ذهب إلى لبنان متصوراً أنه قادر على استثمار مأساة لبنان للهجوم على مصر وأن فرنجية طرده -!- من لبنان . واعتبر الدور السوري هو محاولة لغرض زعامة حزب البعث على لبنان (٦) . واختفت هذه الآراء عن سوريا وخدام بمجرد أن نجحت الوساطة السعودية في المصالحة بين مصر وسوريا .!

ومؤكد أن مصر كان يمكن أن تلعب دوراً أكثر إيجابية مثلما فعلت خلال أحداث سنة ١٩٥٨ . بدلا من الحفارة ببيير الجميل

هناك فريق ثالث من الدول العربية كان له دور مع الحركة الوطنية والمقاومة ولكن مساعداته كانت متأخرة عن موعداتها وبالتالي لم يكن له دور فعال على اتجاه الأحداث مثل العراق وليبيا . فنجد مثلاً أن أول تحرك عراقي كان في ديسمبر - أى بعد ٦ أشهر - حين توجه وزير الإعلام العراقي لنقل رسالة شقوية إلى سليمان فرنجية -!- ورغم تأخير الحركة إلا أن الدور العراقي لم يكن قد جاء بعد . وهو مأسوف يأتي في الفصل القادم .

وفريق رابع كان له دور مؤثر في الأحداث وهي الأردن والسعودية وسوريا . وقد سبق في فصول الكتاب عرض لمواقف الأردن على وجه خاص ودوره وخاصة في الفترة التي سبقت إشارة البداية . وربما كان موقف النظام الأردني من القضية الفلسطينية معروفاً وبالتالي تصور أي دور جديد هو مسألة إضافة إلى قائمة الحساب الطويلة .

أما دور السعودية فهو علامة استفهام كبيرة . فالمسألة ليست مجرد دعوة ببيير الجميل وزيارته لمعسكرات الجيش السعودي كما سبقت الإشارة ولكن دورها هو

الدور الوحيد الذى يدور حوله الخلاف . فتجد فى أحدث دراسة عن سوق السلاح (٧) أن السعودية التى قدمت الأموال للمقاومة قد قدمت فى نفس الوقت السلاح إلى الموارنة . ويقول المؤلف إن السعودية لم ترغب فى أن تلعب هذا الدور المزدوج . ولا كان فى تخطيطها . وإنما أحداث لبنان جعلت السعوديين باعتبارهم مسلمين ومحافظين فى حيرة . فهم كمسلمين يتجهون طبيعياً نحو الفلسطينيين ، بينما هم كمحافظين يتجهون نحو الموارنة . وفى الوقت الذى قدم فيه بعض الأمراء الدعم المالى للمقاومة الفلسطينية قدم بعض آخر من الأمراء الدعم سرا للمسيحيين وذلك تحت ضغط الإحساس بالقلق والخوف من خطر انتصار فلسطينى فى لبنان . وهكذا تحول البترو- دولار « إلى أموال وسلاح إلى طرفى الصراع . ويقول المؤلف إنه نفس موقف الكويت . وهو ما وجد تعبيره فى كاريكاتير مجلة نيوزويك الأمريكية .

وتقول صحيفة أمريكية (٨) إن تمويل صفقات السلاح إلى اليمن اللبنانى كان يتم عن طريق الكنيسة المارونية وبعض الأثرياء المسيحيين وبعض الحكومات العربية المحافظة دون أن تذكر أسماء دول .

والمعروف وهوما أكدته لى شربل فسيس أن السعودية تقدم دعماً مالياً للكنيسة المارونية منذ الخمسينات لمحاربة « الاتحاد والمادية » وباعتبارها العدو المشترك . وكان من فعلاان المؤتمر الإسلامى بالقاهرة .

وفى تقرير لسفير دولة عربية بترولية إلى حكومته - ٢٧ مايو ١٩٧٥ يقول فيه « إن صائب سلام العائد من السعودية قال إن الملك يرى أن لبنان يعانى من تحرك شيوعى - يسارى . وأن المسلمين اللبنانيين مسئولون عن هذا الوضع . وأن تحرك اليسار فى لبنان يعطى المسئولين السعوديين انطباعاً بأن كل مسلم فى لبنان هو شيوعى . وأن صائب سلام أخذ فى محاولة إحياء الحزب الذى رخص به سنة ١٩٧٢ لتجلبه تمام . وسوف يطلق اسم المجاهدين على التنظيم العسكرى التابع

للحزب» و يقول التقرير إن السعودية اعتمدت ٤٠ مليون ليرة باسم صائب سلام لمحاربة الإلحاد والشيوعية.

وقد توجه وفد فلسطيني إلى السعودية وسمع تحفظات المسؤولين هناك على موقف المقاومة . وكان يدور حول نقاط ثلاث هي أن الثورة الفلسطينية تحالفت مع اليسار الشيوعي وهو أمر مرفوض . كما أنها تحارب دفاعا عن مواقع ليست فلسطينية وهو استنزاف لقواها . ثم إن الجبهة المشتركة - الفلسطينية اللبنانية - لم تعبد من القيادات سوى قائد درزي - ! - . ويقصد به « كمال جنبلاط » .

وبعد أن تحدت المواقف وانكشفت كل المواقع وخاصة موقع بير الجميل إذا بالسعودية توجه إليه الدعوة لزيارة تمت في ٢٥ يونيو - ١٩٧٧ - لمدة ثلاثة أيام وكان « مانشيت » صحيفة العمل بلسان الكتائب على ثمانية أعمدة يقول « الجميل عائدا من السعودية : ما لسته يدعو إلى الاطمئنان (٩) . وكان ذلك بعد الغزو السوري للبنان . وهو ما سوف نعود إليه بعد ذلك .

ويحكم أن هذه المعلومات تعتبر مفاجأة لي فقد رأيت مناقشتها مع عناصر المقاومة وخاصة ما يطلق عليه « جناح مین فتح » . وقد قيل لي إنه صحيح أن المقاومة عثرت على أسلحة لدى الموارنة عليها إشارة السعودية . ذلك ليس دليلا على تقديم السعودية للسلاح إلى الموارنة ، فالمعروف أن هناك اتفاقا طبقا لقرارات مجلس الدفاع العربي أن تقدم السعودية الأسلحة والدخائر إلى الجيش اللبناني . وأنه عن طريق الجيش اللبناني كان يتم تسريب السلاح السعودي إلى الموارنة . وأن السعودية احترمت التزاماتها فاستمرت في تقديم هذه الأسلحة للجيش اللبناني حتى بعد بداية الأحداث . وكانت تسلم إليه ميناء جونيه . عاصمة الموارنة كما أن السعودية أذاعت نوفمبر - في ٢٩ نوفمبر - أنها تدخلت في أحداث لبنان وأنها أثارت فئة من اللبنانيين ضد فئة أخرى أو تكون قد صنف المسلمين في لبنان إلى يمين و يسار .

.. وكان تعليق أحد رؤساء الجمهورية العرب من أصدقاء السعودية .. « أن السعودية قد غرقت لأذنيها في أحداث لبنان . »

ورأيت التزاما بالحقيقة أن أعرض وجهتي النظر التي قبلت حول هذا الدور السعودي . أما دور سوريا فقد رأيت معالجته متكاملا بعد الانتهاء من عرض المواقف العربية .

ويمكن أن نتميز في السياسات العربية ثلاث مراحل . مرحلة أولى من بداية الأحداث وحتى الغزو السوري السياسي والعسكري للبنان ومرحلة الغزو ثم مرحلة البحث عن النهاية .

وكانت البداية حين وجه ياسر عرفات برقية من بيروت إلى الملوك والرؤساء العرب تقول (١٠) : « أصحاب الجلالة والسيادة الملوك الرؤساء العرب » .

« في صباح اليوم قامت عصابات حزب الكتائب المسلحة في لبنان بعمل كمين مسلح لسيارة باص مدنية وفتحت عليها نيران غزيرة .

واستشهد على أثرها سبعة وعشرون من ركبها بين طفل وأمرأة ورجل وعدد كبير من الجرحى . وأن المجزرة الدموية التي نفذتها عصابات حزب الكتائب المسلحة ضد أبناء شعبنا الأبرياء القزل هي مؤامرة مكشوفة تقوم بها العصابات بتنسيق وتوجيه من الإمبريالية والصهيونية على أرض لبنان الشقيق في محاولة مكشوفة لخلق الفتنة وضرب الأخوة الفلسطينية اللبنانية .

إننا وأن نشهدكم على مقومات هذه الفتنة ونتائجها الخطيرة ندعوكم إلى التدخل العاجل لإحباط هذه المؤامرة ، ودعوة السلطات المسؤولة في لبنان الشقيق للضرب على أيدي عصابات الكتائب الآثمة ..

ياسر عرفات

وقد وصل في اليوم التالي مباشرة محمود رياض الأمين العام للجامعة العربية ، وذلك بناء على طلب رسمي من مصر لبحث الوضع في لبنان . وفي نفس اليوم استقبل رئيس وزراء لبنان - رشيد الصلح - ١٤ سفيراً عربياً أعربوا عن موقفهم بأنهم لا يتدخلون في مشاكل لبنان الداخلية . وأن تدخلهم يرجع إلى أن الفلسطينيين لهم وضع خاص . وأن منظمة التحرير تعتبرها جامعة الدول العربية بمثابة حكومة فلسطينية . وبالتالي فإن أي قضية بينها وبين أي بلد عربي تصبح قضية عربية . وأنهم ينتظرون إلى مايجري في لبنان من زاوية الحرص على سلامة الفلسطينيين وسلامة العلاقات الفلسطينية اللبنانية . (١١) وفي اليوم التالي - ١٥ أبريل - اقترح محمود رياض اتفاقاً ينص على وقف إطلاق النار وتسليم المطلوبين من الطرفين وإعادة هبة السلطة إلى أماكن التوتر . وفعلاً تم إعلان الشطر الأول من الاقتراح وهو اتفاق وقف إطلاق النار الأول ولكنه لم يستمر طويلاً بينما استمرت محاولات محمود رياض الأمين العام للجامعة طوال أشهر المأساة . وقد لخص الأمين العام الموقف في كلمات (١٢) بأن القوى العربية تبلدت أمام مذبح لبنان بحيث إننا الآن نردّد الاسم ، كما لو كنا نردّد اسماً للوحة تجريدية رسمها بيكاسو . وإن البعض شارك في هذه المذبحية بنفسه والبعض شارك فيها بتردده ، والبعض شارك فيها بصمت وإسرائيل وحدها تحبى الأرباح . والجامعة العربية حاولت مراراً . فقد تشاورت مع فيليب تقلا وزير خارجية لبنان أثناء وجودنا في نيويورك - سبتمبر سنة ١٩٧٥ - واقترحت عليه الاجتماع بوزراء الخارجية العرب لوضع حد للحرب الأهلية في لبنان لحظتها واقفى فيليب تقلا فوراً . ودعونا للاجتماع في اليوم التالي لكي نقابجا بأن الوزير الوحيد الذي لم يحضر هو فيليب تقلا . والذي حدث هو أنه اتصل بببيروت فأخبره سليمان فرنجية بأن العرب لا يجب أن يبحثوا الوضع في لبنان . وفي أكتوبر - أي بعد شهر - أثناء انعقاد مجلس الجامعة اقترحت تشكيل لجنة ثلاثية من وزراء الخارجية العرب للوساطة بين الطرفين . وتخمس وزير

خارجية الكويت وعرض الاقتراح على وزير خارجية لبنان . في الصباح وافق وزير خارجية لبنان وفي المساء سحب موافقته بعد اتصال مع سليمان فرنجية . وبعدها بشهرين - في يناير - وجهت الدعوة إلى عقد مؤتمر عري . فكان أول من رفض هو سليمان فرنجية . وعندما عرضت أن أذهب إلى لبنان - وهو أضعف الإيمان . جاءني برقية منه تقول « نحن نرحب بحضورك ، ولكن المطار مغلق » . وكان لبنان قد طلب من الجامعة العربية - ٣٠ يونيو - بعد شهرين من حادث عين الرمانة التريث في طلب اجتماع وزراء الخارجية لبحث الوضع في لبنان . »

كانت الصورة باختصار لا تخرج عن أن الدول العربية وجهت التذات وسعت بالوسائل الدبلوماسية لوقف إطلاق النار دون أن يحاول أى منها الاقتراب من صلب المشكلة وكان المشكلة هي مجرد وقف إطلاق نار مع أن اشتعال النار كان تعبيراً عن المستوى الذى وصلت إليه المشكلة . وانقسمت الدول العربية في هذا الإطار حيث كانت توزع التهم وتحازل فريق ضد آخر . وهو ما ساعد على استمرار نزيف الدم وليس وقفه .

كما أن جهة لبنان قد استفادت إلى حد بعيد من انقسام السياسات العربية وتعارضها وكان حسابها منذ البداية قائماً على السعى لتدخل أمريكى أو إسرائيلى أو فرنسى . وكانت صدمة لهم أن التدخل الأمريكى مستحيل . وأن التدخل الإسرائيلى مرفوض من إسرائيل وفق حساباتها وأن التدخل الفرنسى غير ممكن . فجهة الموارنة كانت تفضل ألا تعتمد على دولة عربية حتى لا تدخل في دائرة حساب السياسات العربية وحين لم تجد سوى هذا بناء على النصائح الإسرائيلى والأمريكى والفرنسية . فقد كان موقفها واضحاً هو رفض تمرير المشكلة واتخاذ هذا الموقف الواضح من جهود الجامعة العربية . فالجهة تعرف أن العرب حين

يجتمعون على مائدة رسمية لن يستطيع أحد أن يتقف علنا إلى جانب سياستهم وهي تصفية المقاومة على أرض لبنان . وأن ذلك لا يتم إلا من خلف الأستار وتمت الموائد . ولذلك كانت ضد أى مؤتمر عربى لبحث قضية لبنان . وكانت قيادات الجبهة تفضل الاتصالات العربية الثنائية باعتبار أن ذلك يترك لها باب الاختيار مفتوحاً للدولة العربية التى تريدها أو على الأقل تفضلها الجبهة أو بعض قياداتها . وكان من الواضح أن سليمان فرنجية مع قيادة حزب الكتائب كانت تفضل دمشق على غيرها ، خاصة وأن كل الأطراف الدولية التى تعتمد عليها الكتائب كانت تنصح بالتنسيق مع سوريا منذ البداية ، حتى الفاتيك كان نصح بذلك (١٣) وهو ما ينقلنا إلى المرحلة الثانية .

مرحلة التدخل السورى الذى وصل إلى الغزو العكرى للبنان وهو أكثر الأدوار التى فجعت الأمة العربية طوال ربع قرن . فقتل الفلسطينين على يد الصهيونية نفسه حركة الاستعمار العالمى . وقتل نظام الملك حسين لهم يفسره دور الأسرة الهاشمية فى مسيرة النفوذ الأجنبى بالمنطقة . أما أن يقوم بهذا الدور النظام السورى .. فهى مسألة أبشع وأخطر .

والواقع أن نظرة على الأحداث دون الغوص فى أعماقها توضح أن دور سوريا فى لبنان قد عبر ثلاث مراحل : الأولى كانت دور الوساطة وأحتواء الأزمة وانتهت بتكوين هيئة الحوار الوطنى ، والثانية كانت محاولة البحث عن حل وانتهت بما أطلق عليه الوثيقة الدستورية ، والثالثة هى فرض نهاية على الأحداث . وخطورة هذه النظرة إلى جانب عدم واقعيتها هى أنها تؤدى إلى تصور أن سوريا « تورطت » وهو تصور خاطئ تماماً ومرفوض لأن تعبير « التوريط » يعنى بمفاهيم اللغة العربية أنها خدعت (١٤) فوقعت فى ورطة نتيجة الغباء أو سوء التقدير . وهو أمر غير

مقبول بالنسبة لسوريا ، خاصة وأن قيادات المقاومة وقيادات الحركة الوطنية اللبنانية وعلى وجه خاص كمال جنبلاط قد تناхضت معارك حوار مع القيادة السورية قبل لحافظ الأسد شخصيا وعبد الحليم خدام كل الحقائق والاعتراضات بصراحة كاملة ووضوح . وبالتالي فاحتمالى التوريط غير وارد بالنسبة لموقف سوريا . ولا بد أن يكون هناك حساب سياسى لأبشع جرائم النظم العربية فى العصر الحديث دون مبالغة أو تهويل .

ودراسة الواقع تكشف كثيرا من الحقائق التى يجب أن تكون واضحة أمام الأمة العربية . ليس بهدف الإدانة فهى أسهل السبل ولكنها من أجل البحث عن غد أكثر إشراقا .

فى ٧ بنابر سنة ١٩٧٥ اجتمع حافظ الأسد مع سليمان فرنجية فى شتورا أى قبل إشابة البداية - حادث عين الرمانة - بثلاثة أشهر . وفى هذا الاجتماع عرض الأسد استعداده لمساعدة أخيه فرنجية إلى درجة إرسال قوات سورية للدفاع عن لبنان أو عقد اتفاقية أمن بين البلدين . والرجوع إلى بعض الذين حضروا حفل النداء لأن المناقشة كانت بين الرئيسين فقط ، قالوا إنهم أخذوا الأمر على أنه نوع من المجاملة الكلامية العربية ..

كما أن سوريا كانت تشعر بالقلق من أوضاع لبنان . وأفضل تليخص لمصادر القلق هو تقرير كاظم الخليل نائب رئيس حزب الوطنيين الأحرار - كميل شمعون - بعد عودته من سوريا (١٥) فيقول إن موقف سوريا تجاه لبنان :

١ - تشعر سوريا أن لبنان قد أصبح شاحة تنطلق منها كل النشاطات والتحركات ضدها . وأن هذه التحركات زادت بعد الاتفاق المصرى الإسرائيلى .

٢- أنه يمكن لسوريا بالتنسيق مع لبنان وقف أى نشاط فدائى . وأن بإمكانهم « تلجيم » المقاومة التى يستخدمها المسلمون فى خلافاتهم مع المسيحيين للحصول على تنازلات من أجل تحقيق مطالبهم .

٣- يأخذ السوريون على لبنان مسابرة للعراق وازدياد نشاط حزب البعث العراقى فى لبنان ، وتزايد نشاطهم الإعلاني . وتطالب سوريا بوقف نشاطهم مع جماعة الرافض والقوميين . وتتهمهم جميعا بأنهم يعملون ضد النظام السورى فى لبنان .

٤- تعهد المسلمون السوريون- لكاظم الخليل- بوقف كل نزف فى لبنان والضغط على المقاومة بجميع الوسائل لوقف نشاطها فى الساحة اللبنانية . فيفقد المسلمون واليارورقة فى صدامه مع المسيحيين .

يؤكد هذه المعلومات تقرير إحدى السفارات العربية فى لبنان (١٦) : « بأن التنسيق السورى اللبناني يشير إلى أن معلومات سوريا أن لبنان أصبح مسرحا لمؤامرات العراق على سوريا . وأن النظام اللبناني تعهد باتخاذ إجراءات حازمة فى رصد نشاطات هذه الفئات وخاصة الجبهة الشعبية . وقد صدرت التعليمات فعلا إلى الأمن العام- ٢٦ مايو- برصد كافة التحركات العراقية فى لبنان . وبرزت الدائرة- الأمن- لموظفيها ذلك بأن هناك علاقة لهذه الجماعات بالمخابرات البريطانية » . وينتهى التقرير الى أنه تم الاتفاق بين الطرفين على إحياء اتفاق شتورا بين فرنجية والأسد والذى يقضى بعقد لقاءات شهرية بينها .

ولم يكن الاتفاق على لقاء شهري هو الاتفاق الوحيد الذى تسرب من الاجتماع بل إن إحدى صحف لبنان (١٧) نشرت مشروع معاهدة أمنية مقترحة من سوريا على لبنان وأن المعاهدة عرضها حسن صبرى الخولى على رشيد كرامى

رئيس الوزراء . وهي تعتبر ملحقا لوثيقة وقعها فرنجية والأسد في شتورا دون أن تعلن باستعانة لبنان بالقوات السورية لمدة عام وأن تضمن سوريا بقاء سليمان فرنجية في الحكم . ونتيجة تكذيب سوريا لمسألة معاهدة الأمن نشرت الصحيفة أن المعاهدة تتكون من ٥ مواد موزعة على ١٣ بندا وتنص على أن يتولى السوريون حفظ الأمن في لبنان لمدة ٣ سنوات وهو تعديل لا تفارق شتورا . وتنص المعاهدة المقترحة على أن يتولى ضباط سوريون وأجانب - لم تُحدد جنسياتهم - إعادة تنظيم جيش لبنان بالتعاون مع الضباط اللبنانيين الذي وقفوا على الحياد في الأزمة .

وأكدت المعاهدة على تعهد سوريا بالعمل بكافة الوسائل التي يرونها مناسبة لتطبيق اتفاق القاهرة وملحقاته .

ولعل ما يستحق التعليق على مسألة معاهدة الأمن المقترحة هو أنه كان يمكن اعتبارها خبرا صحفيا خاطئا إلا أن شيئا خطيرا وقع وهو أن أحد الأربعة في الجلسة التي نوقشت فيها المعاهدة والذي انحصرت الشبهة في أن يكون هو مصدر الخبر للصحيفة عثر عليه مقتولا بعد أيام - ! - كما أن حافظ الأسد بعد نشر الخبر بيومين أعلن أن أمن لبنان يرتبط بأمن سوريا وبعد أيام - ٢٩ - يونيو - أكد محمد حيدر نائب رئيس الوزراء السوري أن ما يحدث في لبنان يؤثر على أمن سوريا . ونشرت صحيفة « الجمع » السورية أن الرئيس حافظ الأسد ينظر إلى الشعب اللبناني كشعب نواصير للشعب السوري (١٨) .

يضاف إلى ذلك رأى سوريا في استقلال لبنان . وهو رأى كان يقال في الماضي في دوائر الحكم المخلفة دون أن يسمح بترديده علنا . وهو ما يعبر عنه عدم وجود تمثيل دبلوماسي بين البلدين والحركة بينهما مفتوحة إلى أن أعلن عبد الحليم خدام أثناء وجوده في الكويت (١٩) « إن لبنان كان جزءا من سوريا وإن أي خطوة نحو تقسيمه ستعني تدخلنا وضّمه إلى سوريا .. جيلا وساحلا وأقصى

أربعة...»، وكان حنافظ الأسد قد أعلن في مؤتمر حزب البعث سنة ١٩٦٣ أن لبنان كان جزءاً من سوريا. وأنه ليس هناك مبرر للحساسية من الحديث عن الوحدة بين البلدين. فإن كان الهلال الخصيب مشروعاً مشبوهاً فالعبرة بالمبادئ والأهداف.

ثم إن سوريا تعرف حقيقة المواقف في لبنان، ربما أكثر من غيرها من الدول العربية بحكم أنها الدولة العربية الوحيدة التي لها منظمات وليس أفراد تحمل أسماء محلية وتتحرك على ساحة لبنان بأسماء لبنانية وهي حزب البعث - عاصم قنصوه - وتنظيم الأسديين (الناصرين سابقاً) - كمال شنيلا (٢٠) - هذا غير علاقاتهم بقيادات الموارنة وخاصة ببيير الجميل - الكتائب - وسليمان فرنجي.

ويكفي أن سليمان فرنجي بعث للأمين العام للجامعة العربية رسالة بعد أسبوع من الغزو السوري للبنان يقول فيها حرفياً (٢١). «إني كرئيس للجمهورية اللبنانية أعتبر الوجود المسلح في لبنان تنفيذاً لما تضمنته الوثيقة الدستورية - فبراير - من ضمان سوري لالتزام الجانب الفلسطيني بالاتفاقات المعقودة مع السلطات اللبنانية». وأظن أنه ليس هناك أوضح من ذلك إقراراً بأن العملية لم تكن لمواجهة حدث طارئ وهو معركة الجبل بل كان خطوة مدروسة ومتفق عليها مع فرنجي. وقد يبدو خطأ أن موافقة رئيس الجمهورية تعني موافقة رسمية ولكن الذين يعرفون تركيب الحكم وسلطة إصدار القرار في لبنان يعرفون أيضاً أن مثل هذا القرار لا يملكه رئيس الجمهورية وحده. وقد أثار كميل شمعون الدنيا ضده حين اتخذ قراراً مماثلاً باستدعاء الأسطول السادس والقصة تتكرر باختلاف طفيف في الأسماء من شمعون إلى فرنجي ومن الأسطول السادس إلى الجيش السوري ولكن المهمة واحدة في الحالتين.

وكان التنظيم السوري - الفلسطيني الاسم - الصاعقة قد سقط خلال الأحداث

بأنظار الأدوار، دور الطابور الخامس بين الحركة الوطنية والمقاومة. وهو التنظيم الذي ضرب المقاومة والحركة الوطنية بالسلاح بأوامر سورية وهو التنظيم الذي بدأ مع الكتائب عمليات السرقة والنهب في الحى التجارى وبعدها انتقلت العدوى. وهو التنظيم صاحب الفضل في تسهيل عملية سقوط تل الزعتر وهو أيضا التنظيم الذى قام بتصفية حسابات سوريا مع الصحافة المعارضة لها وفى إحدى عملياته سقط الزميل الصحفى المصرى إبراهيم عامر قتيلا - ١٩ فبراير - فى دار صحيفة المحرر التى كان يزورها. وحين اكتشفت الجماهير حقيقة حاربت التنظيم وحاصرت مراكزه حتى وصل الأمر إلى محاصرة رئيس التنظيم ولولا قيادة منظمة التحرير التى أنفدته لكانت الجماهير قد فتكت به. والمهم أن أعظم إنجازات هذه العملية هو الاستيلاء على وثائق التنظيم التى أقدم فى ملاحق الكتاب عينة منها (٢٢) وأعرض معلومات من البعض الآخر.

فهو يقول فى الوثيقة ١٨٤ فى ٦ يونيو أن جميع المسلمين فى بيروت يقاثلون ضنا وبطلب اتخاذ إجراء قاس (موجودة بملاحق الكتاب) و يقول فى الوثيقة ١٨٣ فى نفس اليوم إن الاشتباكات تزداد عنفا بيننا وبين جميع القوى الأخرى. ثم يقول إن الكتائب تسأل بالبحاح عن تجمعات غير معروفة فى عيظورة. وتساءل إن كانت قوى سورية أم من الفئات الأخرى (ملاحق الكتاب) وفى الوثيقة ٩٩٤ يطلب تكليف تنظيمات بالضبط على لبنانيين (ملاحق الكتاب) لتغيير أو على حد تعبيره تصحيح مواقفهم. والوثيقة ٢٠٢/١٥٠ تكشف عن موقع التنظيم بالنسبة لسوريا حيث تلقى برفقة من اللواء حكمت الشهابى لدعوة كامل الأسعد رئيس مجلس النواب باسم الرئيس حافظ الأسد ويرد عليها بتحديد موعد الزيارة (ملاحق الكتاب) ويؤكد فى الوثيقة ١٦١ التنسيق مع الكتائب بأنه «قام بإخطار الكتائب مسبقا» عن اتصالات فتح معهم لعقد اجتماع مع جنبلاط وأنه

طلب التريث . وكان الهدف هو إفساد محاولة اللقاء (ملاحق الكتاب) وتصوروا معي مهزلة أن زهير محسن يقول في برقية لقيادته السورية عن كمال جنبلاط - أنبل قيادات لبنان - إنه عميل انفصالي . لو كانت المأساة تسمح بلامع ابتسامة لقلت إنها نكتة سورية ولكن الفجعة أكبر بكثير . وصورة البرقية في ملاحق الكتاب . والغريب أن رئيس الصاعقة وهو يتحدث مع قيادته السورية يتكلم بلغة الجميع أي أنه سوري فيقول في الوثيقة ١٠١/١٠٠٤ إن جنبلاط في حال عدم التوصل إلى اتفاق « معنا » أي سورية فإنه إما أن يصوت لصالح رمون إده أو أن يقطع الجلسة ..

وحتى رشيد كرامي رئيس وزراء لبنان حين أراد طلباً من رئيس جمهوريته فرنجية طلبه من زهير محسن ليطلبه من سوريا - الوثيقة ١٠١/٩٦٨ « إن كرامي يؤكد على أهمية استعجال فرنجية في توقيع التعديل السوري » وحين وقعت سوريا اتفاقاً مع المقاومة اتصلت الكتائب بالصاعقة تطلب تفسيراً فبعث قائد الصاعقة في نفس الوثيقة يقول « اشتكى ممثلو الكتائب من عدم إبلاغ الجانب الذي يمثلونه رسمياً - جبهة لبنان - باتفاق دمشق . وتساءلوا عن صحة وجود بنود أو اتفاقات سرية » . والغريب أن كلاماً من سوريا والصاعقة كانت ملزمة بتقديم تفسير وهو ما تقوله الوثيقة « أوضحنا لهم حقيقة الأمر » وفي الوثيقة ١٠١/٩٩٢ يقول « إنه من الضروري التأكيد على الكتائب من طرفكم برسالة يحملها العقيد علي بعد عودته - من أجل ضمان موقفهم إلى جانب استمرار الهدوء » .

والمهم كذلك الضغط على بطرس الخوري - مليونير ماروني وأحد ممالي الحرب - وابنته لأنها يعملان لصالح شمعون ومواقفها سلبية . ثم يشتكى زهير محسن لسوريا من الكتائب - الوثيقة ١٠١/٩٣٨ « إن ما قامت به الكتائب والأحرار في بيت شباب اليوم هو ابتزاز قدر لا مبر له » . ويتأذن في فتح معركة مع الكتائب والأحرار .

و يقول تفسيرا لطلبه « إن التدخل السوري رد على جانب واحد وبدون أن يحدث رد عمل على تصرف الجانب الآخر يجعل موقفنا حرجا . وينتهى إلى أن مثل هذه العملية يمكن أن تقلب الرأى العام لصالحنا و يبرر دخول . كانت تدخل وشطبت . القوات . ويعترف فى الوثيقة ١٠١/١٢٦ موجهة إلى عبد الحليم خدام أنه أطلق النار على مظاهرة فلسطينية قال إنها « معادية نظمها فتح مع جبهة التحرير العربية . . دون أن يستأذن مسبقا مثلما فعل بالنسبة للكتائب وكانت مهمته هى ضرب الفاسطيين !

ومعنى ذلك ببساطة أن تنظيم الصاعقة لا يرسل تقاريره إلى قيادته الرسمية وهى منظمة التحرير ولكنه يرسل تقارير يومية إلى الحكومة السورية . ومعنى هذه التقارير أن هناك تنسيقاً مع الكتائب التى أشعلت الحريق . وأنه أطلق النار على الفلسطينيين ولم يقم بذلك ضد الكتائب مثلا . هذا غير دوره فى عقد جلسة مجلس النواب لانتخاب رئيس جمهورية لبنان .

وكان لابد من تقديم لهذه العناصر التى تتوفر لسوريا دون غيرها لتأكيد حقيقة واحدة وهى رفض تعبیر أن سوريا تورطت فى أحداث لبنان . واستكالا للصورة فإن أكثر ما يوضحه الفصل السابق هو أن إسرائيل كانت تهدد باستخدام القوة إن دخلت قوات سوريا فى لبنان وأمر يكا كانت تنذر سوريا وإسرائيل بعدم التدخل ثم فجأة حدث تغير خلال أسبوع واحد فتحول التهديد إلى ترحيب وتحول الإنذار إلى دعم . وتفسر مجلة الايكونوست البريطانية هذا التغير بأن إسرائيل قبلت منطق الولايات المتحدة (٢٣) أن سيطرة سوريا على لبنان هى « أهون الشرين » ثم تطور الأمر إلى اتفاق بينهما . وكان صاحب فكرة الاتفاق حسب كلام المجلة البريطانية هو للملك حسين . وكان العرض الأردنى أثناء زيارة حسين لواشنطن أن تقوم واشنطن بالضغط على إسرائيل لترفع يدها عن لبنان إذا تحركت قوات سوريا

إليها . ومقابل ذلك تقوم سوريا بتجديد قوة الطوارئ في الجولان ، والتي تنتهي مدتها بعد شهر . وبشرط أن تبقى قوات سوريا بعيدا عن جنوب لبنان والمعروف أن الملك حسين كان في الولايات المتحدة في أول ابريل ١٩٧٦ .

وذكرت صحيفة واشنطن ستار (٢٤) - ١٢ ابريل - بأن سوريا تشاورت مع إسرائيل عن طريق السفارة الأمريكية في كل من دمشق وتل أبيب للتأكد من أن أعمالها العسكرية في لبنان لن تؤدي إلى أعمال انتقامية من إسرائيل . وقالت إن المشاورات مستمرة منذ يناير . وهو ما أكدته صحيفة معاريف الإسرائيلية - ٢٩ مارس - وحذرت إسرائيل من الوقوع في خطأ . وأيدت حقيقة الاتصالات صحيفة «يديعوت احرونوت» - ٨ يونيو - وأيدت سلوك إسرائيل .

تبقى حقيقة في هذه القصة وهي أن آخر مرة اجتمع فيها الملك حسين بحافظ الأسد كانت في ٢٥ مارس أي قبل سفره إلى واشنطن . وبالتالي تكون مسألة الغزو السوري للبنان معروفة ومدرسة قبل أن تقع بخمسة أشهر . وهو ما يؤكد ما ذكره سليمان فرنجية في رسالته إلى عمود رياض الأمين العام للجامعة العربية .

وتضيف صحيفة الميرالد تريبيون الأمريكية (٢٥) تفصيلا جديدة بأن أميركا قامت أيضا بإقناع الموارنة بالاعتماد على سوريا . وأن جبهة لبنان كانت تشعر بالقلق من الاعتماد على حافظ الأسد وأن الجبهة تفضل الاعتماد على تدخل إسرائيل لأن قيادتها تعتقد أن استراتيجية حافظ الأسد لاضعاف الفلسطينيين تسهلا للتسوية السياسية مع إسرائيل يمكن أن تنحطم لواقع في سوريا انقلاب بل إن رصاصة واحدة يمكن أن تغير سياسة سوريا . وتقول الصحيفة إن الولايات المتحدة أقيمت الجبهة بخطاء شكوكهم وبضرورة الاعتماد على سوريا .

ويقول سامييون في كتابه «سوق السلاح» إن سوريا وجدت في انتصار الفلسطينيين تهديدا يحدد مصير الاستقرار الداخلي فيها . وهو نفس موقف السعودية

والكويت . وكل منهم لديه أقلية فلسطينية ينشأها . وهكذا دخل الجيش السوري لضرب القوات التي درها وقام بتسليحها من قبل (٢٦) .

والمشكلة الوحيدة التي غابت عن قيادة دمشق هي ضرورة الحصول على موافقة عربية و يكفي وصفا لمعادلة لبنان تعبير بترك الموارد خريش عن علاقة لبنان بسوريا « بأنها يجب أن تكون دائما ممتازة وإذا تعطلت يقع الخراب ، لأن مصالح البلدين متشابكة ولبنان يرتاح إذا كان العرب متفقين . والأهم أن تكون سوريا ومصر متعاونين . والسعودية تبقى القاعدة والركيزة لكل اتفاق ، لأنها تغطي كل اتفاق الاستمرارية والديمومة (٢٧) .

وكانت السعودية قدمت لسوريا ٣ مليارات دولار- أي ٩ مليارات ليرة سورية- مساعدة مالية بالأشتراك مع دول الخليج وذلك عن سنة ١٩٧٥ أي عام المأساة في لبنان . وأصبح النظام السوري في انتعاش ووضع خطة تنمية بالذرة الطموح وبلغت ميزانية سوريا التقديرية لسنة ١٩٧٦ عام حجم القضية اللبنانية ١٦ مليار ليرة سورية منها ٩ مليارات من السعودية ودول الخليج . ولكن السعودية أوقفت المساعدات مع بداية هذا العام . ومنعنا من أي لبس أو سوء فهم فالموقف لم يكن للضغط على سوريا لتطوير علاقتها بالمقاومة وإنما كان على العكس متناقضا مع مصالح المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية . وكانت شروط السعودية :

- تحقيق مصالح مصرية- سورية .
- إعادة النظر في العلاقات مع الدول الشيوعية وخاصة الاتحاد السوفيتي
- تطويع الموقف السوري في لبنان بما يتفق مع المصالحة مع مصر والخط السعدي .

وكان الملك خالد قد زار دمشق لأول مرة في نهاية سنة ١٩٧٥ - وبالتحديد في سنة ٢٥ ديسمبر- وأعلن أن المحادثات بين خالد والأمس تناولت السعي لإزالة

الخلاف بين مصر وسوريا ، والأزمة اللبنانية وبحث الحلول لها ودور منظمة التحرير في المساعي من أجل التسوية وأخيرا دعم العلاقات بيت البلدين .

وفي آخر أيام العام أى بعد خمسة أيام من انتهاء زيارة الملك خالد لدمشق قام حافظ الأسد بزيارة لطهران-!- وبعدها بدأت ظواهر الفتن تطفئ على العلاقات السورية السوفيتية .

والواقع أن خلاف سوريا مع مصر كان مجرد خلاف حول الأسلوب في سياسة الحركة فقط . وقد يلور ذلك بوضوح أن سوريا لم تجد في الوقت الذي ترتب على عدم حصولها على مكاسب من سياسة الخطوة خطوة دافعا لرسم سياسة الدولة المدى لمواجهة إسرائيل بل إن ترجمة سوريا لذلك كانت مجرد الخوف على موقفها التفاوضي مع الولايات المتحدة وإسرائيل . وأن الخطوة التكتيكية تصبح هي أن يتحالف النظام السوري الذي يتبنى صباح مساء بالاشتراكية والثورة مع نظام الملك حسين في الأردن ومع النظام الطائفي في لبنان . ولا يبق سوى وضع اليد والسيطرة على الثورة الفلسطينية . وبالتالي يمكن أن تحتل سوريا مركزا أفضل في أي مفاوضات قادمة (٢٨) . وأصبح حافظ الأسد يمثل يوم مقابله مع كارتر- مايو سنة ١٩٧٧- نقطة الارتكاز الهامة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط (٢٩) . وهو ماسهل كثيرا مهمة السعودية . وظهر أثر ذلك على ردود فعل دمشق تجاه ما يطلبه الاتحاد السوفيتي الذي كان قد أرسل مذكرة في ١٠ صفحات- ١١ يوليو ١٩٧٦- يمجدها من المضي في ضرب المقاومة والحركة الوطنية في لبنان وكان الاتحاد السوفيتي قد نصح سوريا قبل الغزو بعدم الصدام مع المقاومة ونصح المقاومة بذلك على وعد أخذه من سوريا بعدم الصدام مع المقاومة . ثم ظهر أن المسألة كانت بالنسبة لدمشق مجرد كسب الوقت للانهاء من كل مشاكل غزو لبنان .

وهكذا تتضح المعالم الرئيسية لهذه المرحلة وهو مايسمح بعد ذلك بتتابة التحرك

الحربى من خلال واقع الأحداث بعد فشل المبادرة السورية في فرض ماعرف بالوثيقة الدستورية (٢٠) . فقد بدأت سوريا جهدا مكثفا مع قادة لبنان واجتمع حافظ الأسد مع ياسر عرفات - ٢١ فبراير - كما تلقى ياسر عرفات رسالة من الملك خالد حول الوضع في لبنان . بينما أعلن وزير خارجية مصر - ٢٤ فبراير - أن كل ما ترده مصر للبنان هو التخلص من الوصاية بأى شكل كانت ودفع أى تدخل في شؤون لبنان الداخلية . وأصدرت قيادة حزب البعث بدمشق بيانا في ذكرى ٨ مارس اعتبرت إنشاء جبهة شمالية ضرورة قومية ملحة . وسوريا تعمل على تقوية علاقاتها مع الأردن في نطاق هذه الجبهة . ومشروع الوحدة التضاللية السورية الفلسطينية يأتي في إطار هذه الأفكار . كذلك الدور الإيجابي الذي تلعبه سوريا لوضع حد لنزيف الدم في لبنان . وفي نفس المناسبة أعلن حافظ الأسد « أن الذين وقفوا خلف أحداث لبنان كانوا بحاجة لأن يرتفع صوت اتفاقية سيناء وكلنا نقدر أن صوت المذابيح هو صوت عال يدخل إلى العقول والقلوب » . أما ياسر عرفات فقد توجه إلى الكويت وأعلن من هناك - ٩ مارس - أن قوات « عين جبالوت » الفلسطينية استدعيت من مصر بأمر منه وأعرب عن أمله في عودة هذه القوات إلى مواقعها عندما تنتهى الحاجة إليها في لبنان . وبعد يومين وقع انقلاب عزيز الأحمد الذي اعتبرته سوريا عملاء عدائيا موجها ضد نشاطها في لبنان حتى لقد أبتل الأسد زيارته لباريس بسبب ذلك بينما تلقى عزيز الأحمد بركات تهينة بعيد المولد النبوي - ١٤ مارس - من الملك خالد والأمير فهد ولي عهد السعودية والأمير سلطان وزير دفاعها . وقد توجه ياسر عرفات ومعه أبو اياد إلى دمشق لتوضيح موقف المقاومة من حقيقة انقلاب الأحمد وقام الملك حسين بقطع رحلته الدولية - ١٨ مارس - بسبب الموقف في لبنان . وقد قام اللواء ناجي جميل - ٢٢ مارس - نائب وزير الدفاع بنقل رسالة من حافظ الأسد إلى الأمير فهد حول الدور السوري في لبنان . وبعد يومين بعث الملك خالد برسالة إلى

الأسد وأشاد المبعوث السعودي بدور سوريا وأعلن السادات - ٢٥ مارس - «أنه كان ولا يزال هناك تدخل عرني وأجنبي في لبنان عبر إرسال أسلحة إلى بعض الأطراف وتدخل عرني عن طريق سوريا لتحقيق مخططاتها» .

وفي نفس اليوم زار الملك حسين دمشق لمدة ساعات للتشاور مع الأسد . وأعلن وزير داخلية الكويت - ٢٧ مارس - ضرورة مؤتمر عرني لبحث الوضع المتفجر في لبنان . وهو نفس اليوم الذي اجتمع فيه حافظ الأسد مع كمال جنبلاط لمدة ٩ ساعات حاول خلالها جنبلاط إقناع الأسد بأن مصلحة سوريا قيام دولة تحكمها الحركة الوطنية في لبنان ولكن الاجتماع انتهى بالفشل . وفي اليوم التالي اجتمع ياسر عرفات مع الأسد ولكن الرئيس السوري ظل على موقعه .

وأعلن مجلس الأمن القومي المصري - ٢٨ مارس - الدعوة إلى إرسال قوات عربية مسلحة لإنهاء القتال في لبنان وإلى تدخل عرني عبر وساطة مشتركة . وسلمت المبادرة المصرية للجامعة العربية التي قامت بتزويدها على الحكومات العربية في اليوم التالي شهد اجتماعا بين الملك خالد والشيخ زايد انتهى بتوجيه نداء إلى لبنان شعبا وقيادة لإنهاء القتال . وأعلن رشيد كرامي رئيس وزراء لبنان - ٣٠ مارس - معارضته لدخول قوات عربية للبنان بسبب العلاقة المضطربة بين الدول العربية ودعا إلى دعم سوريا في مبادرتها . وقد أصدر حزب البعث في لبنان - السوري - بيانا - ٣١ مارس - يتهم فيه جنبلاط «بالعمالة والخيانة !» وفي نفس اليوم أعلن الرئيس السادات نداء إلى فرنجية يدعوه إلى عدم المغالاة في كبريائه الشخصي وطالب بتشكيل قوة عربية قادرة على وقف إطلاق النار إذا وافق لبنان على ذلك .

وفي أول ابريل أعلن الملك حسين من الولايات المتحدة تضامنه مع أي تدخل سوري محتمل في لبنان لمواجهة محاولات المتطرفين المسلحين لتغيير تركيبه الحكم في

لبنان لصالحهم . وفي اليوم الثاني أعلن وزير خارجية مصر أن القوة العربية المقترحة يمكن أن تتكون من ٦ دول هي السعودية ومصر والعراق وسوريا والكويت والإمارات . كما أعلن الملك خالد استعداد السعودية للمساهمة في أي جهد عربي لانهاء الازمة . وعاد الملك حسين للتصريح من الولايات المتحدة: ٣ ابريل - إن سوريا لن تتدخل عسكريا في لبنان إلا بناء على طلب من السلطات اللبنانية المسؤولة وزعماء لبنان الدينيين من جميع الأطراف .

وهاجم كمال جنبلاط في نفس اليوم التواجد السوري في لبنان وقال إنه تلقى بذهول خير احتياح بعض الموانئ اللبنانية من جانب الجيش السوري وردت الصاعقة السورية بأن قواتها قرب مصفاة الزهراني لخنايتها من إسرائيل -!- وكان الصاعقة قادرة على ذلك .

والمعروف أن بعض وحدات الجيش السوري حاولت دخول لبنان ولكنها عادت وانسحبت بعد أن أعلنت إسرائيل معارضتها لدخول سوريا ولم يكن الاتصال الأمريكي قد تم معها بعد .

ومن باريس أعلن السادات - ٤ ابريل - أن سوريا زودت الطرفين بالأسلحة والمأساة في لبنان نتيجة هذه السياسة . وأعلنت الكويت معارضتها لإرسال قوات عربية إلى لبنان وإن كانت تؤيد اتخاذ أي مبادرة سياسية لوضع حد لإراقة الدماء في لبنان . وأعلن الأمين العام للجامعة العربية - ٥ ابريل - أن الحل الحقيقي للأزمة يتمثل في عقد قمة عربية مصغرة في أسرع وقت لحل مشكلة لبنان . وأعلن الملك حسين من لوس أنجلوس - ٧ ابريل - معارضة الأردن لفكرة تشكيل قوة مسلحة من الدولة العربية . وأعلن كمال جنبلاط دعوته إلى تعريب الأزمة اللبنانية - ٩ ابريل - بينما أبو إياد يرفض التعريب أو التدويل . وقيادة المقاومة تعقد اجتماعا موسعا مع قيادات الحركة الوطنية - ١٢ ابريل - لبحث العلاقات المتوترة مع

دمشق . وتقرر تكشيف الاتصالات مع دمشق وإرسال مبعوث فلسطيني إليها .
لتصحيح العلاقات مع الحركة الوطنية وقد فوض كمال جنبلاط - ١٣ ابريل - ياسر عرفات في مهمة تصحيح العلاقات مع القيادة السورية بعد رسالة من سوريا أكدت فيها على التحالف الإستراتيجي بين المقاومة وسوريا واستعدادها بهذا المساعي لتصحيح العلاقة مع الحركة الوطنية . وفي اليوم التالي اقترحت العراق رسميا دعوة مجلس الجامعة العربية إلى اجتماع طارئ . واجتمع ياسر عرفات مع الأسد - ١٥ - للتوصل إلى اتفاق . وقد أمكن التوصل إلى اتفاق ينص على :

- ١ - وقف القتال واتخاذ موقف موحد ضد أي جهة تقوم باستئناف القتال
- ٢ - إعادة تشكيل اللجنة العسكرية العليا الثلاثية (سوريا - لبنان - المقاومة) لتحقيق وقف القتال إلى أن يتم انتخاب رئيس جديد الذي يقرر مايراه من إجراءات الأمن .

٣ - مقاومة التقسيم بكل اشكاله وأى عمل أو إجراء من شأنه المساس بوحدة لبنان .

٤ - رفض تعريب الأئمة وخاصة بما يؤدي إلى إدخال قوات عربية .

٥ - رفض الحلول والحلطات الأمريكية في لبنان .

٦ - رفض التدويل أو إدخال أى قوات دولية إلى لبنان .

وكان من الواضح أن الاتفاق هو عملية تهدئة حيث إن نتائج زيارة الملك حسين لواشنطن وإقناع إسرائيل بعدم التدخل في حالة التدخل السوري لم تكن قد وصلت إلى نتيجة . وكان الملك حسين مازال في رحلة حيث كان في لندن . ودليل ذلك عدم تشكيل اللجنة الثلاثية بمجة عدم موافقة قيادة جبهة لبنان .. !

وقام بعد ذلك وفد سوري بزيارة السعودية - ١٧ ابريل - يحمل رسالة من الأسد إلى خالد حول تطورات الموقف في لبنان ، كما بعث ياسر عرفات برسالة عاجلة إلى

القذافي . وبعد يومين بعث حافظ الأسد برسالة إلى ملك الأردن الذي استدعى سفيره في لبنان في نفس اليوم للتشاور . وتوجه الملك حسين لزيارة دمشق بعد ذلك - ٨ مايو- وكان قد تم انتخاب سر كيس رئيسا للبنان . وانتهت الزيارة ببيان عن التنسيق بين البلدين كخطوة على طريق الوحدة بين الأردن وسوريا . وأعلنت وكالة الأنباء السعودية - ١١ مايو- أنه تقرر عقد مؤتمر قمة مصغر من السعودية والكويت ومصر وسوريا في شهر يونيو لتسوية الخلافات بين مصر وسوريا . وقد توجه عبد السلام جلود رئيس وزراء ليبيا إلى دمشق - ١٥ مايو- لمناقشة الوضع العربي ثم زار لبنان في صحبة ياسر عرفات الذي كان في زيارة لدمشق وعاد بعد يوم واحد مرة أخرى إلى دمشق ثم بغداد وعاد إلى دمشق للمرة الثالثة في الوقت - ١٩ مايو- الذي اعلن فيه تأجيل مؤتمر الرياض .

ووسط حملة الهجوم العنيفة للمنظمات السورية في لبنان على كمال جنبلاط وقع حادث اغتيال ليندا جنبلاط شقيقة الزعيم اللبناني - ٢٧ مايو- على أيدي ٦ مسلحين ملثمين وقد سارع كل من شمعون وبيير الجميل بإدانة الحادث . وعرف في نفس اليوم أن ياسر عرفات تعرض لمعاملة غير ودية على الحدود مع سوريا قبل يومين مما دفعه للعودة للبنان . وقد اعتذرت سوريا رسميا له ووجهت إليه ٣ دعوات لزيارة دمشق ولكنه سافر إلى القاهرة . ومن القاهرة بعث أمين الجامعة العربية ببرقية للرئيس اللبناني المنتخب يقترح ترتيب اجتماع عربي سريع على أي مستوى .

ودخلت مرحلة العمل العربي منعطفا جديدا مع أول يونيو حين دخلت وحدات من الجيش السوري إلى لبنان في زحله وتحتل مواقع استراتيجية هناك وتقيم حواجز على طريق المصنع - شتوره .

وجاء الغزو السوري للبنان مرتبطا بظاهرتين . الأولى منها هي انتصار الحركة

الوطنية في كل قطاعات لبنان وتساقط مواقع جبهة لبنان حتى لم يبق لها سوى نقط على وشك الانهيار والظاهرة الثانية هي بداية تقارب بين الرئيس اللبناني المنتخب وياسر عرفات . وكان منتظرا منه أن يصحح العلاقة بين الرئيس الجديد وقوى الحركة الوطنية وبالتالي يخرج سر كيس من دائرة سوريا إلى مجال أكثر اتساعا .

وترى مجلة الايكوفومست (٣١) أن هناك ظاهرة أخرى وهي كراهية سوريا لدور الصحافة في هذه المرحلة . وأن هذا يفسر منسكها الغريب تجاه الصحف من أخذ أرشيفاتها إلى إغلاق البعض منها باعتبار أن لديها حساسية خاصة من حرية الصحافة التي لم تعد تعرفها سوريا منذ حوالي عشرين عاما . كما أن سوريا تريد أن تحرم الفلسطينيين واحدا من أسلحتهم وهو الصحافة وهو ما حدث ، ثم هي تريد دعم صحافة الموارنة التي كانت في ذيل صحف لبنان . وأصبح الميدان خاليا لما في ظل الجيش السوري . والأهم في نظر المجلة هو حماية عقول ٣٠ ألف جندي سوري من سوم حرية الصحافة .

ونظرة على تحرك الجيش السوري تنفي عنه الحيادية أو نصرة الثورة التي كان يتعنى بها . فالطريق الذي سلكه كان عبر المناطق التي تسيطر عليها الحركة الوطنية بينما لم يقرب مناطق الموارنة . فقد سلك الجيش طريقين . الأول هو طريق دمشق - بيروت الدولي إلى صوفر ثم بيروت والثاني طريق جزين - صيدا ثم الساحل إلى بيروت . ولو صدقت النوايا لا تستخدم طرق أسهل وأسرع للوصول إلى بيروت ولكنها عبر مناطق الموارنة .

وقد فوجيء طابور الاستطلاع الذي سبق الزحف في صيدا بالشعب اللبناني يتصدى له ويبعد الطابور كله . وكان أمل سوريا أن يتم اجتياح لبنان خلال يومين ولكن المقاومة الشعبية التي نظمها قوى الحركة الوطنية والمقاومة جعلت

الجيش السوري الغربى يتعثّر فى الحركة أمام قوى الثورة الفلسطينية- اللبنانية العربية .

وهناك بين قوى الثورة الفلسطينية من يرى فى دور الجيش السورى مجرد خطأ فى حساب سوريا السياسى . ومنطقهم هو أن النظام السورى يمثل نموذجاً للأنظمة العربية التى لا تستطيع المواجهة وهى أيضاً ترفض الاستسلام للسياسة الأمريكية وأن سوريا أرادت أن تمتلك أوراقاً أكبر من حجمها لتوظفها بالتلويح بالحرب أو تمثيل القوة عند الذهاب إلى جنيف و يقول أصحاب هذا الرأى إنهم سمعوا حافظ الأسد يقول أمامهم « أنا لست أمام اختبار إما التوقيع مثل مصر أو الحرب . فلن أوقع ، ولن أحارب » و ينتهى منطق أصحاب هذا الرأى إلى أن سوريا لم تكن شريكا فى التخطيط بدليل أنها كانت فى البداية مع المقاومة ولكنها لحسابات ذاتية توافقت حركتها مع خطة الولايات المتحدة وإسرائيل . ولذا تمّ التنسيق والتفاهم بينهم .

ولعل أكثر ما يضعف هذا المنطق هو الدور الذى استمر عليه الجيش السورى فى لبنان حتى بعد أن ظهر له خطأ القوار بالغزو . فهو قد قام عمداً ولعدة ترديد عن الشهر باشغال القوات الوطنية المشتركة فى الجنوب والجبل ، كما قام بمهمة الاسناد المدفعى والصاروخى للقوات الانتزالية فى كثير من الاحيان .. وقد شجع هذا قوى جبهة لبنان لاستغلال تشتت القوات الوطنية وانشغالها بالجيش السورى وشنت هجومها على مواقع القوات المشتركة فى تل الزعتر وجسر الباشا والكوره والنبعة وبقي تل الزعتر ليس فقط قلعة للبطولة والصمود ولكن دليل ادانة صاخر للدور السورى فى لبنان . فخلال ٥٢ يوماً من حصار الحخم فى ظل الدعم السورى لم تستطع القيادة السورية أن تصحح موقفها لو كانت مبالة خطأ فى الحساب ولا تحرك ضميرها لو كانت المسألة مجرد رغبة فى إيقاف النار ولعل من يقرأ

صفحات يوميات الحميم (٢٢) - يخرج بقناعة واخذة وهى رفض سياسة الاعذار والتبريرات حتي ادعاء منع التقسيم بنهار امام حقيقة أن ايداء غيم تل الزعتر وغيم جسر الباشا هو دليل تأصيل سياسة التقسيم إذ أصبح للمرة الأولى للموارنة منطقة مغلقة بفضل أسلحة وجنود جيش سوريا العربى .

وكانت هذه الحقائق هى وحدها التى تفسر ظاهرة أن المكاسب العسكرية التى حققتها القياداتان السورية والانغزالية فقدت أهم أهدافها الأساسية وهو فرض الانسحاب بواسطة الضغط العسكرى والابتزاز السياسى وذلك نتيجة المقاومة الحقيقية للقوات الوطنية المشتركة وكانت النتيجة بالنسبة للقوات المشتركة هى خسارة مواقع عسكرية وبالمقابل تحقيق نصر سياسى كبير . وهو كان بالنسبة لجهة سوريا والانغزاليين كان عكس ذلك تماما .

وقد ذكرت صحيفة « هآرتس » الإسرائيلية - ٩ ابريل - أن موقف سوريا تحكه قوة الردع الاسرائيلية والدور الأمريكى والمعارضة السوفيتية لما فعلته .

وكان تحرك الدول العربية تجاه دخول جيش سوريا أراضى لبنان فى اتجاهين :

- ١ - اتجاه نشلته دول ليبيا والجزائر . فقد بعثت بوفد من عبد السلام جلوز رئيس وزراء ليبيا ووزير التربية الجزائرى - ٦ يونيو - وكانت مهمة البعثة حسب مصادر المقاومة هى الانسحاب العاجل للقوات السورية . إيجاد تسوية للحرب فى لبنان تتم بواسطة الاحزاب اللبنانية . ضمان الدول الثلاث للاتفاق وضمانهم أيضا وجود المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية .
- ٢ - اتجاه غالبة الدول العربية وهو عقد اجتماع عربى طارئ وكان رأى السائد أن يكون الاجتماع على مستوى وزراء الخارجية .

وفعلا عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعا طارئا - ٦ يونيو - بالقاهرة وحضرته كل الدول العربية . كانت ١١ دولة ممثلة بوزير خارجية في حين مثل المغرب وموريتانيا واليمن الشخالية سفرؤاها في القاهرة ومثل الجزائر القائم بالأعمال في القاهرة . والأردن وزير الدولة للشئون الخارجية والصومال وزير العدل . وليبيا وكييل وزارة الخارجية ومثل لبنان مندوبها الدائم بالجامعة . وبعد جلسة مغلقة استمرت حتى الساعة الخامسة والنصف من صباح ٩ يونيو انتهى مجلس الجامعة بقرار رقم ٣٤٥٦ - يدعو إلى وقف إطلاق النار فوراً وتشكيل قوة أمن عربية رمزية تحت إشراف الأمين العام للجامعة للحفاظ على الأمن ، على أن يتم تحريك هذه القوات لمباشرة عملها وأخذ محل القوات السورية . وتنشأ مهمة قوات الأمن العربية بناء على طلب رئيس جمهورية لبنان المنتخب . وفي نفس الوقت تشكلت لجنة تمثل مجلس الجامعة من وزير خارجية البحرين رئيس دورة المجلس والأمين العام للجامعة ورئيس وفد الجزائر وليبيا في الاجتماع على أن تتعاون هذه اللجنة مع الأطراف المعنية في متابعة الموقف والعمل على تأمين الأمن والاستقرار في لبنان مع اعتبار الاجتماع مفتوحا . وفعلا توجهت اللجنة بعد ساعة من انتهاء الاجتماع إلى دمشق واجتمعت بحفاظ الأسد فور وصولها ثم عادت للقاهرة مساء وأعلنت أن الرئيس السوري وافق على قرار مجلس الجامعة وطلب إدخال تعديل يقضى بإشراك قوات لبنانية في القوة العربية . وكان من المنتظر أن تتكون هذه القوة من وحدات من ٦ دول هي السعودية . السودان . ليبيا . الجزائر . سوريا . جيش التحرير الفلسطيني . ورفضت مصر الاشتراك فيها .

وكان من الواضح أن سوريا قبلت قرار المجلس نتيجة المقاومة العنيفة التي واجهت قواتها في لبنان ، ولكنها في نفس الوقت تركت الباب مفتوحا للمثاورة إذ أرسل حليفها سليمان فرنجية رسالة إلى مجلس الجامعة العربية - ٩ يونيو (٣٣) -

يدعى فيها أن لبنان لم يتلق الدعوة للمؤتمر. وهذا أمر مضحك فعلا لأن الجامعة العربية لا يمكن أن تتجاهل لبنان حتى ولو بالخطأ الذي لم يسبق أن حدث طوال عمر الجامعة. ثم يقول في رسالة لأمين الجامعة إن لبنان لم يكلف أى شخص ليحل مكان وزير الخارجية. وهو يعرف أن المندوب الدائم للبنان في الجامعة وظيفته هي حضور المؤتمرات وهو لا يحصل على تفويض بذلك لكل جلسة وإلا انتفت عنه صفة المندوب الدائم. ويرتب على ذلك أن لبنان غير ملزم بقرار لم يوافق عليه. وفرنحية يعرف أن أحدا لم يقبله وبخاصة بعد انتخاب الرئيس الجديد ولا يقف معه سوى سوريا وحدها (٢٤).

وقد واجهت قوة الأمن مشكلة أن جبهة لبنان لا تريد قوات جزائرية أو عراقية كما أن الجزائر نفسها لا تريد إرسال قواتها كما أن اليمن الشمالية لم تكن لديها الإمكانيات لإرسال القوات ولم يتحرك أحد لإعطائها هذه الإمكانيات بينما كان في سوريا لواء سعودى منذ أيام الحرب وبقي هناك. وقد أرسلت ليبيا عددا من ضباطها فوراً ونقلت السعودية كتيبة من سوريا وأرسلت السودان كتيبة وكان المطلوب هو ٦ آلاف. وقد دارت بالمجلس مناقشة طويلة حول إشراك سوريا الموجودة بالفعل في لبنان وكان الرأى الغالب هو إشراكها لتكون تحت سيطرة عربية يمكن أن تجمع فوراً من طموحها، ولكن الحقيقة كانت أكبر من الآمال. فالقوات بحكم الإمكانيات المتاحة لديها ولسرعة إرسالها دون تخطيط سابق وعدم وجود مقومات القيادة الحقيقية وبخاصة التناسق والمعلومات، لكل ذلك لم يكن ممكناً أن تنجح، خاصة وأن مهمتها كانت حفظ الأمن والسلام. ولبنان كانت بلا أمن ولا سلام، فهي قد ذهبت لتحمي حقيقة غائبة. ويبدو أن الذين فكروا في القرار بهذا الشكل كان لديهم إدراك بعدم جدية دور هذه القوات في مواجهة حرب حقيقية استمرت حتى وقت القرار حوالى ١٤ شهرا استخدمت فيها أحداث

الأسلحة والعتاد . والمأساة كانت في نظرهم مجرد جعل الوجود السوري في إطار عرى وتحت راية الجامعة العربية .

وقد استغرق وصول قوات الأمن العربية بعض الوقت حتى انتهى الأمين العام من تذليل العقبات . وبعث حافظ الأسد إلى فرنجية بأنه موافق على دخول القوات إلى لبنان كما أنه قد أحضر قائد الصاعقة والبعث من بيروت للإبلاغهم بالقبول السوري وأبلغت سوريا الأمين العام موافقتها على سحب قواتها بشروط (٢٤) أولها أن تحمل القوات العربية محلها في بيروت وطرابلس وصيدا والجبل . وثانيها أن يمحطى دخول القوات بموافقة سلطات لبنان الشرعية . وثالثها ألا يشمل الانسحاب منطقتي عكار والبقاع إلا بعد أن يتوصل فرقاء الحرب إلى اتفاق نهائي وانتهى الإفراج عن عناصرها البعث والصاعقة وإعادة فتح مكائنها وبالتالي كان الموقف يتأكد كل يوم أن سوريا تحاول كسب الوقت وانها مصممة على أن تمضي إلى آخر المشوار .

فقد قام حافظ الأسد بزيارة باريس - ١٧ يونيو - والاجتماع مع ديستان بينما ذهب الأمين العام للجامعة العربية إلى الرياض واجتمع مع الملك خالد ، بينما كان عبد السلام جلود يتنقل بين دمشق وبيروت . وعاد الأمين العام إلى دمشق كما عاد إليها حافظ الأسد . وأعلن أن القوات سوف تدخل إلى لبنان وفعلا دخلت وحدات لسيية وسورية - ٢١ يونيو - مطار بيروت بينما كانت الحرب تدور حول تل الزعتر ولا أحد يفكر فيه ولو بالوساطة - ! - كما أن القوات السورية استمرت في عملياتها العسكرية ضد القوات الوطنية المشتركة .

وحدث تغير جديد يعتبر علامة حقيقية على إنهاء الحرب في لبنان . إن السعودية جمعت رئيس وزراء مصر على زميله السوري في حضور رئيس وزراء الكويت - ٢٣ يونيو - بالرياض وانتهى الاجتماع في اليوم التالي بتشكيل لجنة من وزيرى خارجية

مصر وسوريا للتمهيد لمؤتمرة بين البلدين ووقف الحملات الإعلامية بينهما . كما قرر المؤتمر دعم قرارات مجلس الجامعة العربية ومناشدة جميع الأطراف تسهيل مهمة قوة الأمن العربية ، ولكن القتال بقي مستمرا بين سوريا . والقوات المشتركة من جانب وبين قوات جبهة لبنان ونجم قل الزعتر من جانب آخر . وتعرضت قوات الأمن العربية بإمكانياتها الهزيلة لأكثر من هجوم وعمليات قنص لأفرادها واعتداءات على ضباطها حتى بعد استلام سر كيس لصلحياته - ٢٣ سبتمبر - وهو ما جعل الأمين العام يقرر - ١٠ أكتوبر - سحب القوات من لبنان لاستحالة ممارستها للمهمة المكلفة بها ، ولكن القرار لم ينفذ أمام تجديد موعد مؤتمر قمة الرياض .

وهكذا بدأت المرحلة الثالثة والأخيرة من الصراع العربي ، صراع الديوك ، على ساحة لبنان . وهي مرحلة البحث عن نهاية للمأساة ، بعد أن نزف الدم الفلسطيني وتعرت كل الأنظمة العربية أمام الأمة العربية ، واقترب الموقف العربي من النقطة التي ترضى الأطراف الدولية التي لعبت في الساحة العربية طوال أشهر المأساة . وكان هناك أكثر من اتجاه نحو الوصول إلى نهاية .

فالحكومة السورية أرادت أن تعقد اتفاقاً مع المقاومة . وعلى ضوء معركة بحمدون التي عجزت فيها القوات السورية عن اختراق قوات المقاومة لمدة ٣ أيام . وكان معنى الإصرار على الاستمرار هو تعريض أمن سوريا نفسه للخطر . وبمساعدة الوساطة الليبية في ٢٩ يوليو تم التوصل اتفاق لوقف إطلاق النار وتشكيل لجنة لبنانية سورية فلسطينية برئاسة ممثل عن الجامعة العربية تقوم بالإشراف على وقف إطلاق النار . وينص البند الثالث على أن سوريا ومنظمة التحرير يشجعان جميع الأطراف للبنانية على إجراء حوار وطني برئاسة سر كيس وتكون الوثيقة التي أذيعت في ١٤ فبراير أساسا للحوار . والبند الرابع ينص على أنه إنطلاقاً من حق لبنان بالا يتدخل الجانب الفلسطيني في شؤون لبنان الداخلية فإنه من حق المقاومة

ممارسة تضامها من ساحة لبنان وفق الاتفاقات المقودة ووقع هذا الاتفاق عبد الحليم خدام عن سوريا وفاروق قدومي عن منظمة التحرير. وكان هدف سوريا في الواقع هو قطع الطريق على أى عمل عربى آخر.

سمعت أطراف لبنان في اتجاه آخر بعد أن ظهر واضحا أن كل فريق أخذ يخسر قواعده الجماهيرية أمام فداحة الخسائر في الأرواح والأموال. وفعلا تم الاتفاق بين المقاومة والكتائب والحركة الوطنية على وقف إطلاق النار وتولت الكتائب الحصول على موافقة بقية قيادات الجبهة ليكون الاتفاق رقم ٥٣ على وقف إطلاق النار وفتح الطريق نحو المصالحة.

وكان هناك اتجاه ثالث هو ضرورة عقد مؤتمر عربي، خاصة وأنه لم يعقد مؤتمر بعد الرباط الذي تم الاتفاق فيه على اعتبار منظمة التحرير هي المتحدث الشرعى الوحيد عن الفلسطينيين. ولكن الخلافات بين مصر وسوريا كانت أكبر عقبات عقد مثل هذا المؤتمر.

والاتجاه الرابع والأخير هو عقد مؤتمر محدود. واختلفت الآراء حوله فرأى يرى أن يكون المؤتمر رباعيا - سوريا - وآخر يرى أنه سداسي - مصر - وأمام إصرار مصر على موقفها اقترحت سوريا أن يكون المؤتمر سباعي يضم الأردن إلى الدول الست وهي مصر وسوريا والسعودية والكويت ولبنان ومنظمة التحرير. والمسألة لم تكن لعبة أرقام ولكنها تعبير عن حساب القوى. فسوريا كانت تريد تغيير قيادة منظمة التحرير وكانت ترشح رجلها زهير محسن مكان ياسر عرفات. وهو موقف يتفق ورأى الملك حسين. وكان ملك الأردن قد أدلى بمجديث (٢٦) قال فيه إنه حتى لو نجحت سوريا في تطويع منظمة التحرير في لبنان فإن المنظمة قد فقدت الثقة فيها لأنها تورطت -!- في الشؤون العربية الداخلية وهي سياستها التي أدت إلى الحرب الأهلية في الأردن ١٩٧٠ -!- وحرب لبنان الحالية. ولذلك فإن أى مصالحة

لابد أن تحمل في طياتها تغييرا في قيادة منظمة التحرير . وهو ما يجب أن يتم عن طريق إجراءات سوريا بلبنان . وحسنت السعودية للأمر بالدعوة إلى مؤتمر القمة السادس بالرياض في ١٦ أكتوبر .

وكان نص بيان السعودية « بعد اتصالات مكثفة واستجابة لرغبة الدول المبررة بشيعة البشيرة لعقد مؤتمر سداسي عربي في الرياض تحضره كل من مصر وسوريا وفلسطين والكويت والمملكة العربية السعودية للنظر في الوضع المتردي الخطير في لبنان ، فقد رحبت المملكة العربية السعودية بهذا اللقاء واستجابة لذلك تقرر الاجتماع بمدينة الرياض يوم السبت » .

وكان قد سبق البيان السعودي اتصالات مكثفة قام بها الأمير فهد مع دمشق والقاهرة وبيروت ، إلى جانب اتصالات مماثلة قامت بها الكويت .

وكانت هناك عدة آراء حول تحديد موعد المؤتمر . فالاجماع أن المؤتمر لو كان قد عقد قبل عام من مواعده لنجح في إنهاء صراع الديوك ولكن الصحافة العالمية قد ثبت لها موقفين :

أن التوقيت كان بالغ الدقة حسبته السعودية جيدا . فسوريا لم تكن قادرة على التقدم بل إلى كل يوم كان يزداد خطرا على النظام . والحركة الوطنية منهكة من طول الحرب ، وجبة لبنان تخاف احتمالات تغيير النظام السوري وتريد تعويض خسائرها الاقتصادية والفلسطينيون خاب أملهم في الجميع فاضتبع طلبهم أكثر تواضعا وسلوكهم مرهون بالإرادة السورية . كما أنه سبق مؤتمر القمة الفرق المحدد له أو آخر أكتوبر .

ورأى آخر بأن التوقيت جاء بعد أن رأيت الولايات المتحدة أن الحرب اللبنانية قد حققت كل أهدافها التي أرادت منها مع أنها طالبت أكثر مما توقعت واشنطن .

وبالرجوع إلى أكثر من سفير أمريكي في عاصمة عربية أجمع النكل على إنكار معرفتهم بذلك وأن كان لم يقطع أحدهم نفيا لتدخل أمريكى بطلب إنهاء الحرب ويشيرون إلى أن الأسد اشتكى لكارتز من الدور السعودى المعاكس للوجود السورى فى لبنان وأن الأسد اقترح حل مشكلة الفلسطينيين عن طريق اتحاد كونفدرالى بين سوريا والأردن والفلسطينيين ويمكن ضم لبنان له . وأن الشيء المؤكد طبقا لرأى قيادات لبنان أن كارتز طلب من الأسد البقاء فى سوريا وأن يترك له مسألة السعودية .

وايا كان التفسير حول التوقيت فان مجلة تايم الأمريكية تقول (٣٧) إن مست قيادات عربية هي التي ارتبطت بحرب لبنان دعيت والأقرب إلى الصحة أمرت بالخضوع من ملك السعودية . وتقول المجلة إن أول مشكلة واجهت المؤتمر لم تكن هي الحرب الأهلية فى لبنان ولكنها كانت الخلاف بين مصر وسوريا . وكانت يوم المؤتمر مصر تتقف مع المقاومة بينا سوريا تحاربهم . وكان المطروح على المائدة هو أن تتوقف دعاية سوريا عن الهجوم على النظام فى مصر بسبب اتفاق سيناء وفى المقابل توافق مصر على حق دمشق فى « السيطرة » فى لبنان . وانتهت المجلة إلى أن الاتفاق فى الرياض كما أنه كان انتصارا للأسد كان أفضل هزيمة لعرفات ، فقد وافق المؤتمر على عدم تغيير قيادة المنظمة .

وتقرر صحيفة بريطانية (٣٨) أن مهندس هذا الحل الوسط كان هو الأمير فهد ولى عهد السعودية .

وأهم انجازات المؤتمر غير ذلك هي فكرة تحويل قوات الأمن العربية إلى قوات عربية تتألف من ٣٠ ألف مقاتل عمادها زعماء السورى التي كانت وقتها فى لبنان ٢١ ألف جندي هذا إلى جانب الكتيبة السعودية والأخرى السودانية . وترك الباب مفتوحا للدول العربية . والتغيير الهام هو انتقال قيادة هذه القوات من

الجامعة العربية إلى الرئيس اللبناني سركيس بناء على طلب سوريا وسلمت قيادتها لضابط لبناني كان يعيش في سوريا منذ أعوام في غابرتها وقدرت تكاليف هذه القوات بمبلغ ٩٠ ألف دولار تعهدت السعودية والكويت على دفع النصيب الأكبر وقد قرر مؤتمر الرياض إنهاء القتال في لبنان نهائياً وحدد لذلك موعداً في السادسة من صباح يوم ٢١ أكتوبر وعودة لبنان إلى ما كانت عليه قبل ١٣ إبريل سنة ١٩٧٥ (٣٩) .

وقد عقد وزراء الخارجية العرب مؤتمراً لهم بالقاهرة - ٢٠ أكتوبر - في غياب وزير خارجية ليبيا والعراق للإعداد للمؤتمرة عُرض الذي عقد في ٢٥ أكتوبر . وقرر المؤتمر التصديق على قرارات مؤتمر الرياض . ووافق المؤتمر على تشكيل لجنة من ممثلي السعودية والكويت ومصر وسوريا تقوم بالتنسيق مع الرئيس اللبناني لتنفيذ اتفاق القاهرة بين المقاومة ولبنان . وقد اقترح ياسر عرفات ضم ممثل عن الجامعة العربية إلى اللجنة . وكان رد حافظ الأسد أن اللجنة تمثل الجامعة العربية لأن دولها أعضاء فيها -!- فلا داعي أن يضاف ممثل عن الجامعة . وبعد جدل طلب ياسر عرفات تسجيل اقتراحه في محضر الجلسة (٤٠) ، ليكون وثيقة على الانجاء الذي وضع في الرياض وتواصل في القاهرة باستبعاد الجامعة العربية من أحداث لبنان وهو الموقف السوري طوال الأحداث إلى درجة أن كامل الأسعد رئيس مجلس النواب اللبناني اقترح أن تعلن الجامعة العربية عجزها عن حل مشكلة لبنان وتترك الأمر للأقدر على تحملها . . !

وقرر المؤتمر إنشاء صندوق للانفاق على متطلبات قوات الردع ومساهمة الدول فيه بنسبة مئوية تحددها كل دولة حسب طاقتها . ويشرف رئيس جمهورية لبنان على الصندوق . واتفق على أن تدفع كل من السعودية والكويت ٢٠ % من التشفقات ودولة الامارات ١٥ % وقطر ١٠ % أي أن العرب سوف يتفقون على

القوات السورية - ٩٠٪ من قوات الردع - في لبنان . وقد حاول ياسر عرفات بدون فائدة إقناع مصر والكويت للإشتراك في قوات الردع ضامنا للفلسطينيين والحركة الوطنية ولكن مصر رفضت بإصرار بحجة لأنها قررت عدم خروج قواتها إلا من أجل تحرير الأرض . ورحمت سوريا فقط بالاتفاق على قواتها في لبنان بل وعدم إتخاذ المؤتمر قرار بسحب قواتها من لبنان ، كما لم يحدد بالضبط نسبة إشتراكها في قوات الردع . وأعطى وجودها في لبنان شرعية عربية قال عنها مصدر مسئول في التجمع الإسلامي - ٢٧ أكتوبر - إن الحرج الذي كان يواجه الزعماء المسلمين للوجود العسكري السوري في لبنان قد زال بعد المؤتمر لأن الملوك والرؤساء العرب قد سكتوا عند بعد أن عارضوه من قبل . وأخذوا على وضع قوة الردع بإمرة الرئيس اللبناني وحده من دون رئيس الوزراء وهو ما يخل بقاعدة المشاركة السائدة في لبنان^(٤١) .

ويضاف إلى ذلك أن الظروف وقفت مع سوريا عند تشكيل قوات الردع فإلى جانب رفض مصر والكويت رفضت دول المغرب العربي وقطر واليمن الجنوبية الاشتراك فيها . واستبعدت ليبيا والجزائر والعراق والأردن بسبب التحفظات عليها وهكذا أصبحت قوات الردع مكونة من سوريا والسعودية والسودان واليمن الشمالية والامارات . وقوات سوريا من ٣٠ ألف هي قوام القوات ٢٢ ألف جندي .

والغريب أن مسألة جنوب لبنان لم يفكر فيها أحد ولا خط الأمان الذي يجب ألا تتجاوزه قوات سوريا وبالتالي قوات الردع الذي تم الاتفاق عليه مع إسرائيل عن طريق واشنطن .

وهكذا صدر الفرمان العربي بإنهاء القتال فانتهى بعد ١٩ شهرا ، وخرج الديوك من الساحة والدماء تنزف منهم جميعا ، والساحة تحولت إلى خراب .. والمشكلة الأصلية ما زالت قائمة وزادت عليها عناصر هي أخرى تراث صراع الديوك الدموي .

هوامش الفصل الثامن

- (١) وصف المبعوث الأمريكي للصراع العربي على أرض لبنان . وهو صراع محرم القانون في مصر لبشاعته حيث يدخل الديك الهندى الصراع قاتلا أو مقتولا وقد ينتهى بموت الديكين المتصارعين باعتبار أن الديك بلا عقل و يضرب حيث يمكنه أن يصل فى أى مكان وكل مكان من جسم الخصم!
- (٢) نواف عبد الله . حول الأزمة اللبنانية . شئون فلسطينية العدد رقم ٥٧ ص ٩٢
- (٣) أخبار اليوم- القاهرة- ١٣ سبتمبر ١٩٧٥ .
- (٤) جريدة الأخبار- القاهرة- ١٤ سبتمبر ١٩٧٥
- (٥) جريدة الأخبار- القاهرة ٢٨ سبتمبر ١٩٧٥
- (٦) جريدة الأخبار- الأهرام ٢٦ - ٢٨ سبتمبر ١٩٧٥
- (٧) Sampson, A. The Aims Bazaar. London. 1977. p 22
- (٨) New York Times. 22 Nov. 1975
- (٩) جريدة العمل . بيروت . ٢٩ يونيو ١٩٧٧ .
- (١٠) ١٣ أبريل سنة ١٩٧٥ .
- (١١) الكتاب الأبيض اللبناني . بيروت ١٩٧٦ ص ١١
- (١٢) أخبار اليوم- ٢٨ أغسطس سنة ١٩٧٦ .
- (١٣) مجلة الحوادث . بيروت . ١٩ مارس سنة ١٩٧٦ .
- (١٤) المجع الوسيط . مجمع اللغة العربية . ج٢ ص ١٠٣٦ .
- (١٥) ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٧٥
- (١٦) التقرير فى ٢٧ مايو سنة ١٩٧٥ وهى ليست سفارة العراق أو مصر .
- (١٧) جريدة السفير ٢٢ يونيو سنة ١٩٧٥ .
- (١٨) جمعية البحث- دمشق- ٢ يوليو ١٩٨٥
- (١٩) يوميات الحرب اللبنانية- ج١ ص ٨٥ والتاريخ فى يوم ٢٥ يونيو
- (٢٠) التنظيم أصبح يتحدث بلسان سوريا حتى صورة عبد الناصر وضع مكانها صورة حافظ الأسد .
- (٢١) الكتاب الأبيض اللبناني ص ٤٩ - ٥٠

- (٢٢) ملاحق الكتاب من رقم ٨-١٤
- (٢٣) The Economist, 17 April 1976, p. 43
- (٢٤) Washington Star, 12 April 1976
- (٢٥) the Herald Tribune, 21 jule 1976
- (٢٦) مرجع سابق، ص ٢٢
- (٢٧) مجلة الصياد، ١٧ مارس ١٩٧٧.
- (٢٨) حديث ياسر عبد ربه رئيس الدائرة الإعلامية في منظمة التحرير- السياسة الكويت ه أكتوبر سنة ١٩٧٦.
- (٢٩) مجلة ميدل إيست البريطانية عدد مايو ٧٧ ترجمة جريدة الجرائد العالمية، وزارة الإعلام- القاهرة في ١٠ مايو.
- (٣٠) يوميات الحرب اللبنانية- الجزء الثاني ص ١٠٠- ٢٩٠.
- (٣١) the Economist 25 Dec. 1976, p. 39
- (٣٢) علي حسين خلف: النهوض مرة أخرى- شهادات واقعية من قل الزعر، الإعلام المركزي للجنة الديمقراطية، بيروت ١٩٧٧.
- (٣٣) نص الرسالة، الكتاب الأبيض اللبناني ص ٥٧
- (٣٤) بحث فرنجيه خطاب شكر إلى الأسد على ما قام به من أجله، ونص الرسالة في الكتاب الأبيض اللبناني ص ١٤٥.
- (٣٥) تقرير حول قوات الأمن العربية في لبنان، شؤون فلسطينية رقم ٦٢- ص ٢٤٣؛
- (٣٦) The Financial Times 4 August 1976
- (٣٧) Time, 1 Nou. 1976, p. 19
- (٣٨) The Financial Times, 20 octo. 1976
- (٣٩) نص قرارات المؤتمر في آخر ملاحق الكتاب رقم ١٥
- (٤٠) مجلة أكتوبر، القاهرة، العدد الأول في ٣١ أكتوبر سنة ٧٦، ص ٢٦؛
- (٤١) تقرير عن قوات الردع العربية، شؤون فلسطينية رقم ٦٣، ص ٢١٦.

الختام

الفد المفقود

انتهت الحرب بفرمان عربي ولكن الأثرة بقيت بكل أصولها وعناصرها وانتفاء الحرب في حد ذاته يتيح الفرصة ليس فقط لالتقاط الأنفاس ولكنه أيضا يتيح للقواعد الجماهيرية أن تعيد النظر فيما استخدمت فيه . ولعل هذا يفسر إصرار كل من كميل شمعون وبيرو الجميل على التصريحات الحماسية والاحتفالات بذكرى الشهداء - أ - ومؤكد أن في كل يوم ذكرى مئات الشهداء . فالكل يخاف من لحظة إدراك الجماهير للحقيقة ، فبعدها سيكون الحساب . وهو بلاشك سيكون عسيرا . فقبائمه الخسائر هائلة الضخامة بينما المكائيب تكاد لا تشمل غير سطور معدودة إلا مكاسب عدد من تجار الموت .

وأول الحقائق التي يجب أن تكون في الذاكرة قبل إلقاء نظرة على حساب الأرباح والخسائر هي أن مأساة لبنان مهما كانت مسؤوليته الأطراف الدولية

والعربية فيما إبتداء من التخطيط وانتهاء بالتحويل والتدريب فهي لايجب أن تغطي على الحقيقة الكبرى ؛ أن الجريمة تمت بأيدي لبنانية . فحرب تستمر بين أبناء وطن واحد حوالي ١٩ شهرا لا يبررها تأمر هذه الدولة أو خيبة أخرى إلا إذا سلمنا على الإطلاق أن اللبنانيين أجساد بلا عقول أو بعقول تستمد حركتها من مفاتيح كهربائية موجودة في أيدي عابثين بخارج لبنان مثل الرجل الآلى الذى يتحرك بأوامر قائده وهو مالا أظنه ولا أحد في لبنان يرضاه . فاللبنانيون قاموا بإرادتهم أو بإرادة مسلوبة بذبح أنفسهم . وقد يكون للكتائب نصيب أكبر أو أقل في المأساة فذلك لا يغير من الحقيقة . وقد يقال إن قيادات الموارنة كشفت عن نفسها بمثل مالم يحدث من قبل ولكن هذا أيضا لا يغير من واقع أدوار كل فرد في لبنان في « صراع الديوك وحوار الطرشان »

والواقع أن خسائر مأساة لبنان الاقتصادية رغم فداحتها هى أخف الأضرار على الإطلاق . ويكفى أن تعرف حجم أخف الأضرار . ففى دراسة قدمت إلى جمعية الصناعيين اللبنانيين ونشرت (١) تقول إن خسائر القطاع الصناعى قد بلغت ٧٠٠ مليون ليرة فى رأس المال الصناعى فقط . يرتفع الرقم إلى ٢٩٧ مليار ليرة على مستوى القطاع كله خسائر مباشرة وغير مباشرة . وذلك بحساب أن خسائر رؤوس الأموال الموظفة فى الصناعة كانت حوالى ٣٠ ٪ بينما كانت نسبة انخفاض الإنتاج فى السنة الأولى للحرب حوالى ٢٥ ٪ ارتفعت إلى ٨٠ ٪ فى العام التالى ، حيث عام سنة ١٩٧٥ لم يكن الموقف الدرامى فى الحرب قد وصل ذروته . وتقدير خسائر قطاع الاستيراد وهو عصب الاقتصاد اللبنانى بلغت ٣٥٠ مليار ليرة منها ١١٥ مليار فى العام الأول أى أن الخسائر فى قطاعين فقط بلغت أكثر من ٨ مليار ليرة كما أن عملة لبنان انخفضت فعليا بنسبة حوالى ٢٥ ٪ من قيمتها هذا ولم تقدر الخسائر فى المحلات التجارية والمساكن . والأكثر خطرا من أرقام الخسائر

الاقتصادية هـى أن الاقتصاد اللبناني فقد ثقة كسبها خلال سنوات طويلة من العمل . وهو ما يصعب استعادته على الأقل في هذا الجيل . ويكنى تصويرا للحجم الثقة الضائعة أن رئيس جمعية المصارف في لبنان - جوزيف جعجع - قال إن لدى البنوك اللبنانية ما يزيد عن ١٥ مليار ليرة ودائع غير مستخدمة - وأكد أنه لا يمكن استثمارها في اقتصاد لبنان لعدم الثقة في المستقبل . ولما سمع سر كريس رئيس الجمهورية ، هذا القول وهو رئيس البنك المركزي السابق تساءل كيف نطلب من العرب استثمار أموالهم هنا ونحن لا نثق في وضعنا !..

فشقة اللبنانيين أنفسهم ضاعت ليس فقط في الاقتصاد بل وفي شكل كيان الدولة التي ظل البعض يتغنى بها ولما . ففي استفتاء قامت به إحدى هيئات لبنان ظهر أن ٩٥ ٪ لا يوافقون على صيغة الحكم في لبنان بينما ٥ ٪ فقط مع استمرار شكل الكيان اللبناني (٢) . والواضح طبعا أن هذه النسبة الضئيلة هي شريحة المستفيدين من نهر الدم اللبناني .

وظهر أثر ذلك كله في تيار الهجرة المستمر بعد انتهاء الحرب . فالهجرة أثناء الحرب مفهومة وإن كانت للأمانة لم تشمل غير الأغنياء الذين كانوا يعيشون في رخاء بباريس والقاهرة وعمان . وكان بين هؤلاء بل وفي مقدمتهم الفنانون الذين كانوا يتغنون بلبنان من أفخم فنادق القاهرة وعمان . ليس هذا ما أقصده ولكن الهجرة التي أحدثت عنها هي هجرة الكفاءات وهي هجرة بلا عودة وقد قدرت حتى الآن بحوالى ٣٥٠ ألف شخص من تخصصات يحتاج إليها لبنان اليوم أكثر مما كان في حاجة إليها بالأمس مثل الأطباء والمهندسين . هذا إلى جانب أنهم استثمار لبناني ضائع .

هذه هي ملامح بعض الخسائر في اقتصاد لبنان . وهي كما قلت أضعف الأضرار باعتبار أن تعويضها ممكن مالم طال الزمن ، خاصة وأنه يمكن الرجوع إلى الدول التي اشتركت في التسليح والتدريب والتمويل لتدفع ثمن إعادة البناء .

والخسارة البشعة هي خسارة البشر ، حيث فقدت الدوائر الرسمية القتلى بحوالي ٢٥ ألف المسجلين في المستشفيات ومراكز الأمن بينما تصل أكثر التقديرات قريبا من الحقيقة إلى ضعف هذا الرقم أي ٥٠ ألف ، وبينما الجرحى والشهداء حوالي ١٥٠ ألف شخص .

وتقدر دراسة مبثوية لمصلحة الإنعاش الاجتماعي عدد الأطفال الذين في حاجة إلى رعاية عاجلة بحوالي ٤٠٠ ألف طفل منهم ٢٥٠ ألف يتيم فقد أحد الأبوين أو كليهما معا . وهي بمن أعل نسب الخسائر البشرية في أي حرب للأمة العربية وكلهم من فقراء لبنان .

وكانت الخسارة الوحيدة بين قيادات لبنان هي اغتيال زعيم الحركة الوطنية كمال جنبلاط في ١٦ مارس سنة ١٩٧٧ أي بعد انتهاء الحرب أو على الأقل بعد وقف إطلاق النار بخمسة أشهر وفي ظل وجود ٣٠ ألف جندي هم قوات الردع العربية وأغليتهم الساحقة كما هو معروف قوات سورية . وعناصر الجريمة هي أن سيارة القنلة عليها لوحة أرقام عراقية وموقع الجريمة على بعد مئات الأمتار من قرية دير القمر مسقط رأس كميل شمعون وعلى بعد كيلومتر واحد من مركز مراقبة لقوات الردع « السورية » . وطبعاً من المستحيل أن تكون العراق هي التي دبرت الحادث لأنها كانت إحدى دولتين فقط في العالم العربي تقدم الدعم لكامل جنبلاط . كما أن موته يعتبر خسارة لها باعتباره أقوى معارض للغزو السوري وهي على عداوة مع سوريا . ثم لو كانت سذاجتها تصل إلى استعمال سيارة بأرقام عراقية . فالخدعة مكشوفة وخاصة وأن مسألة الأرقام مسألة سهلة بعد سرقة آلاف السيارات من بيروت ونقلها إلى دمشق . كما أن وقوع الحادث على بعد أمتار من مسقط رأس كميل شمعون خدعة أخرى كشفتها الشعب اللبناني فور وقوع الحادث ، ليس دفاعاً عن كميل شمعون أو أنه لا يرتكب جريمة قتل ولكن المسألة

حساب وحركة . وهناك تقليد بين قيادات لبنان التزم به الكل حتى في أزمة سنة ١٩٥٨ . هو ألا يمتد العيب إلى رؤوس القيادات ولا تفتح الباب على مصراعيه لثأر وراء ثأر في سلسلة لن تنتهي إلا بنهاية الزعماء ، كما أن كميل شمعون رغم أى رأى فيه فهو واحد من أذكى شخصيات لبنان فهو لا يكرس تقليداً دون مبرر وليس هناك جديد بعد ما انتهت الحرب بل إن لكمال جنبلاط عليه فضل وجميل يوم أنقذت حياة شمعون من حصار الدامور وكان يمكن قتله ببساطة ولكن جنبلاط كان يرى اللعبة اللبنانية جيداً . وكان من أقوى الأصوات التي ساعدت على إنقاذ حياة شمعون . بل المسألة ليست شمعون وجنبلاط ولكنها أعمق من ذلك قيادة جبهة لبنان ليس من مصلحتها قتل جنبلاط الذي يعتبر في نظرهم الزعيم اليسارى الوحيد الذى يمكنهم التغامع معه وموته يجعل الطريق مع اليسار اللبناني مقطوعاً وأوعليهم قبول قيادات ترفض الجبهة التعامل معها . وكان وجود جنبلاط يمنع مثل هذه المشاكل بما له من ثقل أدبى في الحركة السياسية اللبنانية . كما أن الكل في لبنان يعرف أن الجريمة لو كان قد ارتكبتها تنظيم أو حزب أو هناك شبهة مشاركة إحدى قوى لبنان فيها لاشتعلت الأحداث تصفية لثأر كمال جنبلاط ، ولكن الكل في لبنان عرف أن الحادث دبر ونفذ بأيد غير لبنانية . . هذا وحده كان من أكبر عوامل ضبط النفس التي أعقبت الجريمة . وقد يتصور البعض الإشارة إلى عناصر غير لبنانية أنها ربما كانت إسرائيل ، ولكن المنطق يقول إن ارتكاب الجريمة لابد أن يكون له دافع ، ونظرة على ماتريده إسرائيل من مذبة لبنان تكفى لتوضيح أن إسرائيل ليست طرفاً في لعبة الحكم في لبنان . وكل ما تسعى إليه هو استمرار النزيف العرقي . وقتل كمال جنبلاط لا يحقق لها أيّاً من أهدافها بل لعل بقاء كمال جنبلاط أقوى معارض للوجود السوري في لبنان أمر أكثر فائدة لسياسة إسرائيل . ونفس المنطق ينطبق على الوضع الأمريكى .

والحقيقة أن أكثر من استفاد من موت كمال جنبلاط كانت سوريا . فقد قتل

خصمها العتيد . وبطل معركة الجبل وصاحب دعوى التصدى للغزو السوري هذا إلى جانب أن موته يجعل اليسار اللبناني مبعثراً بعد أن كان جهة تثير المتاعب في وجه سوريا وأدواتها المزيّلة من الصاعقة إلى البعث إلى الأسديين « الناصريين سابقاً » . وبالتالي يجعل كلمة اليسار في يد سوريا أو تحت السيطرة السورية .

ولعل هذه الحقائق كانت سبباً في أن كل قيادات لبنان السياسية والصحفية والعلمية أجمعت في إجاباتها معى أن سوريا هي التي قتلت كمال جنبلاط . وأن أحداً لم يستطع أن يقدم سوى الشواهد مثل أن سوريا منذ دخلت لبنان تقوم يومياً بعملية تصفيات جسدية لخصومها على ساحة لبنان . وأنه هناك حدود ينتهى عندها تمادى الدور السوري . فاستقرأ الأحداث يشير إلى أن البئر سحقة بلا قاع . ولعل الانتهاء إلى هذه الحقيقة مسألة خطيرة وخاصة وأنها دون وثائق وسوريا تنفى ذلك نفياً قاطعاً ، وخاصة وأن الأيام كشفت أن الجرمية كانت غيبة لأنها أزلت أكبر قيادة يمكن أن تصدى لجهة لبنان بعد أن ظهر الخلاف بينها وبين سوريا .

وتبقى الحقيقة معلقة مع الأيام إلى أن يجد الذين يملكون الوثائق لديهم شجاعة الكلمة واحترام التاريخ فيخرج كل منهم إلى النور بما في خزائنه من أوراق تكشف عن هوية القاتل الذى امتدت يده بغباء لتطلق الرصاص على أكثر زعامات لبنان قدرة على ضبط إيقاع حركة اللعبة اللبنانية وأكثر قيادات لبنان ارتباطاً بآمال الأمة العربية . وأضيف دم كمال جنبلاط إلى قائمة الخسائر .

والمبصية أن موت كمال جنبلاط زاد من مسافة البعد التي وقعت بين الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية . فهو وحده كان قادراً على احتواء سلبات المسألة بنظرة موضوعية صادقة فحرام أن يحمل كل طرف من جهة الحركة الوطنية الفلسطينية للأخر أخطاء ما كان يمكن تجنبها وكل منهما يحمل نصيباً فيها .

فالأمر الذي لا يمكن إنكاره أن الحركة الوطنية اللبنانية وقت في أخطاء ما كان يجب أن تقع فيها وتحملها بعد ذلك للمقاومة الفلسطينية .

فهى رغم التأكد من استعداد الكتائب لتصفية دموية لم تحاول إنشاء ميليشيات خاصة بها حتى ولو مجرد تدريب كوادر مسلحة يمكن بتوزيع السلاح عليها أن تتحرك فور تلقى الأوامر بل العكس صحيح كانت قيادات الحركة الوطنية تصرخ ليل نهار عن صفقات الأسلحة التي تصل الموارنة والمرتزة الذين يدربون كوادهم ومعسكرات التطهير التي كباثتته تتزايد يوما بعد آخر طوال سنة ١٩٧٤ . وقد افترضت الحركة الوطنية خطأ أن قواتها هى قوة الثورة الفلسطينية . وهو خطأ فادح ما كان يجب الوقوع فيه بل كان يجب مقاومة هذه الفكرة لإبعاد المقاومة عن الوقوع في المصيدة بسهولة حتى لو أرادت . وكان يكفي أن تبقى رصيد دمي وليست القوة الضاربة للحركة الوطنية .

ووقعت الحركة الوطنية في خطأ آخر هو الخلط بين التوافق والتطابق فتصورت أن هناك تطابقاً بين رؤيتها وأسلوبها ورؤية الثورة الفلسطينية وأسلوبها بينما الحقيقة أن هناك مجرد توافق . وما كان يجب تحميل الثورة الفلسطينية بأكثر من عبء السياسات العربية المتناقض معها . فالثورة الفلسطينية تعيش في ظل وفاق خاص صنعته بهارة أحيانا ، وبتنازلات أحيانا أخرى . فهى في النهاية مشدودة إلى تحرير الأرض من احتلال استيطاني لوطنها فلسطين . وهو ما يجعلها تختلف في لحظة معينة وفي ظروف معينة مع أى حركة وطنية عربية أخرى . وهو ما حدث طبعاً في لبنان وخاصة في معركة الجبل التي كانت في الأساس ضمن إطار لبناني في الأساس وفي عملية انتخاب الرئيس سر كيس . فلم يكن معقولا أن تقف المقاومة وراء رموز إده أكثر قيادات الموارنة عداء للوجود الفلسطيني على أرض لبنان لمجرد أنه يقف ضد الكتائب أو الأحرار خلال الحرب . فالتحالف التكتيكي ما كان يمكن أن يخفى استراتيجية العمل .

والخطأ الثالث للحركة الوطنية هو تصور أن السياسة العربية لها حد أدنى لا يمكن تجاوزه . والواقع دائما يقول إن هذا الخط الأحمر غير موجود لدرجة أن المنطقة العربية عرفت في العالم أنها بلا منطق . فقد تصورت الحركة الوطنية أنها يمكن أن تستفيد من الخلافات العربية وتعتمد على طرف ضد آخر فإذا بها تكتشف بعد فوات الأوان أن الكل في سلة واحدة . وتصورت أن العرب في النهاية لابد أن يقفوا معها لأنها تريد لبنان عربيا بينما قيادات الموارنة تريد أجنبيا على أرض عربية . فإذا بالعرب مع جبهة الموارنة في الواقع ومعها بالبيانات والكلمات . وتصورت أن وجود إسرائيل يمنع أى طرف عرى من حركة عسكرية غير محسوبة فإذا بتسقيع عربي إسرائيلي من خلال السفارات الأمريكية . وهو ما لم يكن في قدرتها حساب تصوره انطلاقا من أساس خاطيء أن هناك حداً أدنى لا يمكن للقيادات العربية أن تتجاوزه .

والغريب ان الحركة الوطنية ترددت في حسم مواقف كانت قادرة لحظتها في حسمها بقوة السلاح ، ولكنها مثل عادة اليسار العربي عامة أخذت تحسب وتحسب حتى ضاعت الفرصة ، وكانت استعادتها باهظة الثمن مثل إمكانية بل سيطرة « المرابطون » على حى الفنادق والبنوك في بداية الحرب ولكن لحسابات قبل المرابطون الانسحاب فاحتلتها الكتائب إلى أن سقطت مرة أخرى بعد معارك بالغة الوحشية وباهظة في الأرواح والعتاد والوقت .

وعلى الطرف الآخر من جبهة التحالف الوطني نجد أن الثورة الفلسطينية هي أيضا ارتكبت أخطاء ما كان يجب أن تقع فيها .. .

فهى وعدت الحركة الوطنية بما كانت تعرف بالقطع أنها لا تريد الوفاء به مثل مسألة انتخاب سركييس ، وترشيح رمون إذه منافسا له . فكان لابد أن يكون الحليف على بيّنة من الاتفاق السرى الذى تم بين الثورة ودمشق أو على الأقل بالنتيجة فقط دون تفاصيل .

وأخطأت الثورة في أنها نسبت طوال أشهر الحرب أن تقوم ولو بعملية فدائية واحدة داخل الأراضي المحتلة لتؤكد أن هدفها مازال أمام عينها وهو العدو الصهيوني حتى المنظمات المتطرفة هي الأخرى نسبت ذلك ، ولو كانت فعلت لكسبت كثيرا على الساحة الفلسطينية . وهو ما كان يعطى قوة لليسار الفلسطيني بدلا من أن يضرب مثلما حدث حتى في دأخل فتح .

وليس معنى ذلك أن الأخطاء كانت قاصرة على الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية بل امتدت إلى جبهة الموارنة . وأكبر أخطاء الجبهة أنها كانت ضحية أوهامها الذاتية فهي أرادت أن تحقق لغيرها هدف تصفية الثورة الفلسطينية أو على الأقل تطويعها فرفعت شعار « السيادة » بدعوى أن الوجود الفلسطيني المسلح اعتداء على سيادة لبنان فإذا بها في النهاية تسلم لبنان « دولة عمية » بلا سيادة .

والخطأ الآخر أن جبهة الموارنة برغم عدد المتعلمين لديها فإنها حسبت المتغيرات الدولية ببناء شديد ورسمت حركتها اعتمادا على أن الأسطول السادس أو جيش إسرائيل سوف يدخل لتجديتها في لحظة الخطر . وبدأت تطرق الأبواب وتسمع نصيحة الكل دعمها من دمشق وكانت النتيجة أن أصبحت تحت وصاية عربية بعد أن أنقذتها قوات سوريا من الهزيمة الساحقة وجعلتها في صورة المهزوم المتصر .. !

وبالتالى أصبح على قيادات الموارنة أن تعلن في كل يوم لقواعدها أن الوجود العرى وبالتحديد السوري محدود وسوف يخرج فور أن يطلب لبنان .. ! .. وما أن تحركت قيادات الجبهة من تصور أنها فعلا منتصرة حتى تحركت وحدات سورية في الظلام بمهيمات أسكتت الأصوات الصارخة وجعلتها هسا وراء الحد ، ان التى هدمتها الدبابات .. !

وظهر خطأ ماتعلنه جبهة الموارنة تحت شعار « مالنا .. لنا وحدنا ، ومالكم لنا

ولكنكم « فهي مازالت تتحرك بحسابات ذاتية دون أى رؤية شمولية للمتغيرات والثوابت . فهم يرددون شعارات دون إدراك مدى قدرتهم على الوفاء بها ومدى مآسيه هذه الشعارات من إحراج للقوى التي تقف خلفهم مثل شعار « على كل لبناني أن يقتل فلسطيني » وشعار أحد الأساقفة « كل من يقتل فلسطينيا أعطيه براءة دخول إلى السماء » (٣) . وهي مازالت تتحرك في حماية قوات الردع العربية . ولعل انجح ماقامت به منظمة التحرير منذ وقف القتال هي جمع تصريحات قيادات جبهة الموارنة عن إبانة الفلسطينيين منذ انتهاء مؤتمر الرياض في كتاب (٤) لعل في الأمة العربية من يقرأ ويفهم - أ - ما فيه ليعرف نوعية القوة التي وقعت بعض الحكومات العربية معها .

كما أن جبهة لبنان لا تريد أن تصدق أنها تعيش على أرض عربية وأنها ليست بمثلة المسيحيين بل هي مجرد طائفة منهم وأن اللعب بالدين خطر على مصالحها أكثر مما هو خطر على المنطقة كلها . وبالتالي فشعار « اجعلوها طائفية حتى لا تكون طائفية » هو لعب بالمتفجرات وواضح آثار ذلك على اقتصاد لبنان ومصالح الطبقة التي تعيش قيادات الجبهة على وجودها .

والغريب أن الصوت المسموع في العالم العربي يردد رفض تقسيم لبنان . أما المسيس والسلوك فهو يمتزج مع التقسيم . فنجد مثلا أن كميل شمعون العائد من دمشق ١٩٧٧ - يعلن أن سوريا وافقت على إرسال قوى أمن إلى الجنوب وعن مبادئ عامة للتعاون الاقتصادي والأمني (٥) ، بينما يبير الجميل العائد من السعودية يعلن أن التصور السعودي للحل في لبنان هو بوليس دولي على الحدود مع إسرائيل (٦) ، والذي يحيرني هو باسم من يتحدث كميل شمعون مع سوريا أو ببير الجميل مع السعودية ، أي لبنان هذا - أ - ثم أليست هناك حكومة شرعية تناقش معها هذه القضايا القومية !

إن جرعة الحكومات العربية هي أنها من منطلقات ذاتية وفي غياب استراتيجية عربية واحدة وأت أن تحقق مصالحها دون تصوّر مدى الدمار الذي تلحقه بسلوكها بالاستراتيجية العامة حتى التي رسمتها لنفسها إن كانت لها استراتيجية. وقد وضع ذلك بجلاء حين وقع نوع من الخلاف بين السعودية وسوريا فتوقفت السعودية عن دفع نفقات القوات السورية في لبنان، عذرا اقصد قوات الردع العربية، ثم عادت ودفعت ولكن بعد حين. فقد قدمت قيادة الردع تقريرا لمجلس الجامعة كشف عن عجز مالي.. بلغ ١١٤ مليون دولار (٧) كما وضع خطأ الوقوع فريسة الحسابات الذاتية الضئيلة في مسألة الجنوب حيث كان الهدف مركزا حول الحد من قوة المقاومة فانتهى الامر إلى اتفاق مع إسرائيل على خط الأمان داخل لبنان وأصبح الجنوب تحت السيادة الفعلية لإسرائيل. ثم أصبحت القوات السورية وجبة شهية على مائدة إسرائيل تلتهمها وقت تشاء وتشعل المنطقة كلها بسهولة ويسر فهي تضع الجنوب اللبني رهينة وتخلق القنوات معه من خلال سياسة «الجزر المفتوحة» الأردنية فإن أراذلت تحويلها إلى جبهة مفتوحة فالأمر سهل وليس الهدف هو احتلال الجنوب ولكن السيناريو المطروح هو أن تكمل إسرائيل ما انتهت عنده سوريا من الإنهاء على منظمة التحرير وتهديد النظام السوري نفسه. وفي جنيف تسلم إسرائيل الجنوب للبنان نظيفا - ١ - من الفلسطينيين.

وليس من المعقول أن تظل الحكومات العربية تجارب بعضها بقضية فلسطين وبالتطبيقات الفلسطينية وتستغل ساحة لبنان. ففلسطين ليست ورقة مناورة ولا هي قضية شعب استعمرت أرضه ولكنها قضية العرب وإسرائيل التي وجدت لتحكم المنطقة العربية سياسيا واقتصاديا بأي وسيلة. وليس هذا الكلام اليسار ولكنه كراسة إسرائيلية عن تصورها للعالم العربي سنة ٢٠٠٠ حيث يكون دورها هو التنظيم والسيطرة. والعرب العمل - ١ - أي شغيلة إسرائيل.

والغريب أن يتبنى ملك دولة عربية - الحسن - هذه النظرية الصهيونية ويردد أن العبقورية اليهودية مع المال العربي يمكن أن تصنع شيئا ، ويقولها بعده مناحم بيجين أشهر إرهابي صهيوني بفخر وإعزاز وكأنها حقيقة مسلم بها مع أن العبقورية اليهودية مع المال الامريكى لم يصنعا شيئا فى إسرائيل غير اقتصاد مريض .

وذلك كله مؤشرات على طريق الإجهاز على القضية الفلسطينية تماما . ولما كانت مأساة لبنان لم تصل إلى هذه النتيجة فقد كان لابد من استكمال المسيرة ، ولكن بسيّار يواخى آخر غير سيّار يول لبنان وإن لم تستبعد ساحة لبنان فالمهم هو تغيير القوى التى فشلت فى تحقيق الهدف بقوى أخرى ودول عربية أخرى .

ولذلك ظهر على الساحة أكثر من سيّار يواحد منها أن إسرائيل تقوم بتشكيل البديل لمنظمة التحرير من داخل الأراضى المحتلة ونقطة البداية للمرحلة الجديدة هى قرار الكنيست - أول سبتمبر ١٩٧٧ بأغلبية ٩٦ صوتا ضد ٤ وامتناع ٦ عن التصويت و يقضى بعدم الاعتراف بمنظمة التحرير ونص القرار « يجزم الكنيست أن المنظمة التى تدعى منظمة التحرير الفلسطينية هى إطار لمنظمات قتلة هدفها تدمير دولة إسرائيل . وإسرائيل لن تجرى مفاوضات مع منظمات قتلة فى أى مجال » .

وتمضى إسرائيل فى نفس الوقت على طريق إيجاد البديل . فهى تقف وراء مجموعة من الضفة الغربية لتشكيل هذا البديل . فقد ذكرت وكالة الأنباء الإسرائيلية فى عال هشمار - ٨ سبتمبر - أن أفراد المجموعة يسعون لعقد مؤتمر فى رام الله وأنهم أعضاء فى البرلمان الأردنى السابق ورؤساء بلديات سابقون وازباب أعمال وتجار . وقالت إنهم سوف يعملون كما يبدو لتنظيم مؤتمر يشبه مؤتمر أريحا سنة ١٩٤٨ حيث قرر وجهاء الضفة الغربية ضمها إلى شرق الأردن . وفى اليوم التالى نشرت هآرتس أن شخصا اسمه مصطفى دودين ، أنه كان وزيرا للداخلية فى

الأردن قال إنهم- أى المجموعة - يسعون لإعادة الضفة الغربية إلى الأردن وقالت الصحيفة إنه هاجم منظمة التحرير وأساليبها الارهابية في حديث له مع تليفزيون إسرائيل . وبعد يومين آخرين - ١١ سبتمبر- ذكرت صحيفة معاريف أن سلطات الاحتلال العسكري في الضفة الغربية سوف تدرس طلب أى جماعة ترغب في ممارسة نشاط عام في الضفة الغربية . والشرط الأساسى للسماح بأى تنظيم مماثل هو عدم القيام بنشاط سياسى ضد إسرائيل . وقد كشفت هآرتس- ١١ سبتمبر- أسماء هذه المجموعة وهم برهان الجعبرى ابن الشيخ محمد الجعبرى ، وعزيز شحاده- محامى ومصطفى دودين وزير الداخلية الأردنى السابق وعبد ناصرية محبى وحسين الشيوخى محامى . ويقود المجموعة برهان الذى يسمى إلى عقد مؤتمر لمعارضى منظمة التحرير في إحدى العواصم العربية ..

وتقول هآرتس- ٢١ سبتمبر- إن الحكومة الأمريكية نقلت إلى العواصم العربية صيغة حل وسط لوزير الخارجية موشى ديان تقضى بتمكين اشتراك رؤساء بلديات من المناطق المحتلة في مؤتمر جنيف ضمن الوفد الأردنى . وأن هؤلاء هم الذين سوف تتحدث معهم إسرائيل حول الشكل الذى يقترحوه للعيش معها ..!

وكان من الممكن عدم الاهتمام بهذا التجمع لولا أن الحكومة المصرية طورت الاقتراح الإسرائيلى إلى اختيار فلسطينيين أمريكيين بدلا من الإسرائيليين-!- وهو ما أدخل القاهرة طرفا في السيناريو المطروح بأن تكون القاهرة العاصمة المرشحة للقاء معارضى منظمة التحرير بعد ماتم اللقاء معهم في القدس وحلت الصحف المصرية على القضية الفلسطينية^(٨) رغم ما فيها من خطأ استراتيجى بشم إلا أنها تسهد بالتعمد أو الجهل لهذا الدور، وخاصة وأن الأحداث أوضحت عدم فهم حقيقة قضية الوجود الإسرائيلى في المنطقة وتصور أنه ضد الفلسطينيين . وأن دور مصر هو مجرد دور التضامن ، مع أن القضية موجهة إلى صدر مصر أساسا انطلاقا

من أرض فلسطين وهذا تدخل مصر نتيجة الحسابات الذاتية لاستكمال مهمة تصفية منظمة التحرير. وهو ما ظهرت بوادره في بيان الإسكندرية الشهير. وهو ما تعرضنا له في الفصل الأول من هذا الكتاب ودعى برهان الجعبري إلى القاهرة ولكن رصاصات الثورة كانت في انتظاره بمجرد عودته لتنتهي هذه المحاولة بالفشل. إذ أصيب بقية الأطراف بالفرق وعادت إلى الجحور. فهو ثالث واحد من المجموعة التي كانت تعدّها إسرائيل تمتد إليه يد منظمة التحرير بالرصاص في خلال أسبوع. فقد سبقه للموت حمدي القاضي وحنين الشيوخي.

وإذا كانت محاولة إيجاد بديل لمنظمة التحرير قد فشلت باغتيال برهان الجعبري فإن الولايات المتحدة مضت على طريق نهايته هي استبعاد منظمة التحرير عن النشاط الدبلوماسي والسياسي للتسوية من خلال دورها في مباحثات مصر-إسرائيل.

فنجده أن التنازلات المتتالية خلال عام واحد كانت تتفق مع رغبة إسرائيل في استبعاد منظمة التحرير وهو ما قد تبلور في مشروع أطلق عليه مقترحات سلام-الأهرام في ٦ يوليو ١٩٧٨. من نقاط ست أغفل تماماً ذكر منظمة التحرير واتفق مع بيان الاسكندرية بمودة الضفة الغربية إلى الأردن وغزة إلى مصر، كما أغفل مرتفعات الجولان.

وضمامنا لنجاح مثل هذه السيناريو كان لابد أن يصاحبه سيناريو آخر عس صلب القدرة العسكرية لمنظمة التحرير. وهو سيناريو آخر تشترك فيه العراق بأمل أن تنجح فيما فشلت فيه سوريا بالاستيلاء على منظمة التحرير. من خلال تنظيمها الفدائي. أو تصفيتها. وكان منطق العراق في تعميم تم توزيعه على كواد حزب البعث أن النظام في العراق كان يواجه موقفا صعبا فإما أن يقف مع الثورة الفلسطينية فيقوم الاستعمار بضرب الحزب البعثي العراقي طبعاً. أو أن يقف ضد

الثورة الفلسطينية لتضرب و يبقى الحزب القادر بعد ذلك على إنشاء ثورة فلسطينية جديدة ولذلك قامت العراق وكالة وفا في ١٦ يوليو ١٩٧٨ - بالاستيلاء على ٤٠ ٪ من تبرعات شعب العراق لصالح مكتب الكفاح المسلح الذي أنشأه نظام العراق . ثم ارتفعت النسبة الى ٦٠ ٪ إلى أن ارتفعت كل المساعدات الشعبية تماماً .

الأكثر من هذا صادر النظام العراقي كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر التي تجرّع بها شعب الصين إلى الثورة الفلسطينية ، وهي أسلحة تكفي لتسليح خمسة عشر ألف مقاتل بلغت قيمتها حوالي ٥٠ مليون دولار .

كما صادر النظام العراقي آلاف الأطنان من المواد التوينية والتجهيزات الفردية والطبية والملابس العسكرية تكفي لثلاثين ألف مقاتل ، وردت إلى الثورة الفلسطينية عن طريق البصرة هدية من شعب الصين ، وتزيد قيمتها عن ٣٠ مليون دولار .

صادر النظام العراقي مصانع الأسلحة التي تم إنشاؤها بأموال حركة « فتح » على أن يكون الإنتاج مشتركاً بين العراق وحركة « فتح » وهذه المصانع هي :

- مصنع إنتاج مدافع الـ « آر . بي . جي » الذي زاد مادفعته « فتح » لتأمين آلاته ومعداته العلمية الخاصة بحوالي ٨ ملايين دولار .
- مصنع للغواصات الصغيرة . وكان يمثل نقطة تحول في العمل الفدائي بالعالم .
- مصنع إنتاج مدافع الـ « آر . بي . جي » الذي زاد مادفعته « فتح » لتأمين آلاته ومعداته العلمية الخاصة بحوالي ٨ ملايين دولار .
- مصنع للغواصات الصغيرة . وكان يمثل نقطة تحول في العمل الفدائي للعالم .
- مصنع للغام البحرية .

مصنع الأدوات الفنية الخاصة والمتصلة بمتطلبات أعمال عسكرية .

والغريب أن النظام العراقي لم يصادر هذه المصانع فقط ، بل رفض تنفيذ الاتفاق الذي يعطى « فتح » حق الاستلام نصف الإنتاج بعد أن دفعت تكاليف هذه المصانع ، أما العلماء الفلسطينيون والعرب الذين قلعوا من مختلف أنحاء العالم عن طريق حركة « فتح » والذين أنشأوا وأداروا هذه المصانع ومراكز البحث العلمى فيها . فقد سجن من رغب منهم مغادرة العراق للعودة إلى صفوف الثورة الفلسطينية بعد أن ذاقوا مرارة التعذيب والإرهاب والقهر .

ومصادر النظام العراقي مزرعة الدواجن التى أنشأتها حركة « فتح » فى العراق لصالح أسر الشهداء وأجهزتها الفنية المتقدمة التى اشترتها .

كما صادر النظام العراقي كافة مخازن الأسلحة التابعة لحركة « فتح » والتى أوتمنت عليها القوات العراقية فى الأردن سنة ١٩٧٠ فى منطقة المفرق .

وقد هددت منظمة فتح - جريدة السفير ١٧ يوليو ١٩٧٨ - أنها سوف تكشف بالوثائق فى الوقت المناسب دور النظام العراق المضاد للثورة الفلسطينية فى الأردن أثناء مذابح سبتمبر ١٩٧٠ التى قام بها الملك حسين .

و يتم هذا الدور العراقى فى ظل مشروع الميثاق القومى الذى طرحته العراق على الأمة العربية وهولا يهدف إلى إنهاء جبهة الصمود ولكن إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل حيث يقضى البند الثالث على تحريم اللجوء إلى استخدام القوات المسلحة مع الأمم والدول المجاورة للوطن العربى إلا فى حالة الدفاع عن السيادة والنفس . !

وهناك سيناريو هوات أخرى كثيرة كلها تعنى حقيقة واحدة هى أن التخلف السياسى يسود المنطقة العربية وأن النظم العربية لا تحتل وجود ثوة بينها حتى لو كانت فلسطينية على هذا القدر من الاعتدال ، ولكنها فى النهاية ثورة .

واحتتمالات نجاح أو فشل أى من هذه السيناريوهات مسألة مرهونة بإدراك الحكومات العربية لمدى الأخطاء الفادحة التى وقعت نتيجة الحسابات الذاتية للجميع-!- والذين يتحركون بين العواصم العربية يقولون إن القيادة السورية أدركت بشاعة ما ارتكبته وتحاول جاهدة إنقاذ بعض الأطلال الباقية . والاحتتمالات مرهونة أيضا أن تتنازل كل منها عن خلافاتها مع الأخرى ، فالمسألة ليست تشدد طفولى وإنما تقدير لمسئوليات المرحلة حتى لا يصبح الكل شركاء حتى بالانسحاب .

فالحسابات السياسية تكشف أن مأساة لبنان وهذا الثمن الباهظ لم تحقق أهدافها كاملة . فهى قد قيدت حركة المقاومة الى حد ما ولكنها لم تفقدها استقلالها . ورجحت كفة اليمين والوسط ولكنها لم تستطع القضاء على يسارها حتى لو استمرت عمليات التصفية الجسدية التى جرت بعد انتهاء الحرب .

ورما كان أنجح ما حققته مذبحة لبنان هو ذبح الصحافة اللبنانية التى أصبحت تصدر كل صباح وهناك مساحات بيضاء حذفتها الرقيب - وما يقى فهو رهين لقانون الإرهاب الصحفى الذى سُمى مجازا بقانون المطبوعات الجديد (١) وهو السلاح المسلط على الصحف الوطنية . وأُفقد صحف لبنان كثيرا من القراء حتى فى لبنان نفسها .

وقد كان ممكن للبعض أن يدعى أن عملية لبنان حققت مكاسب أخرى إلا أن ما كاد أن يتحقق قد اختفى مع صدور البيان الأمريكى السوفيتى فى أول أكتوبر- ١٩٧٧- لتكون المفاجأة هى وجود الاتحاد السوفيتى على مائدة الشرق الأوسط بعد ما كانت حسابات الكثيرين قائمة على فرضية مسلم بها وهى غيابه .

ورغم أن البعض يتصورات تطويع المقاومة قد تم بدرجة يجعلها تقبل بقرار (٢٤٢) لمجلس الأمن الذى لا يتعلق بها وبأى تمثيل لها فى جنيف ، فإن

الواقع يقول إن التطوع لم يصل إلى هذا الحد من الانكسار. فما زالت مسألة تمثيل الفلسطينيين قائمة كما كانت مع بداية نزيف الدم في مأساة لبنان.

وإذا كان الذين يذلوا المال والسلاح والجهد لتحقيق المأساة مكاسب على حساب التيار الوطني فإن الأمر المؤكد أنه رغم نزيف الدم فإن هناك مكاسب لصالح هذا التيار إن استطاعت الحركة الوطنية العربية استيعابها جيدا. وسوف أقصر هنا على نقطتين كل منهما تعتبر علامة على الطريق. الأولى هي اكتساب الحركة الوطنية خبرة حرب المدن. وهي أول تجربة للحركة الوطنية العربية يجب أن تركز على دروسها جيدا وتحرص على كوادرها القيادية أيضا.

والنقطة الثانية هي ظاهرة أخذ الخطيب الذي قام بدور كبير لا يمكن أن تكون مكافأته عليه هي استضافته في سجن المزة السورى. وكأننا نريد أن نقول إن كل من يقوم بعمل وطني سوف يكون جزاؤه سجن المزة - 1. وخاصة إذا كان ذلك الدور في إطار العسكرية وفي دولة لم يكن لها جيش بالمعنى الصحيح. ولابد من عمل دراسة متكاملة عن ظاهرة أحمد الخطيب والجيش العربى لتكون رصيدا ..

وتبقى مسألة شكل البنيان السياسى والاقتصادى في لبنان. وهي مسألة سوف تطول لأن الشعارات المطروحة كلها لا تنبع من الواقع ولهجات الحديث ما زالت بعيدة عن الصواب. فلا النظام القديم يصلح ولا اقتراح « اللامركزية » يصلح الآن بعد أن أصبحت هناك مناطق مارونية وأنعرى غير مارونية وتكون اللامركزية في هذه الحالة على أساس طائفي. والمعضلة لم تكن في الأساس طائفيا ولكنها كانت اقتصادية. والفرصة متاحة بالفعل لبناء اقتصاد لبناني جديد، خاصة وأن كل شيء قد تهدم وبالتالي فعملية البناء أسهل بما يجعل للبنان اقتصادا إنتاجيا حقيقيا بدلا من هذا الاقتصاد الوسيط. والغريب أن الكل يتحدث عن المركزية واللامركزية والعلمانية واللاعلمانية بينما أصل المشكلة وجوهرها بعيد

عن الحوار والبحث ، مع أن الجهاز الحاكم ابتداء من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء في أغلبهم هم مجموعة اقتصادية متكاملة وهي لا تحتاج إلا إلى جراءة القرار وشجاعة التنفيذ . والحقيقة التي سوف تدعمهم هي أنه ما لم يتم إعادة صياغة البنيان الاقتصادي ف سوف تبقى كل مبررات الثورة والقلق وكفى ضياعا وراء شعار اجعلوها طائفة بدلا من أن تكون طبقية .

ونعود من المرحلة مع المأساة بنظرة خاطفة على الغد الذي أضعننا بأيدينا بان مفتاح الموقف كان هو غياب استراتيجية عربية واحدة مما أتاح للحسابات الذاتية لكل دولة أن تنطى على الهدف الاستراتيجي . والخطر أننا مازلنا نغضى على نفس الطريق وبنفس السرعة . وكأننا نصر على المضي نحو الهاوية وظلام الضياع بلا غد .

فليس من المعقول أن يكون أمن زائير أهم من أمن الثورة الفلسطينية ، ولا مشكلة الصحراء أهم من مشكلة إسرائيل مع لبنان .

وليس من المعقول أيضا أننا نضع تفسيرات لما نوقع عليه نختلف من يوم لآخر ، ومثال ذلك اتفاقية القاهرة بين منظمة التحرير ولبنان ، والتي يحلو للبعض الحديث اليوم عن اتفاقية شتورا . وليس هناك اتفاقية شتورا أو ملكارت بل الصحيح أن هناك اتفاقية القاهرة وتفسيرات ملكارات والرياض وشتورا وكل تفسير منها وليد ميزان القوى لحظة التفسير ومزاج الزعامات مع المقاومة . فالثورة الفلسطينية من أعلى ما يجب تحمض عليه الأمة العربية وأن تترك لها حرية الاختيار والعمل دون تدخل أو تطفل بدلا من أن نضع العراقيل أمامها بأيدينا ثم نعود ونبكي على المائدة وإسرائيل تفرض شروطها والولايات المتحدة تنفذها لها ، و يومها لن ينفع البكاء .

لقد انتهت الحرب في لبنان ولكن المشكلة باقية والبنادق مازالت على الاكتشاف ولعل أكثرها خطراً هي بقاء عدة رصاصات في عدد من المدسات مكتوب على كل رصاصة كلمة «الثأر». وهي بالتأكيد سوف تبقى معها تغيرت الأدوار واستعاد البعض لهجته. !- مالم تسرع بوضع استراتيجية عربية تعطى دفعه للثورة لا أن تطوعها .

هوامش الخاتمة

- (١) تقرير أولى لجمعية الصناعيين عن الخسائر. جريدة السفير. بيروت ١٥-١٧ ديسمبر سنة ١٩٧٦ .
- (٢) جريدة الأنوار. ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٧٦ .
- (٣) اسكندر معلوف . صوت الثورة عدد ٤٩ في ٩ أبريل سنة ١٩٧٧ .
- (٤) الحملة على الشعب الفلسطيني بعد مؤتمر الرياض والقاهرة: منظمة التحرير. جهد الأمن ، قسم المعلومات .
- (٥) جريدة السفير ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٧٧
- (٦) جريدة العمل ٢٩ يوليو سنة ١٩٧٧
- (٧) جريدة السفير ٥ سبتمبر سنة ١٩٧٧ .
- (٨) مثل مقالات موسى صبري.. الأخبار.. مكرم محمد أحمد.. الأهرام..
- (٩) نص القانون في صحف لبنان ٣-٥ يوليو سنة ١٩٧٧ .

الملاحق

البيان الفلسطيني الكتائبي المشترك الذي تم الاتفاق عليه في ٧٣/٥/٣١

بناء على الرغبة التي أبدأها كل من : الشيخ بيار الجميل - رئيس الكتائب اللبنانية ، الحزب الديمقراطي الاجتماعي ، السيد ياسر عرفات - رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية . وعلى ضوء الأحداث المؤسفة التي جرت في شهر آيار الحالى . اجتمع في الفترة الواقعة ما بين الجمعة ٧٣/٦/١ والخميس ٧٣/٦/٧ ، وقد الكتائب اللبنانية المؤلف من السادة : جوزيف شادر ، جورج سعادة ، أمين الجميل ، وكرم بكردوفى - ووفد المقاومة الفلسطينية المكون من السادة : أبوإياد (فتح) ياسر عبد ربه (الديمقراطية) صلاح صلاح (الجبهة الشعبية) ، على ابراهيم (الصاعقة) أحمد الاثرى توفيق الصفدى (فتح) .

وقد توصل المجتمعون بعد عادثات طويلة اتسمت بالصراحة والموضوعية إلى تحديد الأسس الكفيلة بتحقيق الصالح اللبناني - الفلسطيني المشترك وفق برنامج العمل التالي :-

أولاً : يرى المجتمعون أن إسرائيل خطر مدام ليس على الفلسطينيين وحدهم بل على المجموعة العربية كلها ، وخاصة على لبنان أرضاً وشعباً كياناً واقتصادياً . فالدولة الاسرائيلية (المرتكزة على العنصرية التوسعية تعتبر رفضاً للشرائع الدولية والحقوق الإنسانية ، ونقضاً للصيغة اللبنانية) القائمة على التعايش الحريين مختلف فئات الشعب والديانات والعقائد لذلك يعلن المجتمعون ما يلي :-

أ- حق الشعب الفلسطيني المقدس في النضال لاسترداد أرضه وتأسيس الدولة الديمقراطية الفلسطينية ، حيث يتعايش الجميع ، بغض النظر عن انتمائهم الديني أو العقائدي ، وذلك كبديل للكيان الصهيوني .

ب- واجب الدفاع عن لبنان وسلامته أراضييه ، ووحدة شعبه واتخاذ كافة الاجراءات لجسم الاعتداءات الإسرائيلية ، وتجنب الوقوع في الفخ الاسرائيلي ، الذي يهدف إلى افشعال الاقتتال بين الإخوة على الأرض اللبنانية ، بغية تقيت الوجود اللبناني ككتوطة لإعادة تركيب خريطة المنطقة .

ج- أن الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان ليست بسبب التواجد الفلسطيني إنما مصدرها اطماع اسرائيل في جنوب لبنان ، ولذلك الوقوف في وجه هذه الاعتداءات واجب وطني يشغل اللبنانيين والفلسطينيين

ثانياً : يرى المجتمعون أن السيادة اللبنانية مسألة غير قابلة للجدل ، وهي مصبونة لا تمس ، ويجب أن تحظى باحترام كل الذين يعيشون فوق أرضه ويستطلون ساءة فالسيادة اللبنانية كل لا يتجزأ ، ولا يتحمل الانتقاصات ولا التجزؤات لذلك

يعلن المجتمعون مايلي :

أ- احترام الفلسطينيين للقوانين اللبنانية وسلطات القضاء اللبناني .

ب- التزام المقاومة بعدم التدخل في شؤون لبنان الداخلية .

ثالثا : يرى المجتمعون أن التعايش اللبناني - الفلسطيني ضرورة تحتّمها القناعة الموضوعية واختيار قائم على الإرادة المشتركة ومبنى على الثقة والمحبة المتبادلين لذلك يعلن المجتمعون مايلي :

أ- تطبيق مايتفق التفاهم عليه بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية من اتفاقات .

ب- اعتماد الحوار سبيلا وحيدا لحل المنازعات والامتناع عن ممارسة أساليب العنف والقوة مهما كانت الأسباب .

ولما كان التقاء وجهات النظر كاملا حول هذه القضايا المبدئية ، وعلى ضوء عملية نقد ذاتي جريئة ، ومن أجل تعميق الثقة المتبادلة ، اتفق المجتمعون على وضع الخطة التنفيذية التالية :

١- القيام بحملة توعية مشتركة على الصعيد الشعبي خاصة في المجال العمالي والنسائي والطالبي ، وذلك من خلال وسائل الاعلام المتوافرة لدى كل من الفريقين .

٢- تبادل المشاركة في المؤتمرات العامة والمناسبات الوطنية .

٣- التسمي من قبل الكتائب لطرح برنامج العمل المتفق عليه ، على مختلف القوى السياسية والاجتماعية اللبنانية .

٤- التعاون في المجالات الدولية وتعبئة الامكانيات لكسب الصدفات من أجل القضية الفلسطينية

هـ- تشكيل مكتب متابعة دائم للعمل على تحقيق الخطة التنفيذية على كافة المستويات والقضايا الآتية ويتكون من :

- الاستاذ جوزيف شادر.
- الدكتور جورج سعادة .
- الشيخ أمين الجميل .
- الأستاذ كرم بكردوني .

عضو الكتاب

الاخوة :

- ياسر عبد ربه .
- أحمد الأهرى .
- توفيق الصفدى .

عن المقاومة

« اتفاقية القاهرة »

في يوم الاثنين ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ اجتمع في القاهرة الوفد اللبناني برئاسة عياد الجيش أميل البستاني وعضو منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة السيد ياسر عرفات رئيس المنظمة وعضو من الجمهورية العربية المتحدة السيد محمود رياض وزير الخارجية والسيد الفريق أول محمد قزى وزير الحربية .

انطلاقاً من روابط الأخوة والمصير المشترك فإن علاقات لبنان والثورة الفلسطينية لا بد وأن تتسم دوماً بالثقة والصراحة والتعاون الإيجابي لما فيه مصلحة لبنان والثورة الفلسطينية وذلك ضمن سيادة لبنان وسلامته .. واتفق الوفدان على المبادئ والإجراءات التالية :

الوجود الفلسطيني :

تم الإتفاق على إعادة تنظيم الوجود الفلسطيني في لبنان على أساس :

- ١ - حق العمل والإقامة والتنقل للفلسطينيين المقيمين حالياً في لبنان .
- ٢ - إنشاء لجان محلية من الفلسطينيين في المخيمات لرعاية مصالح الفلسطينيين المقيمين فيها وذلك بالتعاون مع السلطات المحلية وضمن نطاق السيادة اللبنانية .
- ٣ - وجود نقاط للكفاح الفلسطيني المسلح داخل المخيمات تتعاون مع اللجان المحلية لتأمين حسن العلاقة مع السلطة وتتولى هذه النقاط موضوع تنظيم وجود الأسلحة وتحديداتها في المخيمات وذلك ضمن نطاق الأمن اللبناني ومصلحة الثورة الفلسطينية .
- ٤ - السماح للفلسطينيين المقيمين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية من خلال الكفاح المسلح ضمن مبادئ سيادة لبنان وسلامته .

العمل الفدائسي :

تم الاتفاق على تسهيل العمل الفدائي وذلك عن طريق :

- ١ - تسهيل المرور للفدائيين وتحديد نقاط مرور واستطلاع في مناطق الحدود .
- ٢ - تأمين الطريق إلى منطقة العرقوب .

- ٣- تقوم قيادة الكفاح المسلح بضبط تصرفات كافة أفراد منظماتها وعدم تدخلهم في الشؤون اللبنانية .
- ٤- إيجاد انضباط مشترك بين الكفاح المسلح والجيش اللبناني .
- ٥- إيقاف الحملات الإعلامية من الجانبين .
- ٦- القيام بإحصاء عدد عناصر الكفاح المسلح الموجودة في لبنان بواسطة قيادتها .
- ٧- تعيين ممثلين عن الكفاح المسلح في الأركان اللبنانية يشتركون بكل جيم الأمور الطارئة .
- ٨- دراسة توزيع أماكن التركز المناسبة في مناطق الحدود والتي يتم الاتفاق عليها مع الأركان اللبنانية .
- ٩- تنظيم الدخول والخروج والتجول لعناصر الكفاح المسلح .
- ١٠- إلغاء قاعدة جيرون .
- ١١- يسهل الجيش اللبناني أعمال مراكز الطباية والإخلاء والتوطين للعمل الفدائي .
- ١٢- الإفراج عن المعتقلين والأسلحة المصادرة .
- ١٣- ومن المسلم به أن السلطات اللبنانية من مدنية وعسكرية تستمر في ممارسة صلاحياتها ومسؤولياتها كاملة في جميع المناطق اللبنانية وفي جميع الظروف .
- ١٤- يؤكد الوفد أن الكفاح المسلح الفلسطيني عمل يعود لمصلحة لبنان كما هو لمصلحة الثورة الفلسطينية والعرب جميعهم .
- ١٥- يبقى هذا الاتفاق سرياً للغاية ولايجوز الاطلاع عليه إلا من قبل القيادات فقط .

لجانبة وزارة الدفاع الوطنى

لجانبة للكتاب ١٠/١ - ع/س تاريخ ١٠/٣/٧٥ اجتماع بتاريخ ١٠/٣/١٩٧٦ قائد الجيش ورئيس الأركان العامة بقيادة المناطق والمفتش العام ومعاونى رئيس الأركان ورئيس الشعبة الثانية وتبين أن صورة الوضع هي التالية :

- ١- فى مدى ساعات ستناار معظم الثكنات .
- ٢- سوف يتخلل عن مختلف الأدواز التى يقومون بها .
- ٣- سيؤدى الوضع الى وقوع القسم الأكبر من لبنان بأيد غير مسئولة .

ونتيجة ذلك رأى المجتمعون :

- ١- يعرض هذا الوضع المؤلم على السلطات المسؤولة :
- ٢- إن أى حل سياسى من شأنه مهها كلف أن يبقى أسلم بما ينتظر مصير الجيش والبلاد فى حال استمرار الوضع القائم ولولساعات .

البرزة فى ١٠/٣/١٩٧٦

العماد حنا سعيد

قائد الجيش

على الصعيد العسكرى :

الإسراع الكلى فى إيجاد حل لقضية الضباط والعسكريين الفارين وذلك فى إطار المباحثات مع الوفد السورى الذى يملك مباشرة أو بالواسطة كافة المعطيات والوسائل التى تساعد على إنجاز الحل .

على الصعيد السياسى :

إيجاد حل يساعد على إعادة اللحمة عن طريق إعادة اللحمة للشعب

فاللحمتان متلازمتان .

إن هذه القيادة ترى فيما سبق إريراده تجسيدا لما يليه الواجب والضمير في
مرحلة بات فيها مصير الجيش، والبلاد على كف عفريت .

البرزة في ١٩/٣/١٩٧٦

العماد حنا سعيد قائد الجيش

الى الزميل اللواء حكمت

سنة ٢٠٠٠ القتال على أشده عدد ٢ مجموعة قتالية من القوات الخاصة مشتبكة على
دوار الكولا - تستعمل الصواريخ بكثرة لأن القتال شرس - تقريبا يمكن أخذ
الموقف من قائد الوحدات لأن الادخال صعب - القتال الآك عند المدنية الجامعية -
جميع المسلحين في بيروت يقاتلون صدينا - للاطلاع

غير حتى اتخاذ اجراء فاشي لتخفيف الضغط عن بيروت

الزميل زهير

الزميل اللواء حكمت

تحية عربية

تزداد الاشتباكات عنفا بيننا وبين جميع القوى الأخرى ، وقد بدأت بعض
سرايا الوحدات تشارك في القتال اعتبارا من الساعة ١٩ و ٠٠ . لم تبلغ أن كان
سوف تتحرك قوات باتجاهنا .

الكتائب تسأل بالحاح عن تجمعات غير معروفة في عينطورة وتسأل أن كانت
قوى سورية أم من الفئات الأخرى .

١٩٧٦ / ٦ / ٩

الرفيق اللواء حكمت .

تحية عربية .

بعد تحديد موعد جلسة مجلس النواب ، وموقف نبلاط السلبى ، ومحاولاته لمرقلة
الفقار الجلسة أو تأجيلها على أمل الوصول الى مرشح تسوية ، بات من الضروري
الاستمجال فى تحريك كتيبة جيش التحرير مع البقاع ، وإذا أمكن أن تتحرك
سرية من كتيبة القدم ديب الى صيدا ، لكى تسحب القوات من صيدا والنبطية
وتجمعها فى بيروت .

يرجو الاهتمام .

مع تحيات

الرفيق اللواء حكمت

تحية عربية

لا يزال طلال المرعى وناظم القادري يظهران مواقف سلبية . أنجو تكليف الجهات
التي تؤثر عليهما فى القطر لمزيد من الاهتمام بتصحيح موقفها ، الى جانب التأكيد
على نواب البقاع

لم يردنا جواب عن طلب سليمان العلى وفهمى شاهين لزيارة دمشق .

١٩٧٦ / ٤ / ٢٦

الزميل اللواء حكمت

تحية عربية .

اجتماع كمال جنبلاط كان مع بشير الجميل وليس مع بيار .

لقد أعلمنا الكتاب سبعا عن اتصالات فتح معهم من أجل عقد اجتماع مع جنبلات . وعن زيارات مندوبي فتح الهم في المنطقة الشرقية .

طرح جنبلات على بشير الجميل عقد تحالف بينها للوقوف في وجه التدخل السوري . قال بشير أن هذا الموضوع يتجاوز مسؤولياته

الزميل أمين سمر المنظمه
تحية عربية .

للاتصال بكامل الأسعد ودعوتة لزيارة دمشق باسم الرئيس حافظ الأسد يوم الاثنين إذا كان يفضل موزعاً آخر لأعلامنا النتيجة فوراً
اللواء حكمت

الزميل اللواء حكمت

تحية عربية .

اتصلنا بالسيد كامل الأسعد وابلغناه الدعوة ، سيحضر الاثنين ، وسوف يتصل بنا إذا كان مضطراً لتغيير الموعد

يرجوا الاطلاع

إلى جميع القطاعات الساعة ١٠ و ٢٣

جميع الساعات

تحية عربية .

وحدات عناصر وقوات فتح وحدات الرفض وسائر الأضراب المرتبطة بالعمل

الانفصالي كمال جنبلاط ، الاستفزاز والتحرش والاعتداءات المسلحة على مكاتب القوة الصدية في انحاء عديدة من بيروت واشتبيكت مع عناصرنا في مختلف المناطق وخاصة منطقة برج ابو حيدر وفردان والزبدانية والشتاخ وبيرو العبد والطرفين الجديدة

مايزال القتال مستمرا بين عناصرنا وبين الجماعات للانفصالية المنحرفة العملية .

في الوقت ذات تولت القوات العربية السورية باتجاه الجبل عبر عدة محاور ودخلت الآن

قرارات مؤتمر القمة السداسي في الرياض

إن مؤتمر القمة العربي المحدود والمنعقد في الرياض في المدة من الثالث والعشرين إلى الخامس والعشرين شوال ١٣٩٦ هجرية الموافق من السادس إلى الثامن عشر من تشرين الأول ١٩٧٦ ميلادية .

بناء على مبادرة من جلالة الملك بن عبدالعزيز آل سعود ملك العربية السعودية وصاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح امير دولة الكويت .

بعد استعراض قرارات مجلس جامعة الدول العربية في ادوار انعقاده غير العادية في ثمانية إلى عشرة (يونيو) حزيران ١٩٧٦ و ٢٣ حزيران ١٩٧٦ الى أول ثموز ١٩٧٦ ميلادية وفي دور انعقاده في ٤ ايلول ١٩٧٦ .

وانطلاقا من الالتزام القومي بالحفاظ على وحدة لبنان وامنه وسيادته وكذلك بالحفاظ على المقاومة الفلسطينية ممثلة بمنظمة الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني طبقا لقرارات الرباط وتقرير قدرتها على الصمود في وجه كافة المحاولات التي تستهدف كيان الشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره واستعادة ترابه الوطني .

وإيماننا بوحدة الهدف والمصير بين الشعبين اللبناني والفلسطيني الشقيقين واستحالة قيام أي دولة تناقض في المصلحة بينهما ، ومن موقع الإصرار على تجاوز الماضي بسلبياته ورواسبه والاتجاه إلى المستقبل بروح المصالحة والحوار والتعاون ووجوب الإسراع بتوفير الظروف والضمانات اللازمة لاستقرار الحياة الطبيعية في لبنان وترسيخ مؤسساته والاقتصادية وغيرها وتمكين منظمة التحرير الفلسطينية من تحقيق أهدافها القومية .

وانطلاقاً من الروح الإيجابية البناءة التي أبدتها القادة المجتمعون في هذا المؤتمر بما يكشف عن رغبة صادقة لديهم جميعاً في إنهاء الأزمة في لبنان إنهاء حاسماً لارجمه فيه وتطويق أي خلاف يمكن أن يقع في المستقبل ، يقرر المؤتمر مايلي :

أولاً وقف إطلاق النار وإنهاء القتال في كافة الأراضي اللبنانية من قبل جميع الأطراف بصورة نهائية اعتباراً من الساعة السادسة صباح يوم الحادى والعشرين من شهر تشرين الأول سنة ١٩٧٦ ، والتزام الأطراف بذلك التزاماً تاماً .

تعزز قوات الأمن العربية الحالية لتصبح قوة ردع تعمل في داخل لبنان بأسرة رئيس الجمهورية اللبنانية شخصياً على أن تكون في حدود ٣٠ ألف جندي ويكون من مهامها الأساسية :

١ - فرض الالتزام بوقف إطلاق النار ووقف الاقتتال والفصل بين القوات المتحاربة وردع مخالف .

ب - تطبيق اتفاقية القاهرة وملحقاتها .

ج - حفظ الأمن الداخلي ..

د - الإشراف على سحب المسلحين من الأماكن التي كانوا فيها قبل تاريخ ١٣ / ٤ / ١٩٧٥ ، وإزالة المظاهر المسلحة وفقاً للجدول المبين في الملحق

المرفق . (راجع الملحق ادناه) .

٥- الاشراف على جميع الأسلحة الثقيلة من مدفعية وهواوين وقواعد صواريخ وآليات مدرعة الى آخره تحت مسؤولية الاطراف المعنية .

و- مساعدة السلطة اللبنانية عند الإصرار على استلام المرافق والمنشآت العامة تمهيدا لاعادة تسييرها وحماية المنشآت العامة العسكرية والمدنية .

ثالثا اعادة الحياة الطبيعية في لبنان الى الحالة التي كانت عليها البلاد قبل بدء الأحداث أى قبل تاريخ ١٣ / ٤ / ٧٥ كمرحلة أولى وفقا للجدول الزمني المبين في الملحق المرفق .

رابعا تنفيذ اتفاقية القاهرة وملاحقتها والالتزام بمضمونها نصا وروحا وذلك بضمناته من الدول العربية المجتمعة . وتؤلف لجنة تضم ممثلين عن المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية ودولة الكويت . تقوم بالتنسيق مع رئيس الجمهورية اللبنانية بما يتعلق بتنفيذ اتفاقية القاهرة وملاحقتها وتكون مدتها ٩٠ يوما من تاريخ اعلان وقف اطلاق النار .

خامسا تؤكد منظمة التحرير الفلسطينية احترامها لسيادة لبنان وسلامته وعدم تدخلها في شؤونه الداخلية انطلاقا من التزامها الكامل بأهداف القضية الفلسطينية القومية وتضمن السلطة الشرعية اللبنانية بالتالى لمنظمة التحرير الفلسطينية سلامة وجودها وعملها على الأراضي اللبنانية ضمن اطار اتفاقية القاهرة وملاحقتها .

سادسا تتعهد للدول العربية المجتمعة باحترام سيادة لبنان وسلامته ووحدة شعبه وأرضه .

سابعاً تؤكد الدول العربية المجتمعة التزامها بقرارات القمة في الجزائر والرباط بمساندة المقاومة الفلسطينية ممثلة بمنظمة التحرير

الفلسطينية ودعمها واحترام حق الشعب الفلسطيني في الكفاح
بكافة الوسائل لاسترداد حقوقه الوطنية

ثامنا : الشؤون الإعلامية :

أ- وقف الحملات الإعلامية والتعبئة النفسية السلبية من قبل كافة الاطراف .
ب- توجيه الاعلام بما يكرس وقف الاقتتال وتحقيق السلام وتنمية روح التعاون
والاخاء بين الجميع .

ج- العمل على تنفيذ الاعلام الرسمي .
تاسعا . اعتبار الجدول الملحق بتنفيذ هذه القرارات جزءا لا يتجزأ
منها .

الفهرس

٣		المقدمة
١٩	: المذبجة على الطريق	الفصل الأول
٤٤	: البعد اللبثاني للآزمه	الفصل الثاني
٧٧	: البعد العرى للآزمه	الفصل الثالث
٩٥	: البعد الدولى للآزمه	الفصل الرابع
١١٣	: الرحلة مع الموت	الفصل الخامس
١٤٢	: حوار الطرشان	الفصل السادس
١٨٨	: الرهان على من	الفصل السابع
٢٣٤	: صراع الديوك	الفصل الثامن
٢٧٥	: غد مفقود	الختام
٢٩١		الملاحق

رقم الأيداع ٨١ / ٢٩٠٣
الترقيم الدولي ٧-٣٢-٧٣٣٢-٩٧٧

Bibliotheca Alexandrina



ع.م.ج
٢٠٠ قرش

المركز العربي للبحث والنشر
د. السيد محمود الشنيطي وشركاه
ص. ب. ٣٤٠ هليوبوليس - القاهرة - تليفون ٦٦٩٩٤٢